Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في البحر ، وان يرفع كل الخلافات التي تقوم بينه وبين جيرانه إلى المقيم البريطاني ، ووضح لوقت ما أن هذه الالتزامات كانت لها آثارها في كبح جماح ذلك الشيخ العنيد الصعب المراس .

طرد تجار الهند البريطانية من الدوحة وما عمله البريطانيون بعدها ١٨٨١ – ١٨٨٣ :

وفي أكتوبر سنة ١٨٨١ بدأ الشيخ جاسم يضايق تجار الهند البريطانية لأن أعمالهم في تجارة اللؤلؤ كانت تتدخل في أعماله هو ، وقد صمم بالتالي على أن يجردهم من كل مكانة أو حماية ، لكن زيارة لسفينة صاحبة الجلالة « وود لارك » قامت بها للدوحة وضعت الامور في نصابها زمناً ما ، غير أن الشيخ عاد اخيراً في سنة ١٨٨٢ فأغلق محلات التجار الهنود بالقوة وارغمهم على مغادرة الدوحة ، وقدم اسباباً غير حقيقية لعمله هذا . وفي مايو سنة ١٨٨٢ أرسل مساعد من المقيمية البريطانية الى الشيخ جاسم ومعه خطاب إنذار له يحمله المسئولية كاملة عن كل الخسائر التي لحقت برعايا الهند البريطانية . لكنه كان متحجر القلب فلم يأبه بشيء . وفي نوفمبر ١٨٨٢ قام وكيل موثوق به من المقيمية البريطانية بزيارة الدوحة على سفينة صاحبة الجلالة « وود لارك » وقدم طلباً للتعويض باسم هؤلاء التجار .. وللمرة الثانية أهمل الشيخ جاسم مطالبه . واخيراً .. في ديسمبر ١٨٨٢ ، وبعد استصدار اذن حكومة صاحبة الجلالة ، قام الرائد روس المقيم البريطاني في الخليج بنفسه بزيارة الدوحة على سفينتي صاحبة الجلالة « وود لارك » و « العربي » ، وأصر –في وجه هذه العدائية المتكررة– بأن يقدم الشيخ جاسم اعتذاره للحكومة البريطانية ، ويدفع التعويض لتجار الهند البريطانية ، ويسمح لهم بالعودة للاستقرار في الدوحة . ووجد الشيخ جاسم نفسه مرغماً على قبول تلك المطالب ، وتم بالفعل تحصيل مبلغ ٨ آلاف روبية دفعت للتجار الهنود الذين كانوا قد لجأوا إلى البحرين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

احتجاج الباب العالي على أعمال بريطانيا ١٨٨٣ :

وبمجرد ان عرف الباب العالي بأمر التحصيل المباشر لتعويض الخسائر ممن يسميه قائمقامه بعمل من جانب البحرية البريطانية في الدوحة ، تقدم باحتجاج الى سفير الحكومة البريطانية في القسطنطينية ورفع الامر الى حكومة صاحبة الجلالة . ويبدو ان الشيخ جاسم كان قد نقل ما حدث إلى السلطات التركية مع بعض المبالغة ، كما هدد بالاستقالة من القائمقامية إذا لم يسترد مبلغ الثمانية آلاف روبية الذي دفعه . وصدرت التعليمات لسفير الحكومة البريطانية بأن يحاول — في البداية — المراوغة من مناقشة هذا الموضوع . واذا تعذر ذلك فعليه أن يذكر بوضوح أن الحكومة البريطانية لا تعترف لتركيا بأي حق من حقوق السيادة على ساحل قطر . وأخيراً ، والمشكلة ما تزال قائمة ، أبلغ لورد جرانفيل سفير تركيا في لندن — كتابة — « أن حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف بزعم تركيا في حقوق السيادة على ساحل قطر » .

وباستثناء هذا التبليغ ، فقد أبلغ السفير التركي مرة أخرى وبوضوح لا يقبل شكاً — في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨٣ — بأن الحكومة البريطانية لا تستطيع قبول مزاعم تركيا ، وليست أيضاً مستعدة لأن تنتقص حقاً واحداً من حقوقها التي مارستها زمناً طويلا في قطر ، والتعامل مباشرة مع شيوخ العرب على ساحلها لمراقبة الأمن في البحار ، ولتحصيل التعويض عن الاضرار التي قد تلحق برعايا بريطانيا او من هم تحت حمايتها .

سوء معاملة الهنود مرة أخرى ، وعمليات قرصنة جديدة ١٨٨٣ — ١٨٨٦ :

وبعد اتفاقية سنة ١٨٨٢ ، رجع خمسة من التجار الهنود الذين طردوا من قبل إلى الدوحة لكن إقامتهم ظلت غير مرغوب فيها بسبب نوايا الشيخ جاسم العدائية نحوهم ، وفي سنة ١٨٨٦ ، وبعد أن اتخذ الشيخ جاسم كل الاحتياطات التي يستطيع بها التنصل من مسؤولية ما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يحدث ، انتقل الشيخ موقتاً من الدوحة إلى العديد ، وبعدها مباشرة هاجم بدو بني هاجر التجار الهنود وجرحوا منهم اثنين جراحاً غير خطيرة ، وارسل مساعد المقيم البريطاني -خان بهادور عبدالرحمن حكيم- لبحث الحادثة وذكر انه وجد من الأدلة ما يشير الى ان هذه الحادثة متعمدة ومدبرة من جانب الشيخ جاسم وابنه الذي تركه مسئولا عن الدوحة ، وأن الهدف منها ارغام التجار الهنود على هجر الدوحة والخلاص بالتالي من منافستهم التجارية. واخيراً ذكر المقيم أن الشيخ جاسم أنكر بشدة اشتراكه في هذه الجريمة وأبدى اعتذاره لوقوعها ، وبأمر من حكومة الهند ، قبل إنكاره واعتذاره ، وانتهى الموضوع .

وفي خريف سنة ١٨٨٦ ، ارتكب بعض بني هاجر عدداً من حوادث القرصنة الصغيرة على ساحل قطر ، وارسل وكيل المقيمية على سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » ليقابل المسئول عن الساحل ، ونجح في الحصول منه على ضمان بالتعاون مع الحكومة البريطانية ، وكان جزء من هذا الضمان كتابياً .

هجوم متعمد على تجار الهند البريطانية في الدوحة ، وما قامت به السلطات البريطانية بعد ذلك ١٨٨٧ :

وفي سنة ١٨٨٧ ، وبعد أن انسحب الشيخ جاسم من الدوحة لخلاف بينه وبين الاتراك ، سادت الفوضى في المدينة وقتاً ما ، وربما بتحريض الشيخ نفسه وهو في المكان الذي انسحب اليه . وفي بداية هذه الاضطرابات قام أقارب الشيخ في الدوحة بحماية التجار الهنود. ولكن في أول أغسطس هاجم بعض الأعراب تاجرين هنديين عمداً وأصابوهما بجراح ، وبدأت عمليات القرصنة أيضاً على طول الساحل ، فوقعت ست حوادث في زمن قصير ، وكان شيخ البحرين وعدد من رعاياه بين ضحايا هذه العمليات ، وطالب هذا ان يقوم بعمل حازم من جانبه رداً على هذه الاعتداءات .. لكن المقيم العام نصحه -بدلا من ذلك- بمصادرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أموال الشيخ جاسم من اللؤلؤ وغيره في البحرين ـ وقيمتها تتجاوز ٢٠ الف روبية ـ وتم بالفعل احتجاز هذه الاموال . وفي نفس هذا الوقت جرى ترحيل رعايا الهند البريطانية بإشراف وكيل المقيم الذي وصل إلى الدوحة لهذا الغرض . ولكي يذكر الشيخ جاسم بمسئولياته ثمّ وصل على سفينة صاحبة الجلالة «اوسبري» بعدها الى البحرين . وكان قائد القوات التركية في الاحساء قد تقدم إلى الدوحة ومعه فرقة من الحرس ، وانشغل فوراً بمساورات مع الشيخ جاسم وغيره من الشيوخ . وكانت نتيجة حملة الرائد روس السلمية مرضية تماماً . فقد ارسل الشيخ جاسم وكيلا عنه مباشرة ليبدأ المفاوضات في البحرين ، وتمت تسوية القضية بأن يدفع من أملاك الشيخ في البحرين مبلغ ٦٣٩٠ روبية تعويضاً لتجار البحرين عن ممتلكاتهم .

احتجاجات الباب العالي ١٨٨٨ :

لكن الشيخ جاسم ـ الذي ارغمته الظروف القاهرة فقط على الخضوع لمطالب بريطانيا ـ لم يترك وسيلة من الوسائل ينقض بها ما تم عليه الاتفاق إلاولجأ اليها . فتقدم إلى والي البصرة وبغداد شاكياً لهما أنه قد جرد من أمواله « جميعاً » في البحرين نتيجة علاقاته بالحكومة التركية . وكانت نتيجة شكواه خطاب تهديد ـ ربما لم تصدر به اوامر من سلطات عليا ـ ارسله متصرف الاحساء إلى شيخ البحرين يطلب منه إعادة أموال الشيخ جاسم اليه . وبعدها تم توجيه الاحتجاج المتوقع أيضاً إلى سفير بريطانيا في القسطنطينية . وبالاشـارة إلى هذا الاحتجاج أحالت حكومة صاحبة الجلالة سفيرها إلى البيانات التي سبق أن أصدرتها سنة ١٨٨٣ والتي كانت ما تزال سارية المفعول .

إيران تطلب مساعدة السلطات البريطانية لها ، ثم لا تستخدمها ١٨٨٧ ـ ١٨٨٨ :

وبالنسبة للخسائر التي لحقت بالرعايا الإيرانين في الدوحة . فقد سأل الشاه عن إمكان مساعدة السلطات البريطانية حكومته في المطالبة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بتعويضات قدرت بثلاثين ألف تومان ، وكان ثمة أمل في الرضوخ لهذا المطلب بعد أن تنتهي تسوية مشكلة مطالب الرعايا البريطانيين . وفي أوائل سنة ١٨٨٨ يبدو أن الحكومة الإيرانية قد اكتفت بتأكيدات الباب العالي .. ولا نعرف يقيناً ما إذا كانت قد حصلت على التعويضات المستحقة لها أم لم تحصل . ويبدو ـ كما أشرنا في تاريخ البحرين ـ أن الوزير الإيراني كان يحبذ فكرة قيام الشيخ جاسم بغزو البحرين لحساب إيران .

زيارة المقيم البريطاني للدوحة ١٨٨٨ :

وفي أكتوبر سنة ١٨٨٨ زار الرائد روس الدوحة والتقى بالشيخ جاسم الذي جاء لمقابلته بصحبة حوالي ٧٠٠ فارس بدوي ، وشكا الشيخ سوء المعاملة التي يلقاها .

مراسلات أخرى بين الحكومتين البريطانية والتركية حول حقيقة وضع الباب العالي في قطر ١٨٨٩ :

وقد أدى نشاط نافذ باشا والي البصرة في القطيف وقطر الى شيء من الارباك للحكومة البريطانية ، ولكن لما كانت أعماله هذه كلها صادرة عن حقيقة واحدة هي نقمة الأتراك وحسدهم لهيمنة بريطانيا على موضوع القرصنة ، ولما كانت الحكومة البريطانية أيضاً لا تود عندئذ الدخول في أية مفاوضات حول الحدود .. فانها لم تعترض على أعمال نافذ باشا موقتاً . وفي نفس الوقت كان ثمة اعتقاد بأن أمير شمر في حائل يعد عمليات عسكرية على عمان ، وأن الاتراك يبيتون مساعدته وامداده بالمقاتلين من الاحساء وقطر . وفي ١٨٨٩ ـ وبهدف واضح هو تأكيد السيادة التركية على قطر ـ أبلغ وزير الخارجية التركية السفير البريطاني في القسطنطينية أن الحامية التركية الموجودة في الدوحة ستعزز بقوات من جيش بغداد . وظنت حكومة صاحبة الجلالة أنه يكفي تذكير الباب العالي بحالة الحرب القائمة وقتذاك بين شيخ الدوحة وشيخ ابوظبي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبأن الاتراك في هذه الحالة إنما يهدفون إلى مد نفوذهم في اتجاه ابو ظبي ، وأن حكومة صاحبة الجلالة لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي في وجه أية محاولة من السلطات التركية للعدوان على عمان او التدخل في شئونها .

علاقات قطر بالبحرين ، والحالة في الزبارة ١٨٧٢ ـ ١٨٩٢

مزاعم شيخ البحرين في الزبارة ١٨٧٣ :

كانت قطر ــخلال هذه الفترةــ مسرحاً تدور عليه أحداث كثيرة كلها هامة بالنسبة للبحرين وبعضها خطير أيضاً . لكن معظم ذلك يرد في تاريخ البحرين ، وسنقتصر هنا فقط على ذكر بعض الملاحظات حول مطالبة شيخ البحرين بقطر والحالة في الزبارة .

فقد أدى احتلال تركيا الأحساء إلى أن تصبح سيادة شيخ البحرين على قطر ــالتي كان مسلماً بها من قبلــ موضع خلاف . وفي سنة ١٨٧١ كلفت حكومة بومباي المقيم السياسي الرائد بيللي بكتابة تقرير عن هذا الموضوع لكنه قام باجازة قبل أن يضع التقرير اعتقاداً منه بامكانية جلاء تركيا عن الأحساء ، وظل الموضوع معلقاً حتى صيف سنة ١٨٧٣ حين تردد أن ضابطاً تركياً قد ذهب الى الزبارة في قطر لإقناع سكانها بالاعتراف بسيادة تركيا . وتحرك شيخ البحرين ليجدد مزاعمه في السيادة على الزبارة على أساس أن قبيلة بني نعيم التي تقيم بالزبارة من رعاياه ، وقد اعترفوا بذلك في وجود الرائد بيللي ، المقيم السابق .

وأبلغ الرائد روس حكومة الهند بعد أن تلقى تقريراً عن الموضوع من جرانت وكيله في البحرين بأن سيادة قطر مسألة غير محددة رغم أن كل الساحل قد وقع مؤخراً تحت النفوذ التركي وأن مزاعم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شيخ البحرين بالسيادة عليها مزاعم ليست مؤكدة ، ولا هو يستطيع فرضها بالقوة ، وأصدر تعليماته لوكيله في نفس الوقت بأن يحاول إقناع الشيخ – كما حدث من قبل – بألا يتدخل في شئون الأرض المجاورة للجزر . وأوصى الرائد بيللي الذي أحيلت اليه الاوراق جميعاً لابداء الرأي بأن تبذل كل الجهود لتجنب مشكلة النزاع الإقليمي في الوقت الحالي ، وكان يظن ان شيخ البحرين – رغم ما يعترف له ببعض حقوق كحقوق الرعي وغيرها على ساحل قطر – إلا انه لا يجب تشجيعه على الخروج الى البحر بهدف الاستيلاء على ميناء في قطر ، ومرة أخرى في سبتمبر سنة ١٨٧٣ عاد شيخ البحرين يؤكد مزاعمه في الزبارة وضرورة طاعة قبيلة بني نعيم له ، وتساءل عما اذا كان يجب أن يتنازل عن حقوقه تلك .. وردت حكومة الهند فأكدت اعتقادها بأن شيخ البحرين ليست له أية حقوق واضحة أو هامة في قطر عموماً ، وأوصت بضرورة منعه بقدر الإمكان عن إثارة الاضطراب في الأراضي القريبة منه .

الهجوم على الزبارة ، وتعزيز شيخ البحرين لها ١٨٧٤ :

وفي سبتمبر سنة ١٨٧٤ حاول بنو هاجر العبور من قطر الى البحرين لكن حركة سفن بحرية بومباي أفشلت محاولتهم ، فوجهوا اهتمامهم الى قرية بني نعيم في الزبارة ، ولولا ظهور القارب البريطاني المسلح « هيو روز » في المنطقة ، والمقاومة الباسلة من جانب حامية الصغيرة هناك لكان محتملا ان يستولي بنو هاجر على الزبارة ويضعوا أيديهم على القوارب التي تمكنهم من غزو البحرين . وأدى هذا التأخير إلى عودة بني نعيم بكل قوتهم من البحرين وشواطيء اللؤلؤ إلى الزبارة ، وبعد عودتهم مباشرة اوقعوا هزيمة حاسمة ببني هاجر ، وقبل نهاية السنة ظهر اللاجيء البحريني ناصر بن مبارك على ساحل قطر ، وخشي شيخ البحرين أن تسقط الزبارة بين يديه ، فطلب من الرائد روس ، المقيم العام ، السماح له بتعزيز الزبارة على أساس أنها من توابع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البحرين ومن معاقلها الهامة ، وإنه لو لم يساعد حلفاءه بني نعيم لفقد عونهم له في المستقبل . وكانت هذه الاعتبارات وراء موافقة الرائد روس على تعزيز الزبارة كأجراء دفاعي فقط ، لكن عمله لم يلق قبولا لدى حكومة الهند التي كانت تتمسك بقرارها في العام السابق بضرورة عدول شيخ البحرين عن إرسال إمدادات من الرجال للزبارة مع تشجيعه أيضاً على الاعتماد اعتماداً مطلقاً على الحكومة البريطانيـة للدفاع عن جزره .

وبعدها مباشرة ذاع أن والي بغداد قد نقل إلى الباب العالي تلغرافياً صورة محرفة وبالغة السخف لما حدث ، فقد صور الأمر على أن قبيلة بني نعيم في الزبارة متمردة على السلطة الشرعية للحكومة التركية . وأن بني هاجر قد استخدمتهم هذه السلطات لقمع التمرد ، لكن المتمردين أفلتوا من العقاب نتيجة تدخل خارجي من شيخ البحرين . وكانت الأخطار التي تتهدد البحرين من ناحية قطر – كما يرى المقيم العام– ناشئاً معظمها عن موضوع تبعية ساحل قطر المواجه للبحرين للباب العالى أم لا .

حكومة الهند لا تقر مزاعم شيخ البحرين في السيادة على قطر ١٨٧٥ :

وعاد شيخ البحرين –رغم أنه أبدى استعداده لاتباع نصائح الحكومة البريطانية– مرة أخرى في إبريل سنة ١٨٧٥ يؤكد مزاعمه في السيادة على قطر كلها مؤكداً أنها كانت خاضعة من قبل للبحرين وتدفع لها الجزية . وحين رفعت هذه الحقائق إلى حكومة الهند أبدت أسفها لاستمرار شيخ البحرين في الزج بنفسه في شئون الأرض المجاورة له . وأمرت بأن يلفت نظره إلى أن استمراره في هذا السلوك الذي يعارض نصائح بريطانيا له ، ويعرضه لمشاكل البرّ القطرى ، أمر ستكون نتائجه عليه هو وحده ، أما بريطانيا من ناحيتها فسوف تحتفظ بحقها في أن تتخذ ضده من الاجراءات ما تراه ضرورياً . ونقل الملازم فريزر مساعد المقيم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مضمون ذلك الخطاب الى الشيخ عيسى شخصياً ، واصر الشيخ على أن حقوقه في البحرين ما زالت شرعية وقائمة ، لكنه رغم ذلك أعلن خضوعه لاوامر الحكومة .

جلاء شيخ البحرين عن الزبارة ١٨٧٥ :

وتقدم الشيخ بعد ذلك بطلب عن طريق أخيه للسماح بتأخير انسحاب رجاله عن الزبارة حتى نهاية موسم اللؤلؤ لكن طلبه رفض . وقد ظلت الحالة هادئة في الزبارة وما جاورها الا من بعض إغارات متبادلة على المواشي التي يملكها كل من بني هاجر وبني نعيم ، ولكن أثناء موسم صيد اللؤلؤ خرج بعض بني هاجر الى البحر لعملية قرصنة . وأدى خروجهم كما هو مذكور في تاريخ البحرين إلى عمل متطرف قام به شيخ البحرين في مياه بعيدة عنه تماماً .

الحالة في الزبارة ١٨٧٦ — ١٨٧٧ :

وفي سنة ١٨٧٦ انقسمت قبيلة بني هاجر موقتاً الى قسمين ارتبط قسم باللاجىء البحريني ناصر بن مبارك ، وبقي الثاني مع بني نعيم في الزبارة . واتخذت الاحتياطات مرة أخرى فوجه إنذار لشيخ البحرين بألا يتدخل في المشاكل على البر . ولكن يبدو ان هذا لم يكن ضرورياً . فلم ينتج شيء عن هذا التحالف الجديد .

وفي سنة ١٨٧٧ قدمت شكاوى —كما هو مذكور في تاريخ البحرين— من أن الشيخ عيسى ما تزال علاقاته وثيقة بالزبارة ، وثوقاً غير مرغوب فيه . لكن البحث أثبت عدم صحة هذه الشكاوى ، وأن الشيخ لم يكن يعمل أكثر من المطلوب لإبقاء بني نعيم إلى جانبه ومنعهم من الاتصال ببني هاجر .

تدمير الزبارة ١٨٧٨

وفي سبتمبر سنة ١٨٧٨ —كما هو مذكور في تاريخ الأحساء— وقعت حادثة قرصنة رهيبة قتل فيها أربعة أشخاص ، ارتكبها أهل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الزبارة على قارب عابر ، وأصدرت حكومة الهند اوامرها للرائد روس المقيم السياسي بأن يطلب الى السلطات التركية إيقاع العقاب بأهل هذه المنطقة وأن يعرض عليها عون البحرية البريطانية لهذا الهدف . وقد نفذ هذه التعليمات بأن سار بنفسه في ٢٢ أكتوبر إلى البصرة ، حيث عقد اجتماعاً مرضياً بعض الشيء مع واليها عبدالله باشا . وفي نفس الوقت أو بعده بقليل ، وقع هجوم على الزبارة –التي كان اهلها مدعاة للكراهية بسبب ما يرتكبون من الغارات وعمليات القرصنة ضد جيرانهم من كل صوب – بقوات كبيرة يقودها الشيخ جاسم شيخ الدوحة وناصر ابن مبارك ، وحين سمع الرائد روس بهذه المشكلة الجديدة أبحر من فوره من بوشهر إلى البحرين في ١٧ نوفمبر وصحبته سفينتا صاحبة الجلالة « تيزر » و « العربي» ورستا في ميناء البحرين . وصعد اليه الشيخ عيسى على ظهر السفينة ، وألح في وجوب القيام بعمل لانقاذ بني نعيم في الزبارة لكن المقيم رفض فسخط الشيخ سخطاً عظيماً . وفي ١٨ نوفمبر نزل الرائد روس إلى الزبارة من سفينة صاحبة الجلالة « تيزر » وزار معسكر الشيخ جاسم وكان مضروباً على مبعدة نصف ميل تقريباً من حصن مرير الذي حصر فيه بنو نعيم وقد تجاوز عددهم خمسمائة شخص . أما قرية الزبارة نفسها فقد تحولت فعلا الى أنقاض . وذكر أن عدة قوارب قد أحرقت أيضاً ، ويبدو أن القوة التي كانت تصحب الشيخ جاسم كان قوامها الفي رجل مسلح ، ونتيجة هذا التفاوت الكبير بين عدد المهاجمين والمهاجَمين لم يقع قتال فعلي . وحين عاد الرائد روس الى البحرين وجد برقية من والي البصرة الذي يعرفه موجهة إلى قائمقام القطيف يأمره فيها بارسال القارب التركي المسلح «اسكندرية » فوراً الى الزبارة للحيلولة بين هذه القوات المهاجمة وغزو البحرين ، وأبلغه ان هذا الامر قد نفذ بالفعل . وقد استسلم بنو نعيم عقب رحيل الرائد روس مباشرة بشروط غير منصفة ، ولم تعد الزبارة مكاناً آهلا بالسكان بعد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما سكانها –الذين يبدو أن قائد السفينة التركية « اسكندرية » استطاع عقد صلح بينهم وبين الشيخ جاسم– فقد انتقل معظمهم في البداية إلى الدوحة ، وقد اتفق رأي المقيم العام وشيخ البحرين معاً عندئذ على أن أفضل حل لمشكلة الزبارة في ذلك الوقت يواتي أمن البحرين هو احتلال تركيا الدائم لها .

اشاعات عن احتلال الاتراك للزبارة ١٨٨٨ – ١٨٩١ :

وفي سنة ١٨٨٨ ذكر أن الاتراك ينوون إعادة بناء الزبارة ، وخشي أن يكلفوا بذلك وكيلهم الخارج على القانون من البحرين ناصر بن مبارك فأصدرت حكومة الهند تعليماتها للمقيم العام بأن يبلغ هذا الرجل والشيخ جاسم أيضاً – الذي كان صهره – بأنهم لن يسمحوا لاحد بالاستقرار في الزبارة ، ولم تلاحظ أي محاولة لاعادة احتلال المكان بعدها . وفي ١٨٩٠ و ١٨٩١ ترامت شائعات عن تعيين مدير تركي للزبارة ، وقد عرض هذا المنصب في البداية على محمد بن عبدالوهاب في دارين لكنه رفض ، ولكن يبدو أن المسئولين الاتراك قد عدلوا عن المشروع كله بعد أن وصل المدير المعين بالفعل إلى البحرين .

علاقات قطر بابو ظبي والحالة في العديد ١٨٧٢ – ١٨٩٣

سنجد في تاريخ إمارة أبو ظبي إشارة إلى مستعمرة بعض بني ياس المنشقين في خور العديد من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٧٨ ، وكانت مستعمرتهم هذه تقع داخل الحدود الإقليمية للعديد لكننا سنشير الآن فقط إلى تأثير بعض الأحداث هناك على قطر التي تلاصق الخور عن قرب .

علاقة تركيا بالعديد ١٨٧١ – ١٨٧٦ :

في سنة ١٨٧١ –وعقب وصول الأتراك إلى الأحساء مباشرة– تبين أن العلم التركي قد عرض على بني ياس هؤلاء في خور العديد ، وكانوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يؤكدون دائماً أنهم مستقلون عن جميع القوى .. لكنهم رفضوا قبول العلم . وسرت إشاعة أخرى مضادة تقول إنهم قبلوا العلم فعلا ورفعوه يوم الجمعة . وفي سنة ١٨٧٣ زار أربعة أتراك العديد . حيث توصلوا الى اتفاق يدفع المستوطنون فيها بموجبه مبلغ ٤٠ أو ٥٠ روبية لهم كل سنة عن طريق الشيخ جاسم في الدوحة ، ثم رحلوا بعد ان منعتهم رداءة مياه الشرب من إقامة موقع لهم . وفي سنة ١٨٧٤ أعلن الشيخ زايد شيخ ابو ظبي أن السلطات التركية المحلية كتبت اليه تعلن أن العديد تحت حمايتها؛ وتطلب منه عدم التدخل هناك لكنه لم يستطع أن يقدم تلك الخطابات حين طلبت منه .

وفي سنة ١٨٧٥ تبين أن لدى شيخ العديد علمين : علم تركيا وعلم المشايخ المتصالحين وأنه يرفع أحدهما أو الآخر حسب مقتضى الحال ؛ وفي ١٩ أكتوبرسنة ١٨٧٦ حين زار الكابتن جوثري العديد على السفينة « ماي فرير » وجد علم عمان المتصالحة مرفوعاً لكنه فهم أن الجزية كانت ما زالت تدفع لتركيا .

مراسلات مع الباب العالي خاصة بحوادث القرصنة في العديد ١٨٧٧ :

وفي سنة ١٨٧٦ و ١٨٧٧ ارتكب بعض آل مرة عدداً عن اعمال القرصنة على مرافيء القوارب في العديد ، وكانت هذه القبيلة البدوية تابعة اسمياً لتركيا . ولم يكن بمقدور شيخ العديد منع وقوع هذه الحوادث ، وأصبح التفاهم مع الحكومة التركية بهذا الصدد ضرورياً . وتحاشت حكومة صاحبة الجلالة أن تشير إشارة محددة إلى العديد ـ لأن هذا يثير مشكلة إقليمية مستعصية ـ واكتفت بأن تلفت نظر الباب العالي الى تزايد أخطار القرصنة على ساحل قطر نتيجة امتداد سيطرة تركيا بهذا الاتجاه ، وأكدت مرة أخرى عزمها على ألا تسمح للقراصنة باشاعة الاضطراب في مياه الخليج سواء كان هؤلاء القراصنة خارجين فعلا من أماكن خاضعة للنفوذ التركي كميناء الدوحة ، أو منتمين إلى القبائل التي تعترف بسيادة تركيا يبحرون من موانىء شيوخ مستقلين لكنهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أضعف من أن يستطيعوا منع ذلك الاضطراب في أقاليمهم ، وانكرت الحكومة التركية في ردها معرفتها أية حوادث قرصنة وقعت على شاطىء قطر وطلبت التفصيلات .

شكوى الباب العالي من عمل البريطانيين في العديد ١٨٧٨ :

وفي سنة ١٨٧٨ شكا وزير الخارجية التركية من أعمال للسلطات البريطانية في العديد قبل عدة شهور أدت – كما هو مذكور في تاريخ إمارة أبو ظبي – إلى أن يهجر بنو ياس مستعمرتهم . وفي خلال هذه المراسلات وضح أن تركيا تعامل العديد كجزء تابع لإقليم قطر التركي . ولا نجد في تقارير حكومة الهند رداً على هذه الشكاوى ولكن في المراسلات التي أعقبت ذلك مباشرة ودارت حول حوادث القرصنة على ساحل الاحساء وقطر يبدو واضحاً أن الحكومة البريطانية كانت قد قررت ألا تعترف بمزاعم تركيا في السيادة على العديد أو أي مكان سواها غرباً .

حرب طويلة بين شيوخ الدوحة وأبو ظبي :

ومن سنة ١٨٧٦ وصاعداً ، ونتيجة وجود المتمردين من بني ياس في العديد ، استمرت الأعمال العدائية دائرة بين شيخ الدوحة وشيخ أبو ظبي وفي سنة ١٨٨٠ ، ولدى عودة القبيسات الى ابو ظبي ، ازدادت حدة العداء بين هذين الشيخين . وخلال إقامة القبيسات في العديد سقط هذا المكان تماماً تحت سيطرة الشيخ جاسم الذي خسره مرة أخرى برحيلهم عنه ، واتضح غيظه في المطالب المالية التي أصبح يتقدم بها من زعيمهم بطي بن خادم .

١٨٨١ :

وفي سنة ١٨٨١ أنهى الشيخ جاسم إلى المقيم البريطاني رغبته في احتلال العديد والقاء القبض على بطي بن خادم ، لكن المقيم استطاع أن يحول بينه وبين القيام بأي من هذين العملين .. وفي ديسمبر سنة ١٨٨١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أغار بنو هاجر وغيرهم من بدو قطر على منطقة بجوار ابو ظبي واستطاعوا الاستيلاء على عدة جمال ثم بيعها في الدوحة ، وبعدها مباشرة تهيأ شيخ ابو ظبي للانتقام ، واستعد الشيخ جاسم بدوره للدفاع ، وأخيراً وبفضل تدخل محمد بن عبدالوهاب سويت المسألة دون قتال .

١٨٨٥ :

وفي سنة ١٨٨٥ ، وبعد فترة ساد فيها السلم عاد الشيخ جاسم لتجديد نزاعه مع شيخ ابو ظبي فزعم ان له ديناً عند بطي بن خادم ضمنه فيه الشيخ زايد ولم يسدد ، وأن المناصير الذين هم تحت حماية الشيخ زايد قد نهبوا بعض أهالي قطر في جزيرة دالمه وقد اغاروا على إقليم قطر نفسه . وزعم أيضاً أن الشيخ زايد يتدخل في شئون العديد التي هي شرعاً تابعة للشيخ جاسم الذي يعتزم احتلالها . وربما كان يقصد بشكايته من المناصير ما قام به فرع آل بو شعر من هذه القبيلة حين استولوا على قطيع من الماشية وثلاث من الجواري لاقارب الشيخ جاسم في نعيجة بالقرب من الدوحة . وقد قام بنو هاجر وآل مرة بارتكاب عدة غارات انتقامية عليهم باسم الشيخ جاسم ، فقد أغارت هذه القبائل على بلاد بني ياس ، وحملوا منها ستة جمال بيعت في أسواق الدوحة ، واستمرت هذه المهاترات دائرة بينهم حتى سويت المسألة بتدخل اللاجيء البحريني ناصر بن مبارك . وفي نفس الوقت أجاب المقيم العام على اتصال من جانب الشيخ جاسم به ، فأفصح عن رغبته في أن يتخلى الشيخ عن نواياه في احتلال العديد ، وأن يقدم بدل ذلك تفصيل شكاواه من شيخ أبوظبي مستهدفاً تسوية الخلافات والصلح معه .. لكن الشيخ جاسم لم ير من اللائق به تلبية تلك الدعوة .

١٨٨٦ :

وفي صيف سنة ١٨٨٦ أبلغ الشيخ جاسم الشيخ زايد انه تلقى توجيهات من السلطات التركية باعادة بناء العديد ، وإثباتاً لما يقول ارفق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بكتابه خطاباً موجهاً اليه من قائد السفينة التركية « زحاف » بذلك الفحوى ، وقد قدم شيخ أبو ظبي هذه المراسلات الى المقيم العام . وفي نفس الوقت تقريباً تحرك الشيخ جاسم من الدوحة باتجاه العديد ومرة أخرى حذره المقيم من هذا العمل مستنفراً سفينة حربية للتوجه مباشرة الى المكان ومقدماً احتجاجاً في نفس الوقت إلى السلطات التركية ، بينما أنكر والي البصرة –في رده الكتابي عليه– معرفته بهذا الأمر الصادر عن قائد السفينة « زحاف ». ولم يقم الشيخ جاسم بالتالي بأية محاولة لإعادة احتلال العديد .

١٨٨٧ :

وفي سنة ١٨٨٧ هاجمت سفينة قراصنة من الوكرة قارباً للقبيسات من بني ياس على شاطىء اللؤلؤ وجرح أحد بحارة هذا القارب جراحاً خطيرة أفضت إلى موته .

موت ابن الشيخ جاسم في الحرب ١٨٨٨ :

وفي سنة ١٨٨٨ وصلت الحرب الطويلة بين شيوخ الدوحة وأبوظبي فجأة إلى أزمة حادة . ففي فبراير من هذه السنة ، وأثناء وجود والي البصرة في الدوحة بالفعل ، حدثت غارة قام بها المناصير على ظهور جمالهم واستطاعوا فيها سبي ٤٠ عبداً وجارية معظمهم لآل بو شعر في نعيجة ، بل إن منَ المناصير مَنْ تقدم أكثر واستطاع أن يخطف عبدين أو ثلاثة من أطراف الدوحة نفسها ، وقد فشلت مطاردتهم . وفي مارس قام الشيخ جاسم بغزوة انتقامية لإقليم ليوى(١) في ظفره واستطاع أن يستولي على أكثر من ٤٠٠ بعير وزعها على رفاقه ، كما استطاع أن يسترد اثنين من العبيد الذين خطفوا من الدوحة سالمين ، ودمر ٢٠ قرية من قرى ليوى تدميراً كاملا . وفي مايو تجدد الصراع مرة أخرى حين أرسل الشيخ زايد قوة قوامها ٢٥٠ بدوياً للهجوم على الدوحة يقودهم

---

(١) أصلها الاجواء ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابنه خليفة ، وكان الشيخ جاسم قبل وصولهم في الظعاين ، وخرج أهل المدينة لصدهم لكنهم استدرجوا لكمين خسروا فيه ٣٤ رجلا من بينهم علي بن الشيخ جاسم .

أهداف تدخل تركيا ووسط الجزيرة في القتال ١٨٨٨ :

واستولى على الشيخ جاسم ذهول الغضب وذهول الحزن ، فاتصل بالأتراك محاولا إغراءهم بغزو عمان المتصالحة ، وطلب العون من ابن رشيد . وقام بمراسلة شيوخ عمان المتصالحة خلاف الشيخ زايد ، وقدم معونات لكثير من قبائل البدو . وحين رحب ابن رشيد بطلبه توقعت السلطات البريطانية حدوث اضطرابات كثيرة على مستوى شامل . بل وتوقعت أيضاً هجوماً من الشيخ جاسم وحلفائه على ابوظبي .

١٨٨٨ :

لكن تركيا لم تتحرك ربما بسبب الانذار الذي امرت حكومة الهند بتوجيهه إلى الباب العالي بعدم التدخل ، وظل ابن رشيد هادئاً أيضاً ، وتجددت أعمال الشيخ جاسم الانتقامية أخيراً في غزو ليوى . وفي يناير وفبراير سنة ١٨٨٩ قام بهجومه الذي قطع فيه ثمار النخيل وقتل الرجال والنساء والاطفال دون رحمة ، كما حرم أيضاً على رعايا شيخ دبي – الذي خيل اليه أنه مرتبط بشيخ ابوظبي – النزول إلى قطر للتجارة أو لهدف آخر . وفي إبريل انتقم بنو ياس لانفسهم بشن غارة على منطقة بر القارة البعيدة واستطاعوا أن يحملوا معهم عدداً كبيراً من الجمال لقبائل البدو التي تناصر شيخ الدوحة . ورد أنصار الشيخ جاسم في يونيو بغزوة في اتجاه أبوظبي عادوا منها بجمال لآل الدروع بو شميس من بني نعيم . وفي أغسطس تحول عدد من آل مرة إلى جانب الشيخ زايد وتعهدوا بأن يقفوا الى جانبه ضد المغيرين من قطر ، ولرغبة الشيخ جاسم الشديدة في الهجوم . غامر مرة بارسال رجال مسلحين وذخائر في قارب إلى سلع وهي مكان غربي خور العديد فهو بالتالي جزء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من ابو ظبي ، لكن المقيم العام بادر بأوامر من حكومة الهند إلى توجيه اللوم اليه لهذا العمل ، وأضاف يحذره من أنه لو تكرر فسيؤدي إلى نتائج وخيمة بالنسبة له .

عون الاتراك لشيخ الدوحة في الحرب ١٨٨٩ :

وخلال استمرار هذه الحرب ، تلقت الحامية التركية الموجودة في الدوحة أوامر بمعاونة الشيخ جاسم في الدفاع عن المدينة إذا تعرضت لهجوم ، لكنها كانت ممنوعة من القيام بأية عملية ضد أي مكان يبعد عن الدوحة أكثر من مسيرة أربع ساعات . وفي نهاية سنة ١٨٨٩ حاول والي البصرة عقد الصلح فكتب الى الشيخ زايد شيخ ابو ظبي يطلب منه الرضوخ لتحكيم السلطات التركية في الخلاف القائم حسماً للنزاع وحقناً للدماء ، باسم الدين الاسلامي الذي يدين به أطراف النزاع جميعاً ، وباسم سيادة سلطان تركيا « المستترة » على هذه الاطراف وإن حاولت الدول الاجنبية إنكارها . ورد شيخ ابو ظبي على هذا الخطاب -بنصيحة من المقيم السياسي البريطاني- يقول ان هذا شأنه هو ورغبته هو أن يدافع عن ارضه ما لم يتوقف شيخ الدوحة عن القيام بهذه الأعمال العدائية ضده.

١٨٩٠ - ١٨٩١ :

وفي سنة ١٨٩٠ استمرت الإغارات المتبادلة ، وكان الانتصار بشكل عام حليف شيخ الدوحة ، وفي ١٨٩١ استطاعت قوة مغيرة من قطر أن تصل فعلا قرب مدينة أبوظبي ثم ترجع دون ان يلحق بها المطاردون .

شائعات عن استهداف الاتراك احتلال العديد ١٨٩٠ - ١٨٩١ :

وفي ١٨٩٠-١٨٩١ تناثرت شائعات -كما أشرنا من قبل- مفادها أن الأتراك ينتوون تعيين «مدير » للعديد ، لكن هذه الشائعات انتهت إلى لا شيء رغم وصول هذا المدير المعين إلى البحرين بالفعل من البصرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التمرد على السلطة التركية في قطر ١٨٩٣

كانت العلاقات بين تركيا وشيخ الدوحة –ممثلها الاسمي في قطر– تزداد توتراً يوماً بعد يوم لأن الشيخ جاسم نجح بالفعل في إحباط مشروع تركيا باقامة دار للعوائد في الدوحة ، كما كان الأتراك يعتبرونه مسئولا عن معظم القلاقل والاضطرابات بين القبائل في إقليم قطر وعلى طول ساحله . ووصلت هذه العلاقة إلى أزمة حادة أثناء زيارة قام بها والي البصرة لقطر أثناء جولته في الأحساء ، وكان واضحاً أن المقصود بها تسوية الأمور هناك .

المفاوضات بين الشيخ جاسم ووالي البصرة فبراير–مارس ١٨٩٣ :

وصل صاحب السعادة الوالي عن طريق البر قادماً من الهفوف قرب نهاية فبراير سنة ١٨٩٣ يصحبه ٣٠٠ فارس وفرقة من المشاة قطعوا الطريق من البصرة عبر الكويت . واستدعى الشيخ جاسم اليه في الدوحة ، لكن هذا خشي القاء القبض عليه –رغم وعده بالأمان– فلم يذهب لزيارته ، فاقترح الوالي –لشكه في الخيانة من ناحية وحفاظاً على هيبته من الناحية الاخرى– أن يتقابلا في الصحراء ومع كل جماعة قليلة من الرجال فقط . واستمرت المفاوضة دائرة شهراً عن طريق وسيط هو أحمد شقيق الشيخ جاسم الذي رفض النزول من موقعه الذي اتخذه في الوجبة –١٢ ميلا غربي الدوحة– .. وفي النهاية قرر الوالي أن يلجأ الى العنف .

هزيمة القوة التركية ٢٦ مارس ١٨٩٣ :

وفي ليلة ٢٥ مارس –وبعد ان قام الوالي باحتجاز أحمد شقيق الشيخ جاسم و ١٢ من أعيان الدوحة – تحركت القوات التركية لتباغت الشيخ جاسم في الوجبة ، لكنها فشلت . وتجمع العرب وهاجموا القوات التركية فهزموها وشتتوا أفرادها ، وكان معظم القتال الذي دار في منطقة مسيمير على بعد سبعة أميال جنوبي الدوحة ، ومن هذا المكان يبدو أن القوات

التركية حاولت أن تطوق الوجبة ، أو أنها وجدت هناك طريقاً مناسباً للانسحاب فعادت بعد أن تكبدت خسائر كثيرة متراجعة إلى حصن الدوحة ، وقامت السفينة الحربية التركية « مريخ » باطلاق نيرانها لتغطية هذا الانسحاب ، ثم راحت بعد ذلك تطلقها على المدينة ، ونقل الوالي مقره الى ظهر السفينة ، وقدرت خسائر الاتراك كلها في ذلك اليوم بحوالي مائة رجل ومن العرب حوالي ٤٠٠ من الرجال والنساء والاطفال ، واستطاع العرب بالسيطرة على آبار المياه القريبة من الدوحة وإرغام الوالي على إطلاق سراح أحمد ووجهاء الدوحة الذين كانوا رهائن عنده ، وكان على الوالي ايضاً أن يدبر أموره لعودة فرسانه الذين جاء بهم من الاحساء براً عن طريق الهفوف . وبعد هذه الاحداث هجر الدوحة سكانها وتفرقوا في أماكن عديدة ، وظل الشيخ جاسم يعيش هادئاً في الوجبة ، وظلت السفينة التركية « مريخ » والوالي على ظهرها راسية في ميناء الدوحة .

محاولات بريطانيا للتدخل مايو ١٨٩٣ :

وقبل هذا الصدام بعدة أيام كان الشيخ جاسم لإحساسه بتزايد صعوبة موقفه قد كتب إلى المقيم السياسي البريطاني يطلب حمايته ، كما طلب أيضاً من شيخ البحرين أن يقيم تحت رعايته — في الجزء الشمالي من قطر . وحين عرف أمر واقعة مسيمير في لندن والقسطنطينية طلب لورد روزبري وزير الخارجية البريطانية ارسال المقيم العام في المنطقة أو سواه من المسئولين للتوسط بين تركيا والشيخ جاسم ، وسار الرائد تالبوت حسب هذه الاوامر من بوشهر إلى نهاية الدوحة في إبريل لكن الوالي رفض مناقشة الامر معه دون اوامر من الباب العالي . وفي نفس الوقت الذي سار فيه الرائد تالبوت الى الوكرة ليلتقي بالشيخ جاسم جاءت اوامر الباب العالي بعزل الوالي . ووافق أحمد —الذي عينه شقيقه الشيخ جاسم سفيراً مفوضاً له — على قبول القرار الذي يتخذه المقيم البريطاني ، وطلب تحديد مكان يلجأون اليه على ساحل قطر ، وهناك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يستطيع أن يجدد اتفاقية سنة ١٨٦٨ ، أو يتعهد بقبول نفس الالتزامات التي يلتزم بها شيوخ عمان المتصالحة . وعند هذا الحد انتهت أعمال بريطانيا .

التسوية النهائية يونيو ١٨٩٣ :

وفي يونيو سنة ١٨٩٣ وبتوسط من نقيب البصرة تم التوصل لاتفاقية بين الحكومة التركية والشيخ ، تقضي بأن يتنازل الشيخ جاسم — في مقابل الاسلحة التي استولى عليها من الاتراك الأسرى — عن قائمقامية قطر لشقيقه أحمد ، ويعفى عنه عفواً شاملا بعدها .

★ ★ ★

التاريخ العام والداخلي في قطر بعد التمرد على الاتراك ١٨٩٣ ـ ١٩٠٧

تعين مساعد قائمقام تركي في الدوحة ١٨٩٣ :

ورغم هذه الاتفاقية ، ورغبة الشيخ جاسم في التوقف عن خدمة الاتراك ، فقد ظل الاتراك يعاملون الشيخ جاسم على أنه قائمقامهم في قطر. لكن مسئولا تركياً تم تعيينه كمساعد للقائمقام في الدوحة ، وربما كان رفض الاتراك قبول استقالة الشيخ جاسم من القائمقامية ناشئا عن كون الشيخ في هذا المنصب أقل خطورة منه لو ترك حراً لا يقيده شيء .

١٨٩٤ :

وفي سنة ١٨٩٤ قام الجنود الأتراك بقتل مساعد القائمقام التركي وزوجته وكانا قد هربا في البداية الى الوكرة ثم قبض عليهما واعيدا من هناك .

١٨٩٦ :

وفي يوليو سنة ١٨٩٦ سطا بنو هاجر على أكثر من ثلاثة آلاف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رأس من الغنم وعدد من الجمال لبنى نعيم في قطر ، وتدخل ابن رشيد وطلب أن يدفع الشيخ جاسم تعويضاً لبني نعيم وقد حدث هذا بالفعل .

١٨٩٧ :

وفي ١٨٩٧ يبدو أن الشيخ جاسم قد أبلغ المتصرف –باسم أهل قطر– أنهم لن يساهموا بعد في نفقات الحرب الدائرة بين تركيا واليونان .

الاضطرابات في الدوحة ١٨٩٨ :

وفي ١٨٩٨ – وأثناء فترة غياب موقته للسفينة التركية الراسية دائماً في ميناء الدوحة– حدث تمرد محدود قتل فيه بعض الاتراك والعرب . ويبدو ان سبب ذلك هو اعتقاد العرب بأن السلطات التركية هي التي اوعزت بحملة شيخ الكويت الناجحة في ابريل سنة ١٨٩٨ على بني هاجر المتمتعين بحماية الشيخ جاسم ، وبعد هذه الحادثة عززت حامية الدوحة .

١٩٠٢ :

وفي سنة ١٩٠٢ رفض الشيخ جاسم وشقيقه أحمد دعوة لزيارة الاحساء .

١٩٠٥ :

وفي سبتمبر سنة ١٩٠٥ أخطأ الشيخ أحمد شقيق الشيخ جاسم في قتل يهودي وقعت له ملاحاة معه في الدوحة ، وقتل بدله مواطناً تركياً مسلماً كان بصحبته ، وكان متوقعاً أن تثير السلطات التركية في البصرة مشاكل حول هذه الحادثة ، وحين عرف الشيخ أحمد خطأه اعتذر للمسئولين الاتراك وعرض مبلغ ٨٠٠ روبية دية لاقارب القتيل لكن هؤلاء رفضوا قبول الدية .

١٩٠٦ :

وفي سنة ١٩٠٦ ذكر أن حامية الدوحة كان قوامها رسمياً مئتي جندي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكن الموجودين منها دائماً لا يتجاوزون النصف ، بسبب هرب الجنود من الخدمة .

الوضع الاداري في قطر ١٩٠٥ :

وفي نوفمبر سنة ١٩٠٥ ، وخلال زيارة قام بها الكابتن بريدو الوكيل السياسي في البحرين القيت أضواء كثيرة على حقيقة الوضع الاداري في قطر . وتبين ان الشيخ جاسم رغم السنوات الخمس أو الست التي قضاها متقاعداً في الوسيل ورغم استقالته رسمياً من القائمقامية والرئاسة ظل الحاكم الفعلي للدوحة وما حولها ، ولم يكن يتم إبرام شيء ذي خطر في قطر دون مشورته . وفي نفس الوقت نجح الشيخ أحمد ، وكان يقوم فعلا بمهام القائمقام وكان بالتالي وسيط التعامل مع السلطات التركية ، في أن يدعم مكانته الشخصية ، ولهذا دب شيء من الغيرة بينه وبين شقيقه الشيخ جاسم – كذلك كان ثالث أبناء الشيخ جاسم – وهو عبدالرحمن – مستقلا استقلالا شبه كامل بحكم الوكرة .

ورغم تقدم السن بالشيخ جاسم – الذي ربما جاوز الثمانين – إلا أنه كان محتفظاً بكامل قواه وملكاته ، وكان مهتماً أعظم الاهتمام بكل الامور المتعلقة بعمله .

اغتيال الشيخ أحمد في ديسمبر ١٩٠٥ وما أسفر عنه :

وفي ديسمبر سنة ١٩٠٥ عقب زيارة الكابتن بريدو ، لقي الشيخ أحمد مصرعه على يد خادم من خدمه من بني هاجر بسبب حقد شخصي ، ولكن ثارت الشكوك بشكل عام في أن خليفة أكبر أبناء الشيخ جاسم ، كان مشتركاً في هذه الجريمة ، وأثبت الشيخ الكبير أنه ما زال قادراً على مواجهة مثل هذه الطوارىء ، فأصدر اوامره لبني هاجر بأن يتوافدوا مستسلمين على معسكره ، وهناك تعهدوا بالقبض على القاتل وإعدامه ، وفي نهاية إحدى مناقشاته معهم ، حدثت حادثة مفاجئة هي انقضاض عبد من عبيد الشيخ المقتول على سالم بن شافعي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـشيخ فرع المخضبة من قبيلة بني هاجرـ وقتله ، ورفض آل ثاني رفضاً تاماً أن تكون لهذه الحادثة أية علاقة بالقضية الاصلية ، ولم يتعثر سير المفاوضات ، وبعدها بعدة أسابيع لقي قاتل الشيخ أحمد مصرعه في الظهران على يد ابن شقيق سالم بن شافعي وانتهت الأزمة التي أحدثها مصرع الشيخ أحمد . وكان من نتائج مصرعه أن أصبح عبدالله ـرابع أبناء الشيخ جاسمـ مسئولا عن الدوحة ، وقد أثبت أنه أفضل من شقيقه خليفة نظراً لطاعته المطلقة للشيخ جاسم . ولوحظ أن الاتراك قد تفادوا بذكاء أن يتدخلوا في تعيين شيخ جديد للدوحة ، وتركوا الأمر كله للشيخ جاسم . وكانوا يحترمون استقلاله في فض النزاعات القبيلية الداخلية غير أن القائد العسكري التركي في حصن الدوحة استمر في الاشراف على العلاقات الخارجية . وفي نوفمبر سنة ١٩٠٦ حاول عبد زنجي الاعتداء على حياة الشيخ عبدالله ، ولم يلق مصرعه إلا بعد أن قتل رجلين .

مشاكل قبلية ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦ :

وفي إبريل ١٩٠٥ قاد الشيخ أحمد شيخ الدوحة حملة من آل مرة وبني هاجر وفرع المخضبة من بني نعيم على عجمان وبني خالد من فرع العماير وبني هاجر من فرع آل محمد الذين كانوا مجتمعين في صحراء جافورة ، وغنموا بعض الماشية ولكن قتل منهم خمسة رجال . وفي مايو سنة ١٩٠٦ قاد الشيخ عبدالله شيخ الدوحه حملة تأديبية صغيرة على المتمردين من قبائل بني هاجر والمناصير ، وعاد مرة أخرى في يوليو يغير على هؤلاء البدو ، فتقدم بنفسه حتى دوحة سلوى ، ومنها ارسل جماعة قتل أفرادها حوالي ١٢ بدوياً ، ووصلت عن طريق برّ القارة الى العقير

وفي أغسطس سنة ١٩٠٦ زار شيخ آل مرة الذي اوقعت به عقوبات شديدة من جانب عجمان وأصبح لاجئاً الشيخ عبد الله ، وفي سبتمبر من نفس السنة بدأت عجمان حرباً طويلة على أهل الدوحة حين استولوا على ١٠٠ من إبلهم ، وبدأوا اشتباكات فيما بينهم . وفي نوفمبر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تم التوصل الى اتفاقية بين شيخ المخضبة من بني هاجر والشيخ جاسم أصبح للاول بمقتضاها الحق في أن يضرب خيامه ويعيش بسلام في قطر ..

★ ★ ★

علاقات بريطانيا بقطر خلال نفس المدة
١٨٩٣ ـ ١٩٠٧

استمرت علاقة السلطات البريطانية بقطر بعد سنة ١٨٩٣ على نفس الاساس المهتز الذي كانت عليه قبلها .. اذ كانت تتعامل حيناً مع الاتراك وحيناً مع شيوخ آل ثاني .

مشكلة وضع قطر ١٨٩٣ :

وفي ١٢ إبريل سنة ١٨٩٣ ، وخلال المفاوضات الدائرة حول الاحداث الاخيرة في الدوحة سلم السفير التركي في لندن مذكرة للورد روزبري يشير فيها الى قطر على أنها « ولاية تحت الحكم التركي » وبأنها « تابعة لنجد » ، وقد لفتت حكومة الهند النظر إلى هذه التعبيرات ، فتعهد وزير الخارجية ـ ما دامت هذه المراسلات ذات طابع رسمي ـ بأن يذكر للسفير التركي ـ فيما بينهما ـ بأن حكومة صاحبة الجلالة لا توافق على وجهة النظر الواردة في المذكرة التركية .

مشكلة السفن البحرية البريطانية في الدوحة ، واطلاق حرية العمل لبريطانيا في قطر ١٨٩٣ :

وفي ١٨٩٣ أيضاً احتجت السلطات التركية في الدوحة على وجود سفينة صاحبة الجلالة « بريسك » في الميناء ، ومنعت قائدها من إجراء تدريب على إطلاق الطوربيد في الخليج ، كما منعت أيضاً ضباط السفينة من زيارة الشاطىء . وطلبت البحرية البريطانية تعليمات تسترشد بها في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مثل هذه الحالات مستقبلا ، فقررت حكومة الهند ـ بموافقة حكومة صاحبة الجلالة ـ أنه ما دام الحكم التركي في الدوحة غير معترف به من جانبها فعلى قادة السفن البحرية البريطانية التصرف هناك ـ وعلى طول ساحل الاحساء أيضاً ـ حسب ما تمليه ضرورة المحافظة على السلم في البحر أو إيقاع العقاب بمن ينتهكه . ولما كان من غير المرغوب فيه إتاحة الفرصة للمسئولين الاتراك كي يؤكدوا سلطة الباب العالي التي يزعمونها على الاقليم ، فلا داعي لان تقوم السفن الحربية البريطانية بزيارة الدوحة الا اذا حدثت ضرورة تستدعي مثل ذلك . ولاحظت حكومة صاحبة الجلالة في هذا الوقت تقريباً ـ وأيدتها حكومة الهند في هذه الملاحظة ـ أنه ما دام الأتراك يقصرون سيطرتهم المزعومة على الدوحة فقط فليس هناك مبرر للسماح للمزاعم التركية بعرقلة تصرفات بريطانيا في قطر ، أو منع حكومة الهند من توقيع المعاهدات التي تريدها مع الشيوخ القطريين .

الاعتداء على العلم البريطاني في الدوحة ١٨٩٤ :

وفي ربيع ١٨٩٤ هاجم جماعة من جنود الأتراك سفينة لأحد رعايا الهند البريطانية لدى دخولها ميناء الدوحة ، وأنزلوا عنها العلم البريطاني في البداية ثم استولوا عليها . ويبدو أنهم حين ايقنوا بأن هذه السفينة بريطانية ومعها شهادة بذلك أعادوا العلم الذي استولوا عليه ، وبعدها جاء المقيم السياسي من بوشهر لزيارة الدوحة على سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » ، غير أن المسئول المحلي التركي رفض ـ بزعم أن زيارة المقيم السياسي مباشرة أمر غير مألوف ـ أن يقدم له أي تفسير لما حدث ، وأحاله إلى السلطات التركية العليا . وأصدرت حكومة الهند تعليماتها للمقيم العام بألا يتخذ خطوات أخرى بهذا الصدد ما دام الخطأ قد تم إصلاحه بمجرد إدراك الأتراك له ، إلى جانب أن طلب التفسير يعني تأكيداً ضمنياً لمزاعم الباب العالي في السيطرة على الدوحة ، ويجب تحاشي إتاحة أية فرصة لمثل هذا التأكيد . لكن والي البصرة حين عرف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بوجود ممثل بريطانيا هناك ، أنكر حادثة إنزال العلم وأكد علاقات المودة بين تركيا وبريطانيا .

محاولة لغزو البحرين من الزبارة ١٨٩٥ :

وقد ذكر في تاريخ البحرين بالتفصيل الحملة التي قام بها الشيخ جاسم بدعم من تركيا على تلك الجزر سنة ١٨٩٥ ، وقد أحبطت هذه المحاولة السفن الحربية البريطانية بعملها المسلح في الزبارة ، كما أتاحت الفرصة للحكومة البريطانية كي تبلغ الباب العالي بأنها لا تستطيع الاعتراف بأن ذلك الجزء من الساحل الذي يقع عليه الزبارة خاضع للسيادة التركية .

مشكلة المركز الصحي التركي في قطر ١٨٩٧ :

وفي سنة ١٨٩٧ اقترح مكتب الصحة العامة في القسطنطينية إنشاء مركز صحي في قطر ، لكن معارضة ممثل بريطانيا وأدت المشروع تماماً ، فقد شرح كيف ان حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف لتركيا بأية حقوق سيادية في الاحساء .

مشكلة تجديد الاتفاقية بين بريطانيا العظمى وشيوخ آل ثاني في قطر ١٨٩٨ ــ ١٨٩٩ :

وقد سبق أن أشرنا الى طلب الشيخ جاسم في سنة ١٨٨٢ باعتبار اتفاقية سنة ١٨٦٨ سارية المفعول ، وأشرنا أيضاً إلى رغبته في سنة ١٨٩٣ بتجديد هذه الاتفاقية أو عقد اتفاقية جديدة كتلك التي عقدها شيوخ عمان المتصالحة . وفي سنة ١٨٩٨ ــ وفي لقاء خاص بين الملازم روبنسون قائد سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » والشيخ أحمد الذي كان يمثل أخاه الشيخ جاسم آنذاك ــ أفصح هذا عن رغبته في أن يرتبط بالحكومة البريطانية نفس ارتباط شيوخ عمان المتصالحة بها ، وفي نوفمبر سنة ١٨٩٩ ، وفي لقاء مع الرائد ميــــد المقيم السياسي تم في الوكرة أفصح الشيخ أحمد مرة أخرى عن رغبته في الارتباط الوثيق بالدولة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البريطانية ، وطلب الاذن له باحتلال العديد ، ولكن لم تتخذ أية خطوة إيجابية بشأن مطلبه هذا الذي رفض أن يعترف به اعترافاً كتابياً .

١٩٠٠ ـ ١٩٠٢ :

وبعد تعيين مستر جاسكن مساعداً للوكيل السياسي في البحرين في أوائل سنة ١٩٠٠ ، قام الشيخ أحمد غير مباشرة بالتفاهم الوثيق مع الحكومة البريطانية . وكانت اقتراحاته هذه المرة تشابه تلك التي سبق أن قدمها للرائد ميد في سنة ١٨٩٩ ، واستمر يعيدها بين الحين والحين وأخيراً ، في ربيع سنة ١٩٠٢ ، تلقى مستر جاسكن رسالة محددة من الشيخ أحمد يعرض فيها ـ في مقابل امتداد الحماية البريطانية عليه وعلى أنصاره ـ أن يقيم في أية بقعة على الساحل تحدد له(١) ، وأن يعتبر مسئولا عن المحافظة على السلم في المياه المجاورة له ، وان يتعاون مع الحكومة البريطانية وشيخ البحرين في المشاكل التي تهم أياً منهما في أرضه . وكانت الدوافع وراء هذا العرض من الشيخ أحمد هي خوفه من تركيا ورغبته في تعزيز مكانته وتدعيمها بين أهل قطر ، ولما كانت هذه الترتيبات المقترحة تبشر بنتائج مرضية ، فقد رفعت حكومة الهند الأمر الى حكومة صاحبة الجلالة ، وصدرت الاوامر بالبحث في حقيقة وضع الشيخ احمد ، ولكن دون عقد أي ارتباط مباشر قبل رفع الامر الى وزارة الخارجية ومعه كل التفصيلات اللازمة عن الجوانب السياسية والعسكرية للموضوع . وبعد التحري ذكر أن الشيخ أحمد كان بالفعل هو شيخ قطر ، وان الشيخ جاسم ـ رغم ان السلطات التركية ما زالت تعاملة على أنه قائمقامها في قطر وهو لقب يرفضه ـ قد تقاعد بالفعل في حماية أخيه ، وان احمد كان هو المرشح ليخلف

---

(١) هذا ما ذكر في ذلك الوقت ولكن قيل فيما بعد أن التعليمات التى أصدرها الشيخ أحمد لوكيله المدعو عبد الرحمن الوزان كانت تتعلق فقط بانتقاله لاحتلال العديد وفي رد على استفسار من مستر جاسكن أجاب وكيل الشيخ أحمد بأنه يعتقد أن شيخه يرحب أيضا بالاقامة في الزبارة أو أى مكان آخر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشيخ جاسم بعد موته دون أي من أبنائه . وقد أثبتت التجارب التالية على أي حال خطل بعض من هذا التقرير ، فالشيخ جاسم لم يتنازل عن السلطة حتى سنة ١٩٠٥ الا تنازلا ظاهرياً فقط ، وقضت النهاية الفاجعة التي لقيها الشيخ أحمد على التوقعات التي كانت تدور حوله كخلف للشيخ جاسم في الرئاسة .

وكان يظن أثناء زيارة لورد كيرزون للبحرين في نوفمبر ١٩٠٣ أن الشيخ أحمدسيحضر بنفسه كي يذكر طلبه للحماية البريطانية، وقد دارت مناقشة حول الرد الذي يقدم اليه بين حكومة الهند والحكومة البريطانية . وقررت حكومة صاحبة الجلالة أن الوضع القائم في قطر – الذي اعترف به الباب العالي بسحب المديرين الاتراك من الوكرة والزبارة ، وهي مشكلة سنشير اليها الآن – لا يجب تعكيره بعقد أي اتفاقية جديدة بين شيوخ قطر والحكومة البريطانية ، ولكن المسئولين سيؤكدون للشيخ أحمد صداقة الحكومة البريطانية التي ستستمر طالما ظل بعيداً عن ابرام التزامات مع اي دولة أخرى . لكن الشيخ أحمد – على أي حال – لم يظهر في البحرين وتلاشت ضرورة انهاء أي شيء اليه . وكان من المعترف به بشكل عام في ذلك الوقت أن في شيوخ قطر ميزة أنهم في موقع له أهمية خاصة بالنسبة للمحافظة على أمن المياه على طول شاطيء إقليمهم ، وأن الاتفاق معهم سيزيد من أهمية رأي بريطانيا في أية مشكلة تثار دولياً حول شواطىء اللؤلؤ ، وكان من المقرر عدم اتخاذ قرار نهائي في هذا الامر إلا بعد أن تقوم لجنة الدفاع الامبراطوري بدراسة وضع بريطانيا في الخليج ، وبعد أن يهدأ هذا التوتر القائم بين تركيا وبريطانيا في شبه الجزيرة . وفي سبتمبر سنة ١٩٠٣ كان الشيخ احمد متلهفاً ليعرف عن طريق جاسكن الذي زار الوسيل ما اذا كانت الحماية البريطانية سوف تمتد لتشمله أيضاً أم لا ، ولكن حين زار الكابتن بريدو قطر في سنة ١٩٠٥ بدا أن الشيخ أحمد لا يلقي بالا لهذا الامر رغم استمرار شكايته من الكابوس التركي الجاثم على الدوحة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي الوقت الذي كان التفكير فيه دائراً في المقترحات التي قدمها في سنة ١٩٠٢ الشيخ احمد للتقارب الوثيق مع بريطانيا ، اتخذت الحكومة التركية خطوة من جانبها صرفت الاهتمام موقتاً عن هذا الموضوع وأضافت مزيداً من التعقيدات الى ما هو قائم بالفعل. ففي ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٠٢ أعلن فجأة في صحيفة « إقدام » التركية شبه الرسمية أن مناصب تركية جديدة ستُنشأ لمديرين في العديد والوكرة والزبارة وجزيرة آل عمير على الساحل العربي(١) . وسرعان ما جاء تأكيد هذه الاخبار في البحرين . فقد وصل المدير المعين للزبارة إلى الاحساء في فبراير سنة ١٩٠٣ ، وأعقبه في الشهر التالي وصول مدير الوكرة ، وتبين بعد ذلك أن هذا المشروع ايضاً يهدف إلى إقامة مواقع حراسة تربط الزبارة بالعقير . وقرب نهاية مارس ١٩٠٣ خرج قارب تركي مسلح من البصرة متجهاً إلى قطر ليساعد في تنفيذ هذه الخطة العامة . وبعدها بثلاثة أيام بالضبط ، أي في ٢٣ مارس ، تلقى سفير بريطانيا في القسطنطينية تأكيدات من الصدر الاعظم بأنه ليس في النية تعيين مسئولين أتراك في المواقع المشار اليها ، ورغم ذلك ظلت اعمال تركيا في هذه المنطقة تدعو الى الريبة ، وظلت بريطانيا تراقبها مراقبة دقيقة ، فأرسلت سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » لزيارة الزبارة والعديد ورست في الوكرة حيث وجدت علم تركيا مرفوعاً عليها . وفي هذا الوقت نفسه وصل يوسف بك المدير التركي المعين للوكرة الى البحرين في طريقه الى الوكرة كما كان مظنوناً ، وأمرت حكومة صاحبة الجلالة باقامة العقبات في وجه إبحاره الى قطر ، لكنه استطاع تفاديها ، وغادر البحرين في ٢٧ إبريل . وبعدها بعدة أيام ذكر أنه قد نصب نفسه مديراً للوكرة بعد محاولة واحدة فاشلة في هذا الصدد . وفي هذه الاثناء تلقى السفير البريطاني في القسطنطينية — بتاريخ ٢٧ إبريل— تأكيدات بأن

---

(١) يطلق اسم جزيرة آل عمير على جزيرتي مسلمية وجنة ، وقد يعني هذا الاسم احدى الجزيرتين أو كلتيهما .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوضع الراهن للامور لن يتغير فيه أي شيء من جانب تركيا . وبعد وقت قصير استدعى يوسف بك للعمل كمساعد لقائمقام قطر في الدوحة ، ووجهت حكومة صاحبة الجلالة طلباً حاسماً للباب العالي باستدعائه من الوكرة . ولا يبدو انه عاد اليها ، وتبين بعد ذلك أن عبدالرحمن –بن الشيخ جاسم– قد عين مسئولا رسمياً عن الوكرة خلفاً ليوسف بك بلقب مدير وراتب قدره ٥٢ روبية في الشهر . واثار هذا احتجاجاً جديداً من جانب الحكومة البريطانية ضد الباب العالي ، وقالت الحكومة في احتجاجها ان تركيا ليس لها الحق مطلقاً في أن تعين مسئولين اداريين حتى لو كانوا من أبناء الشيوخ المحليين ، وأخيراً ، في أكتوبر ١٩٠٤ وبأمر من الباب العالي –عزل عبدالرحمن عن وظيفته كمدير ، ولكن يبدو أنه ظل يتقاضى راتبه هذا (١) وهو مقيم بالوكرة كوكيل للحكومة التركية .

القرصنة على شاطىء قطر ١٨٩٣ – ١٩٠٦ :

وفي سنة ١٨٩٣ الى ١٨٩٨ تجددت حوادث القرصنة على ساحل قطر ، وكانت الحادثة الخطيرة الوحيدة هي ما وقع في ١٨٩٥ ونهبت فيها سفينة شراعية تابعة للهند البريطانية وقتل واحد من بحارتها وجرح آخرون . وفي سنة ١٨٩٦ ارتكب لاجىء بحريني مقيم في الغارية يدعى علي ، حادثة قرصنة على قارب بحريني أيضاً ونهب منه أموالا ولآلىء قيمتها أكثر من الف روبية .

١٨٩٩ :

وتميزت سنة ١٨٩٩ على أية حال باضطراب حبل الامن مجدداً . ففي فبراير منها نهب العرب في أبو الظلوف سفينة إيرانية اسمها « المباركة » وحملوا أكثر من ثلثي حمولتها . وفي ١٦ أغسطس هوجمت

---

(١) في سنة ١٩٠٦ ذكر أن عبد الرحمن لم يتقاض راتبه هذا بالفعل أبدا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلوكة بحرينية صغيرة ، وحملها بدو بني هاجر قريباً من الذخيرة ولكن أمكن استعادة هذه الفلوكة وجزء من حمولتها عن طريق شيخ الدوحة . وبعد هذه الحادثة بعدة أيام هاجم قراصنة بني هاجر أيضاً قاربين يملكهما رعايا من الهند البريطانية ، نهبوا أحدهما وتركوه حيث ارتكبوا هذه الحادثة بالقرب من فشت الديبل وحملوا الآخر إلى رأس الظبية حيث أغرقوه هناك . وبلغت الخسارة في هذه الحوادث الثلاث مبلغاً يربو على ١٦ الف روبية ، ولم يستعد إلا ربع هذه القيمة فقط ، أما الباقي فلم يتم تحصيله إلا حين قام الرائد ميد المقيم السياسي في الخليج بزيارة الوكرة في ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٩٩ والتقى بالشيخ أحمد شقيق الشيخ جاسم أساساً بسبب الاضطرابات الأخيرة .

١٩٠٠ :

وفي ١٨ أغسطس سنة ١٩٠٠ هاجم بعض بدو قطر المتنكرين في زي صيادي اللؤلؤ سفينة بحرينية على شاطىء كريمة على مبعدة عدة أميال شمال رأس ركان ونهبوا ما فيها ، ولم تتجاوز قيمة الخسائر في هذه الحادثة أكثر من ٣٠٠ روبية ، وقع معظمها على تاجر اصداف يعمل في مؤسسة بريطانية ، لكن هذه الحادثة جددت طلب التعويض عن الأحداث السابقة .

١٩٠٢ :

لكن هذه المطالبة ظلت عقيمة بلا جدوى ، وتوقفت تماماً في فبراير سنة ١٩٠٢ على أساس انقضاء فترة طويلة على وقوع هذه الاحداث من ناحية وللهدوء الذي ساد ساحل قطر منذ وقوعها . ولم تكن سلطة شيخ الدوحة في منع مثل هذه الاحداث واضحة ، وهو قد أكد أن وقوع هذه الحوادث أمر لا مفر منه من جانب بني هاجر الذين يحول وجود الأتراك بينه وبين تأديبهم ، وان بعض هذهالأحداث التي تسمى بالقرصنة يرتكبها عدد من قطاع الطريق الذين خرجوا من قراهم وخاضوا البحر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يعودوا يستخدمون قوارب القرية . لكن حكومة الهند قررت الاستمرار في اعتبار الشيخ في المستقبل مسئولا عن سلوك البدو في قطر وأعمالهم ، وان توضع أملاكه في البحرين تحت الحراسة إذا لم تدفع التعويضات عن هذه الاحداث ، وان يعتبر سكان القرى مسئولين عن استعمال القراصنة قوارب لهم .

١٩٠٦ – ١٩٠٧ :

وبعد سنة ١٩٠٠ لم تعد ثمة شكاوى من القرصنة على ساحل قطر حتى ٨ يناير سنة ١٩٠٦ حين وصل إلى البحرين بحارة قارب إيراني ، كان تابعاً لميناء ريق ذكروا انه في الشهر السابق دفعتهم الرياح وسوء الحالة الجوية إلى أبو الظلوف في قطر ، حيث ارغمهم الأهالي على إنزال جانب من حمولة القارب لهم ، تحت طائلة التهديد . وبادر كابتن بريدو الوكيل السياسي في البحرين بالانتقال على سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » إلى مكان الحادث وظل هناك من ٢٨ إلى ٣٠ يناير . لكن شيخ المكان عيسى بن حمد رفض الصعود الى ظهر السفينة رغم التأكيد له بمعاملة طيبة ، وأعلن أنه من رعايا شيخ البحرين . وكتب كابتن بريدو اليه يطالب منه الحضور في البحرين ، ثم رجع الى مقر قيادته ، لكن سوء الاحوال الجوية منعه من أن يصحب معه قاربين لابو الظلوف كان يريد أخذهما معه ضماناً لمجيء الشيخ الى البحرين . واخيراً وصل عيسى بن حمد إلى البحرين في أول مارس وذكر أن شيئاً لم يؤخذ من القارب الايراني اللهم الا ما دفعه البحارة بارادتهم أجراً عن خدمات قدمت لهم ، وفي نفس الوقت كان امر عصيانه قد أبلغ لحكومة الهند لتصدر فيه أمرها . وفي يونيو ١٩٠٦ قدم السفير التركي في لندن احتجاجاً مؤداه أن أعمال كابتن بريدو تؤدي الى الاضطراب بين القبائل وإثارة المشاكل ، لكن المتظلمين الايرانيين – رغم استدعائهم فوراً للحضور – لم يعودوا إلى البحرين ، ليواجهوا ما ذكره شيخ أبو الظلوف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا اضطرت السلطات الى اعتبار المسألة منتهية كحادثة قرصنة ، واكتفى بانذار الشيخ بالسلوك مسلكاً حميداً في المستقبل .

أوامر من الحكومة بشأن حوادث القرصنة فبراير ١٩٠٧ :

لكن هذه الحادثة أثارت عدة اعتبارات ارتأت حكومة الهند معها أن من الضروري اصدار تعليمات واضحة لإرشاد الضباط في المستقبل . وصدرت هذه التعليمات – بعد أن صدقت عليها حكومة صاحبة الجلالة – في فبراير سنة ١٩٠٧ . وكان جوهرها منصباً على الاجراءات الخاصة بالمتعاملين بالقرصنة على شاطيء قطر خاصة حين يكون ضحايا الخسارة ليسوا من رعايا بريطانيا – . وهذا الاجراء يتطلب مراقبة دقيقة لكل شواطيء القرصنة ، ويجب أن يرفع تقرير بهذه الحالات اولاً بأول وفور وقوعها الى حكومة الهند . ورأت هذه الحكومة أن تنظيم العمل على هذا النحو سيتيح للضباط المحليين حرية العمل وفق اجتهاداتهم ، مع حصر صلاحية وضع القوانين العامة بالحكومة نفسها . ولم يكن يدور بخلد حكومة الهند أن التأخير يوماً واحداً أو عدة أيام في الإبلاغ عن هذه الحوادث قد يوءدي الى نتائج خطيرة عند اقتراح تسويتها . ولم تجد حكومة الهند من الضروري إصدار القرار الذي اقترحه الوكيل السياسي في البحرين ، والذي يقضي بأن يرسل كل شيخ صغير قارباً عنه ، أو يأتي بنفسه ، لكل سفينة حكومية بريطانية تصل الى مياه إقليمية ، ولو لم يوجه اليه طلب خاص بالزيارة المطلوبة .

اضطراب في البحر ١٩٠٠ :

وقد حدث سنة ١٩٠٠ اشتباك ليس له طابع القرصنة لكنه يستحق الذكر وذلك خارج ساحل قطر بين قبيلتي آل بني علي والعمامرة ، وكان بين القبائل – كما هو مذكور في تاريخ البحرين – ثأر دموي يرجع الى سنوات طويلة مضت . وفي ١٦ يونيو سنة ١٩٠٠ دفعت الرياح المعاكسة بخمسة قوارب للعمامرة وقاربين للدواسر من البحرين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى ساحل قطر بجوار الوكرة حيث كان أسطول لآل بن علي وقوارب أخرى منهمكين بالصيد. وكان هذا الاسطول أقوى من قوارب العمامرة ، ولم يكد آل بن علي يجدون أعداءهم بين أيديهم على غير توقع حتى رفعت سفنهم أعلامها وبدا أنها تستعد للهجوم ، وأجابتها القوارب باطلاق النيران(١) وكاد يحدث صدام رهيب لولا ان تدخل ابن شقيق الشيخ جاسم ، وأقنع العمامرة بالقاء سلاحهم والاستسلام لآل بن علي ومكنهم من الرحيل بسلام . ولكن يبدو من البحث الذي أجراه مساعد المسئول السياسي في البحرين أن آل بن علي كانوا هم البادئين بالعدوان ، ولذلك وقعت عليهم غرامة قدرها ١٠٠٠ روبية لخرقهم السلم في البحر ، وحين طلب اليهم تسليم ٢٠ بندقية من أسلحة العمامرة التي آلت اليهم خلال الحوادث ابدلوها بتقديم أسلحة قديمة ، ففرضت عليهم غرامة أخرى قدرها ٥٠٠ روبية ، وقد تم تحصيل هذه الغرامات فوراً —مما يؤكد فاعلية وسائل القهر من جانب الحكومة البريطانية— التي وضعت أملاك آل بن علي في البحرين تحت الحراسة .

زيارة المسئولين البريطانيين لقطر ١٨٩٩–١٩٠٣ :

وفي ١٨٩٩ — وكما سبق أن أشرنا— قام الرائد ميد بزيارة الوكرة. وفي سبتمبر ١٩٠٣ مر مستر جاسكن —مساعد الوكيل السياسي في البحرين— بالوسيل والوكرة والتقى بالشيخ جاسم والشيخ احمد كلا على حدة .

وفي نوفمبر سنة ١٩٠٥ عبر كابتن بريدو الوكيل السياسي في البحرين — الخليج الى قطر في قارب للأهالي ، وسار الى لقاء الشيخ جاسم في معسكره ببوحسا وتبعد عشرة أميال عن الوسيل داخل قطر ،

---

(١) لكننا نشير أيضا الى أن آل بني على دأبوا على تبرير مسلكهم ، والتاكيد على أن سفنهم تقدمت نحو سفن العمامرة لترشدها لا لتهاجمها ، ويذكرون أيضا أنهم لم يقابلوا اطلاق النيران بالمثل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبقي هناك ثلاثة أيام ينجز فيها عمله مع الشيخ جاسم ، والتقى أيضاً بناصر بن مبارك اللاجيء البحريني الهارب ، ولدى عودته قضى كابتن بريدو يوماً مع الشيخ أحمد في الدوحة . وفي هذه الزيارة حدثت اضافة هامة على ما كان معروفاً من قبل –جغرافياً وسياسياً– باسم قطر .

١٩٠٦ :

في مايو ١٩٠٦ قام ميجور كوكس المقيم السياسي في الخليج بصحبة كابتن بريدو بجولة بحرية على ظهر سفينة صاحبة الجلالة «لورانس» زارا فيها الوسيل والدوحة والوكرة وخور العديد ، وفي الوسيل تم لقاء ودي بينهما وبين الشيخ جاسم وصهره ناصر بن مبارك . وفي الدوحة استدعيا قائد الحامية التركية وناقشا معه الأمور ، وفي الوكرة –وقد تصادف أن أحداً من آل ثاني لم يكن موجوداً بها في ذلك الوقت– قامت الجماعة بزيارة لشيخ قبيلة آل بوعينين وقامت كذلك بتفتيش الحصن والآبار ، ثم تجاوز الجماعة خليج العديد لعدة أميال في قارب بخاري صغير لكنهم لم يجدوا على شواطئه مخلوقاً واحداً . وقد ابلغت السلطات التركية في الاحساء نبأ زيارة الدوحة هذه للقسطنطينية ومعها توصية ببذل الجهود للقضاء على القرصنة حتى لا يجد الانجليز مبرراً للتدخل في ساحل قطر .

* * *

علاقات قطر بنجد ١٨٩٣ ـ ١٩٠٧

العلاقات مع ابن رشيد ١٨٩٣–١٨٩٦ :

رأينا أنه قبل أزمة سنة ١٨٩٣ –وخاصة في سنة ١٨٨٨– كانت العلاقة الودية قائمة بين الشيخ جاسم وأمير جبل شمر ، ولم تنقطع هذه العلاقات فيما يبدو حتى سقوط ابن رشيد في نجد . ففي سنة ١٨٩٤ حاول الشيخ جاسم أن يلتقي بابن رشيد لكن هذا رفض خوفاً من الاتراك ، وفي سنة ١٨٩٦ أفلح الشيخ جاسم –كما أسلفنا– في إعادة بعض الماشية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التي أغارت عليها قبيلة ما من قطر من قبيلة أخرى حين طلب ذلك ابن رشيد .

العلاقات مع ابن سعود ١٩٠٥ :

وحين سقطت حائل وأصبحت للرياض السيادة على وسط الجزيرة ، لم يجد الشيخ جاسم ـ وهو الذي كان وهابياً متعصباً في أواخر سني حياته ، والذي ظل طول حياته على عداوة مرة مع شيخ أبوظبي ـ أي صعوبة في التكيف مع التغيير فراح يرسل الأموال وغيرها من الهدايا كل سنة إلى ابن سعود ، لكن أخاه أحمد لم يكن يشاركه آراءه في هذا الصدد ، وقد اوضحت زيارة قام بها عبدالعزيز ـ ابن أمير الوهابيين ـ للمناطق المتاخمة لقطر في صيف سنة ١٩٠٥ خلاف الرأي بين آل ثاني . فعلى حين ارسل اليه الشيخ جاسم خطاب ترحيب وثمانمائة روبية نقداً إلى جانب هدايا من السلاح والارز ، وذهب لزيارته عند آبار العريق ، نجد الشيخ أحمد ـ من الناحية الأخرى ـ ينذر الأمير بأن أية محاولة من جانبه لعبور إقليم قطر ستقف في وجهها قوات مشتركة من الدوحة وأبو ظبي .

★ ★ ★

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الخامس

تـــاريخ البحـــرين ★

التاريخ القديم ١٦٠٢ ـ ١٧٨٢

الايرانيون يطردون البرتغاليين من البحرين حوالي سنة ١٦٠٢ :

ليس ضرورياً ونحن نتتبع مجرى الاحداث في البحرين أن نرجع لتاريخها قبل سنة ١٦٠٢ ، ففي هذا الوقت تقريباً قام الايرانيون بطرد البرتغاليين من الجزر(٢) ، وما زالت أطلال القلعة القائمة حتى اليوم على الساحل الشمالي للجزيرة الكبرى في البحرين والمعروفة باسم قلعة العجاج شاهدة على احتلال البرتغال لها .

(١) المراجع الوحيدة المتوفرة للتاريخ الحديث للبحرين هي سجـــلات حكومة الهند والتصنيفات المعتمدة عليها ، ونذكر منهـا مختارات بومباى ، القسم ٢٤ سنة ١٨٥٦ ، وتلخيص مستر ج٠ آ٠ سالدنها للمراسلات الخاصة بمنطقة الخليج ، ١٨٠١ ـ ١٨٥٣ ، المنشورة في سنة ١٩٠٦ ، كذلك مقالعن شئون البحرين لنفس المـؤلف في الفترة من ١٨٥٤ ـ ١٩٠٤ والمنشـور سنة ١٩٠٤ ، وتـلخيص « التوسع التركى على الساحل العربى ٠٠ » لنفس المؤلف أيضا وهو منشور سنة ١٩٠٤ والتقارير الادارية السنوية للمقيميه السياسية في الخليج ٠ وبالنسبة للاتفاقيات الخاصة بالبحرين وما اليها نحيـل القارىء الى « معاهدات أتشيسون » وفيما يتعلق بالعمليات البحرية البريطانية وما يتعلق بها بالنسبة للبحرين نذكر كتاب لو عن تاريخ البحرية البريطانية المنشور سنة ١٨٧٧ ٠ أما كتاب بالجريف عـن « وسط وشرق الجزيرة العربية ٠٠ » المنشور سنة ١٨٦٥ فهو يقدم عرضا للحالة في البحرين في ١٨٦٢ ـ ١٨٦٣ ٠ وأما المراجع الخاصة بالتاريخ القديم (١٦٠٠ ـ ١٨٠٠) لهذه المنطقـة ، فهى نفس المراجع المذكورة في الهامش الاول للفصل الاول من هذا القسم ٠

(٢) في كلامنا هنا عن تاريخ البحرين نعنى بتعبير ، « الايرانيين » « رعايا الحكومة الايرانية ٠٠ » ، وقد كان معظم الرعايا الايرانيين الذين استخدمتهم الحكومة الايرانية لتنفيذ مآربها في البحرين عربا من المنطقة حول بوشهر وكانجون ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إيران تحتل البحرين لفترة غير واضحة التاريخ :

ويبدو أن الايرانيين قد استعادوا ملكية الجزر بعدها وقتاً ما ، وفي سنة ١٦٢٢ لا بد أنه كان لهم موقع عسكري فيها لأنهم جلبوا من هناك كمية كبيرة من البارود لاستخدامها في حصار هرمز .

احتلال إمام عمان للبحرين ١٧١٨ :

وفي سنة ١٧١٨ تقريباً نزل عرب مسقط الى جزر البحرين . وكانت مسقط في ذلك الوقت تحت حكم سلطان بن سيف الثاني أحد أئمة اليعاربة . ولا يتضح لنا ما اذا كانت جزر البحرين مهملة في ذلك الوقت أم أن حامية إيرانية كانت مقيمة فيها ، لكن مستعمريها على أية حال لم يكونوا يواجهون أية صعوبات في تأكيد سيطرتهم عليها . ويبدو أن احتلال عمان لهذه الجزر لم يدم الا وقتاً قصيراً فقط ، ويقال إن هذا الاحتلال قد انتهى نتيجة هجرة أهل البلاد الاصليين من موطنهم وإقامتهم في مناطق أخرى هرباً من المظالم الاجنبية الواقعة عليهم .

سيادة عرب الهولة على البحرين ١٧٥١-١٧٥٣:

وفي منتصف القرن الثامن عشر كان عرب الهوله—الذين ما يزالون ممثلين تمثيلا قوياً في الجزر حتى اليوم— هم أكبر القبائل المستقرة فيها وهم الذين يتحكمون في سياسة الارخبيل كله ، لكن الانقسامات والخلافات الداخلية فيما بينهم كانت قد انهكتهم في سنة ١٧٥٣ إلى حد يسّر احتلال الجزر لأية دولة أجنبية .

ضمها لايران حوالي سنة ١٧٥٣ :

ويبدو أنه في نفس هذه السنة أغرت الحالة الداخلية في البحرين الشيخ ناصر حاكم بوشهر من قبل الحكومة الايرانية —على النزول الى الجزر ، وبمعونة المير ناصر —زعيم ريق— استطاع تدعيم سلطته هناك . وهكذا أصبحت الجزر مرة أخرى تابعة لايران ، اسمياً على الاقل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكيل شيراز وعائدات البحرين ١٧٥٥ – ١٧٦٧

وفي سنة ١٧٥٥ أمر الوكيل كريم خان في شيراز بسجن الشيخ ناصر نظراً لامتناعه عن دفع مبلغ خمسة آلاف تومان لحساب عوائد البحرين في السنوات الثلاث التي كانت تحت إمرته فيها ، ويبدو أن الوكيل أصر على أن يدفع الشيخ ناصر أربعة آلاف تومان كل سنة عن عوائد بوشهر والبحرين معاً .

أحداث في البحرين ١٧٥٧–١٧٨٣

ولا تتوفر لنا المعلومات عن الاحوال الداخلية للبحرين خلال فترة الاحتلال الايراني لها بدءً من سنة ١٧٥٣ . وفي ١٧٧١ هاجم قراصنة خارج سفينتين ترفعان العلم البريطاني وسفناً أخرى عديدة ، وحملوها إلى البحرين حيث أبقوها هناك حتى تيسرت لهم فرصة نقلها إلى ريق . وفي ١٧٧٩ قام شيخ من البحرين يدعى ناصر كان جاء على سفينة له بدور في استعادة بوشهر لحساب شيخها المدعو ناصر أيضاً —ممن يدعى باقر خان الذي كان قد سيطر عليها . وهذه الأحداث التي لا تكاد تتعلق بالبحرين نجدها بالتفصيل في أماكنها الصحيحة .

★ ★ ★

موقف بريطانيا وغيرها من الدول الاجنبية من البحرين ١٦٠٢ – ١٧٨٣

كانت البحرين من أول الأماكن التي اجتذبت اهتمام ممثلي شركة الهند الشرقية البريطانية في الخليج . فقد كان توماس ألدورث الذي عين رئيساً لوكالة سورات لدى انشائها في بداية سنة ١٦١٣ منهمكاً في البحث عن أسواق جديدة خارج الهند ، وكتب عن البحرين في السنة الاولى من توليه العمل يقول : « اقترح أن تأتي الى البحرين سفينة تتراوح حمولتها بين ٢٠٠ و ٣٠٠ طن واعتقد أن هذه المنطقة ستستهلك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحمولة كلها ، فأهل البندقية يوردون لها الثياب عن طريق البر ، ويرجعون محملين بحرير إيران ، واعتقد أيضاً أنه خلال زمن قصير سيصبح استهلاك البحرين من الثياب يعادل استهلاك صورات تماماً » .

سنة ١٦٢٥ :

وبعدها وقع اختيار الشركة على جاسك ، ثم بندر عباس ، لتكون ميناءها على الخليج ، لكن البحرين لا يشار اليها في سجلات الشركة آنذاك إلا اشارات سريعة وقصيرة ، كما ورد مثلا في سنة ١٦٢٥ عن توفر بعض المعلومات عن صيد اللؤلؤ ومصايده في البحرين من مصادر برتغالية كانت ما تزال موجودة .

١٧٠٠ — ١٧٠١ :

وفي سنة ١٧٠٠—١٧٠١ حين كانت العلاقات بين شركة الهند الشرقية والحكومة الايرانية قد بدأت بعد هدنة قصيرة في التدهور اقترح مستر اوين ، وكيل الشركة في ايران « أنه ضروري للشركة مستقبلا أن تستخدم القوة من أجل استمرار تجارتها وامتيازاتها في ايران » ، واقترح بهذا الصدد احتلال البحرين .. فهي لن تكون مجرد موقع تضمن به الشركة نصيبها من منتجات ايران فقط ، بل كذلك تمكن طوافات الشركة المسلحة من مراقبة تجارة الشركة في منطقة الخليج كلها » .

وفي ١٧٥١ ، حين خيف من حدوث هجوم على بندر عباس ، طلب ممثلو الشركة فيها السماح لهم بالانتقال الى مكان آخر ، وذكروا أنها فرصة مناسبة « للقضاء على الاسطول الايراني والاستيلاء على البحرين » .. لكن الرياسة في بومباي حين أجابت على مقترحاتهم هذه ، أذنت لهم بنقل الوكالة موقتاً إلى أي مكان آخر ، لكنها منعتهم منعاً رادعاً من الاشتباك بالاسطول الايراني .

١٧٥٢ :

وفي سنة ١٧٥٢ ، وكان مشروع الانتقال من بندر عباس ما يزال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

موضع تفكير ، أجريت أبحاث حول أماكن عديدة محتملة لهذا الانتقال ، وذكر مستر ف. وود هذه العبارات عن البحرين : « ولا تتوفر لدى معلومات عن جزيرة البحرين أكثر من أنها مكان يتمتع باحترام أسطورى لدى العرب الهوله ، وأنها أرض عظيمة الخصب ، كثيرة الينابيع ومجاري المياه ، لكن هواءها ، وكذلك مياهها ليست نظيفة نقية كما أكد كثيرون ممن كانوا مقيمين فيها من قبل .. » ، واخيراً في سنة ١٧٦٣ تم اختيار بوشهر ، كقاعدة أفضل من البحرين لعمليات الشركة في الخليج ، تماماً كما اختيرت جاشك قبلها بقرن ونصف .

الهولنديون ١٧٥٣ – ١٧٦١ :

وحين أنشأ الهولنديون تحت قيادة البارون نيبهاوزن مستعمرة لهم في خارج سنة ١٧٥٣ ، حامت شكوك قوية في أنهم يحاولون الاستيلاء على البحرين ، وظلت هذه الشكوك قائمة فترة من الزمن ، ولكن حتى لو صحت هذه الخطط التي كانت تنسب اليهم ، فالمؤكد أنهم لم يتخذوا أية تدابير عملية لتنفيذها .

★ ★ ★

استيلاء العرب على البحرين من أيدى الايرانيين ١٧٨٣

يمكننا القول بأن التاريخ الحديث للبحرين يبدأ بسنة ١٧٨٢ حين طرد منها الايرانيون الذين كانت الجزر في حوزتهم . وكان يقود العرب الذين طردوهم شيوخ العتوب لكن قواتهم كانت مفارز عديدة من مختلف قبائل الجزيرة العربية .

العتوب يغزون البحرين ١٧٨٢ :

كذلك يمكننا القول بأن الصراع في البحرين أثاره اعتداء ايران على الزبارة .. وهي مستوطنة مزدهرة أقامها العتوب واستقروا فيها بعد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هجرتهم من الكويت على ساحل قطر المواجه للبحرين ، وكان كريم خان زند قد كلف الشيخ ناصر شيخ بوشهر والبحرين باخضاع الزبارة ، ويبدو أنه قام بمحاولة سابقة سنة ١٧٧٧ لتنفيذ هذه التعليمات .

وبعد موت كريم خان ، وفقدان الحكومة الايرانية قدرتها على العمل وقتاً ما ، انتقم عرب الزبارة لانفسهم –في سنة ١٧٨٢ على الارجح– بأن نزلوا على جزيرة البحرين واوقعوا الهزيمة بالشيخ ناصر في ميدان القتال ، وطاردوه حتى الجأوه الى قلعته ، ونهبوا مدينة المنامة ودمروها ، واستولوا على سفن بوشهر وعادوا بها الى الزبارة .

العتوب وغيرهم من القبائل يستولون على البحرين ١٧٨٣

وقد حدث هجوم مضاد من جانب شيخ بوشهر يعاونه مؤيدون وأنصار من رأس الخيمة وهرمز –كما هو مذكور في تاريخ قطر– لكن شيوخ العتوب في الزبارة استطاعوا ان يصدوا هذا الهجوم ويوقعوا به هزيمة نكراء ، وأرسل الشيخ ناصر رسالة يبلغ فيها ابنه الذي تركه مسئولا عن البحرين نبأ هزيمة الايرانيين ويطلب اليه تعزيز مركزه والصمود في موقعه . لكن الرسالة وقعت في قبضة اسطول من ستة زوارق كبيرة ارسلها العتوب من الكويت لنصرة بني جلدتهم في الزبارة فغير الأسطول وجهته ، وأغار على المنامة ، وأضرم فيها النيران ، وحاصر الحامية الايرانية في القلعة ولحق بالعتوب الشماليين هؤلاء في البحرين بقية العتوب في الزبارة والرويس بأسرع ما كانت تسمح به وسائل الانتقال المتوافرة آنذاك . كذلك لحقت بهم فرق أخرى من مختلف قبائل قطر ، من بينها آل مسلم من الحويلة ، وآل بن علي من الفويرط ، وآل سودان من الدوحة ، وآل بو عينين من الوكرة ، والقبيسات من خور حسان ، وآل سليط من الدوحة ، والمنانعة من أبو الظلوف ، والسادة من داخل قطر . وسرعان ما احتل الغزاة جزر البحرين ، واستسلمت الحامية الايرانية في حصن المنامة –بعد حصار دام حوالي الشهرين– في ٢٩ يوليوسنة ١٧٨٣ ، وسمح لافرادها بالعودة الى بوشهر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاحداث منذ تأسيس مشيخة البحرين حتى أول هجوم لسيد عمان عليها ١٧٨٣ ـ ١٨٠٠

انفصال الجلاهمة ١٧٨٣ :

وتحولت البحرين منذ ذلك الوقت من مستعمرة ايرانية لامارة عربية يحكمها شيخ من فرع آل خليفة من العتوب ، وبعدها بفترة قصيرة رحل الجلاهمة الذين سبق أن انفصلوا عن بقية العتوب في قطر بعد أن بدأوا يحسون أن بقية أهل البحرين يسيئون معاملتهم ، وهكذا أصبح آل خليفة بلا منازع في حكم البحرين . وكان يقود الجلاهمة الساخطين في ذلك الوقت إخوة اربعة أبناء شيخ يدعى جابر ، قُدّر لاحدهم —وهو رحمة بن جابر— أن يكتسب سمعة مدوية فيما بعد ، وأن ينكل بآل خليفة في البحرين .

محاولات فاشلة من جانب الايرانيين لاستعادة البحرين ١٧٨٣ — ١٧٨٥ :

ولم تستطع الحكومة الايرانية —أو على وجه التحديد الشيوخ العرب الذين يمثلونها في الخليج— أن يتقبلوا ضياع البحرين بهذه السهولة . وفي أواخر سنة ١٧٨٣ كانت الاستعدادات قائمة على قدم وساق لإعداد حملة كبيرة ضد الزبارة والكويت يسهم فيها شيوخ بوشهر وهرمز تعاونهم القوات الايرانية وشيخ القواسم . لكن الحملة لم تشن بالفعل ، ومرة أخرى ، في فبراير سنة ١٨٧٥ تواعد اسطولا بوشهر وريق في كانجون التي كانت قوة برية صغيرة قد وصلت اليها بالفعل ، على انتظار شيوخ هرمز ورأس الخيمة . لكن موت علي مراد خان حاكم شيراز أبعد شبح الخطر الذي تهدد آل خليفة في البحرين . وخلال السنوات القليلة التالية ، في الوقت الذي غرقت فيه حكومة شيراز في مشكلاتها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الداخلية . ظل شيوخ البحرين و لا شيء يكدرهم . وفي سنة ١٧٩٨ كانت ما تزال لديهم القدرة على أن يقدموا عوناً فعالا لشيخ بوشهر في بعض ما يتعلق بالساحل الايراني .

نمو التجارة ١٧٨٣ – ١٧٩٠

وقد أدى احتلال العتوب للبحرين إلى تنشيط التجارة في هذه الجزر تنشيطاً تجارياً ، لان المهاجرين العرب سرعان ما أصبح لهم اسطول تجاري ، وأصبحوا هم الذين يقومون بعملية نقل البضائع ما بين مسقط –التي كانت في ذلك الوقت القاعدة التجارية المحلية الرئيسية– والبصرة وغيرها من الساحل الغربي للخليج ، ولم يكن شيوخ العتوب يتقاضون رسوماً على الاستيراد في بداية الأمر ، وكانت مصالح التجار تلقى من جانبهم الرعاية الكاملة . وكان أهل البحرين عندئذ يسيطرون سيطرة شبه كاملة على تجارة اللؤلؤ في الخليج ، وكانت وارداتهم من الهند –التي قدرت في ذلك الوقت بحوالي ١٠ لاكات من الروبيات كل سنة– يدفع معظم قيمتها باللؤلؤ من سوق مسقط .

★ ★ ★

أول هجوم لسيد عمان على البحرين
١٧٩٩ – ١٨٠٢

ظل استقلال البحرين خلال جيل كامل بعد هذه الحقبة القصيرة من السلم يواجه تهديداً خطيراً عدة مرات ، ولكن السبب في هذه المرة ، لم يكن زعم ايران بأحقية سيادتها على البحرين بقدر ما كان مطامح السيد سلطان والسيد سعيد في مسقط لضم جزر البحرين الغنية الثمينة إلى عمان .. هكذا بوضوح ودون دوران .

نشوب الحرب ضد مسقط ١٧٩٩ :

وفي سنة ١٧٩٩ أعلن السيد سلطان مسقط – بتشجيع من الحاكم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الايراني في شيراز الحرب على العتوب في البحرين متذرعاً في الظاهر برفضهم الاعتراف له بحقه في ضريبة او جزية زعم أن له الحق في فرضها على جميع السفن التي تمر بمسقط ، لكن هدفه في الحقيقة كان احتلال البحرين . ويبدوان اسطول آل خليفة كان في ذلك الوقت مجرد ثلاث سفن كبيرة فقط ، أسرتها بحرية مسقط جميعاً أثناء عودتها من الهند ، ولم يغامر السيد سعيد على أي حال بالنزول الى جزر البحرين ، وخشي العتوب من هذه الاعمال ، فراسلوا شيخ بوشهر الذي تلقى مبادرتهم بسرور ، فما إن عرضوا عليه أن يدفعوا الجزية لايران حتى سار خفية الى البحرين حيث تسلم هناك مبلغاً من المال كعوائد عن السنة المنقضية . ويبدو ان العتوب ذكروا في هذه المناسبة للايرانيين أن البحرين كانت في وقت من الاوقات تابعة للحكومة التركية ، وأنها تخلصت من قبضتها منذ سبعين سنة مضت (١) .

غزو السيد سلطان البحرين واحتلالها ١٨٠٠–١٨٠١ :

وفي سنة ١٨٠٠ قام حاكم مسقط بغزو البحرين ، وأسر ٢٥ أسرة من الاسر الكبيرة فيها نقلهم الى مسقط ، ووضع حامية من الجنود العمانية في قلعة عراد بجزيرة المحرق . ولجأ بعض شيوخ العتوب المهزومين في ذلك الوقت الى الزبارة ولجأ آخرون الى الكويت . ويبدو أن السيد سلطان تعقبهم إلى تلك الاماكن . وترك السيد حين غادر البحرين ابنه الشاب سالم وزوده بمستشار موثوق به لرعاية مصالحه في البحرين ، لكن وضع العمانيين هناك كان حرجاً . وفي سنة ١٨٠١ —وقبل أن يمضي وقت طويل على إبحار أسطول السيد— ارغمهم العتوب على الاستسلام والجلاء عن البحرين .

---

(١) ليس هذا صحيحا بطبيعة الحال ، فالصحيح أن الاتراك قد أقاموا قاعدة في البحرين سنة ١٥٥٩ ، لكن البرتغاليين طردوهم منها في نفس السنة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تجدد غزو السيد سلطان للبحرين ١٨٠٢ :

وفي العام التالي عاد السيد سلطان مرة أخرى للنزول في البحرين بعد أن حصل على مساعدة من بوشهر بموافقة الحاكم الايراني في شيراز، واستطاع بالفعل ان يقهر العتوب ، لكن هؤلاء كانت علاقتهم في ذلك الوقت قد أصبحت وثيقة بالوهابيين الذين كانت قواعدهم الأمامية تهدد أرض عمان ، فوجد السيد من الخير له أن ينسحب من البحرين ويقفل عائداً .

★ ★ ★

الاحداث ما بين الهجوم الاول والهجوم الثاني من جانب سيد عمان على البحرين ١٨٠٢ ـ ١٨١٦

امتداد نفوذ الوهابيين إلى البحرين ١٨٠٣-١٧٠٩ :

وبعد هذه الاحداث ، خضع العتوب في البحرين لنفوذ الوهابيين زمناً على مضض . وفي سنة ١٨٠٣ ، وبايعاز من أمير الوهابيين ، ارسل العتوب رعاياهم في حملة ضد مسقط وفي وقت كان من الخير لهم ان ينشغلوا بصيد اللؤلؤ فهزموا هزيمة ماحقة في البحر . وفي سنة ١٨٠٥ ـ وخلال الصراع على الحكم في سلطنة عمان ـ أبحر أسطول معظم سفنه من العتوب إلى مسقط ليراقب الأحداث هناك لصالح الوهابيين . وفي ١٨٠٥ على أي حال ، رغب شيوخ العتوب في الاتصال بالسيد بدر في مسقط والاشتراك معه في هجوم على القواسم لكن الهدف الحقيقي كان تدمير قوة الوهابيين في المنطقة ، وقد توثقت العلاقات بينهم وبين سيد عمان توثقاً جعلهم يدفعون له العوائد التي كان يزعم أنها حق له والتي أنكروها عليه من قبل . وفي نفس السنة اقترح شيوخ العتوب أن تعدهم حكومة بومباي بتزويدهم بخدمات سفينة حربية او سفينتين بهدف الحاق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهزيمة بالوهابيين . ولم تستطع السلطات البريطانية إجابة هذا الطلب رغم أن كابتن سيتون المقيم السياسي في مسقط كان يزكيه مثلما كان يؤيده العتوب في الكويت والزبارة . وفي سنة ١٨٠٩ ، غامر العتوب في البحرين برفض استدعاء الوهابيين لهم للاشتراك مع القواسم في حملة بحرية على البصرة ، وعلى إخوانهم من العتوب في الكويت .

البحرين تحت سيطرة الوهابيين المباشرة ١٨١٠ – ١٨١١ :

وفي سنة ١٨١٠ عينت حكومة الوهابيين وكيلا لها يشرف على شئون البحرين وقطر والأحساء وكانت قد عززت مركزها في الخليج بعقد تسويات مع رحمة بن جابر – زعيم الجلاهمة الساخطين وأقوى شخصية في قطر آنذاك . وكان هذا الوكيل يدعى عبد الله بن عفيصان . ويبدو انه كان يتخذ البحرين في العادة مقراً له ، وكان لشيوخ العتوب سلطتهم في المسائل الداخلية ، لكنهم ارغموا على دفع الجزية للوكيل ، كما اتخذ دعاة الوهابيين قواعد لهم في الإمارة يدعون الناس فيها الى المذهب الجديد .

حاكم مسقط يحرر البحرين من الوهابيين ١٨١١ :

وفي سنة ١٨١١ ، قام امير الوهابيين اثر توتر الاوضاع في جبهته الغربية بعد تقدم القوات المصرية تدريجياً في هذا الاتجاه ، بتقليص حامياته في البحرين والزبارة ، وأفاد السيد سعيد من هذه الفرصة فهاجم كلا الموقعين مباشرة . وفي نفس السنة دارت معركة في البحر بين عتوب البحرين ورحمة بن جابر انتصر فيها شيوخ البحرين .

تحالف قصير العمر بين العتوب في البحرين وسيد عمان ١٨١١–١٨١٣

وفي سنة ١٨١٣ رضي العتوب في البحرين –وكانت مصالحهم في ذلك الوقت متفقة ومصالح سيد مسقط –بأن يشتركوا معه في دبي بأسطول من ١٥ إلى ٢٠ سفينة ، وقوة قوامها الفا رجل ضمن حملة على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رأس الخيمة . لكنهم لم يحققوا وعدهم . وربما كانت هزيمة السيد سعيد في هجومه على القواسم في نفس السنة راجعة لانسحابهم هذا .

★ ★ ★

هجوم سيد عمان الثاني على البحرين ١٨١٦

أصل القطيعة :

ومع اقتراب سنة ١٨١٦ ، حدث تحول في مواقف الدول المهتمة بالبحرين ، وبرزت تحالفات جديدة ، فلجأ العتوب في الجزر الى حماية الوهابيين ، ودخلوا في علاقات صداقة مع القواسم ، في حين وضع رحمة بن جابر نفسه تحت لواء مسقط .

أعمال المقيم البريطاني :

وفي ١٩ يوليو سنة ١٩١٦ ، اثر ورود الإخبار عن إبحار حملة من مسقط على رأس الخيمة والبحرين ، وصل الملازم بروس –المقيم السياسي في بوشهر– الى البحرين حيث التقى بعبدالله بن احمد شيخ الإمارة . وكان سيد عمان قد أنذر الشيخ بأن السفن الحربية البريطانية ستشترك معه في الهجوم على البحرين ، وأبلغه ان موانى الهند البريطانية مغلقة في وجه من بقي على عداوة معه . وشكا الشيخ الى المقيم السياسي ايضاً خرق سيد عمان للاتفاقية المعقودة بين مسقط والبحرين ، واستيلاءه غدراً على ١٥ سفينة تابعة للبحرين ونهب حمولتها على مقربة من مسقط . وبعد أن تأكد الشيخ عبدالله بن احمد من حياد البريطانيين في هذا النزاع ، بل وصداقتهم له – وواضح ان المقيم السياسي لم يستطع ان يثبت له هذه النوايا الا بعقد اتفاقية غير رسمية معه لم تخوله حكومته حق عقدها– أعلن أنه قادر على الدفاع عن نفسه –بمعونة الوهابيين على الأقل– ضد أي هجوم يوجه اليه ، وقد أكد تطور الأحداث صدق رأيه هذا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واعترف السيد سعيد ، الذي كان الآن يقترب من البحرين –في مراسلة بينه وبين المقيم البريطاني– بأنه ارغم على اتخاذ هذا المسلك تجاه العتوب نظراً لأنهم خرجوا عن الاعتراف بسيادته التي اعترفوا بها سنة ١٨١١ ، وذلك بتحالفهم مع الوهابيين من ناحية ، وبانهماكهم في أعمال القرصنة من الناحية الأخرى ، وأصم السيد أذنيه عن نصيحة ممثل بريطانيا ، بل إنه أيضاً أهمل الاجابة على خطاب منه يعرض فيه الوساطة باسم بريطانيا .

صد هجوم مسقط يوليو أو اغسطس ١٨١٦ :

ووصلت إلى البحرين عقب رحيل الملازم بروس عمارة مسقط التي انضمت اليها ثلاث سفن من بوشهر بأمر من الحاكم الايراني في شيراز وعززها أيضاً انضمام فرق مختلفة من العرب من الميناءين الايرانيين كانجون وعسالو . ونزل العمانيون مباشرة على جزيرة المحرق ، لكنهم هزموا هزيمة ساحقة في الاشتباك الذي أعقب ذلك ، وقتل اثنان من أقارب السيد سعيد الأدنين : أحدهما شقيقه الاصغر حمد .

مفاوضات فاشلة بين السيد سعيد والحاكم الايراني في شيراز لاعداد حملة جديدة على البحرين :

وعبر السيد واسطوله الخليج الى كانجون ليحمل على ظهر سفنه ١٠٠٠ فارس و ٤٠٠ حصان تعهد الحاكم العام في إقليم فارس بتقديمها اليه على أساس تفاهم بينهما يقضي بأن يقوم حاكم مسقط بتغطية نفقات الحملة لو نزلت الى جزر البحرين ثم فشلت او تراجعت . ثم يدفع مبلغاً سنوياً بعدئذ غرامة لحاكم شيراز ، أما اذا نجحت الحملة وتم الاستيلاء على البحرين ، فيتعين على السيد ان يدفع مبلغ عشرة آلاف تومان كل سنة لحاكم إقليم فارس الإيراني .

إلا أنه تبين للسيد سعيد بعد فترة قصيرة أن الايرانيين ينتوون الغدر به والقاء القبض عليه وسجنه في شيراز ، فتخلى عن محاولته فكرة قبول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معونتهم وعاد ادراجه الى مسقط . ثم وفد الى البحرين مبعوث ايراني يدعى اسكندر خان وتقبل الهدايا من شيوخ البحرين باسم حاكم إقليم فارس وقدم لهم ثياباً من الحرير الفارسي الثمين . وقد تحقق كذلك بعض التقارب السياسي بينهما ولكن لم تكن له نتائج تذكر .

وفي ١٨١٧ زار رحمة بن جابر مسقط ، وربما حاول هناك إغراء السلطان بإعداد حملة جديدة على البحرين ، لكنه وجد السيد سعيد ملقياً باهتمامه كله إلى مشاكله الداخلية .

★ ★ ★

التقارب الوثيق بين العتوب والقواسم
١٨١٧ ــ ١٨١٩

بيع المسروقات في البحرين :

وكان موقف شيخ البحرين الذي أيده البريطانيون وضمنوا حكمه سنة ١٩١٦ ، وعززوه بعد ذلك بدعوته للتجارة مباشرة بين الهند والبحرين قد أقنع المقيم السياسي بانصرافه عن القرصنة الى التجارة ، لكن اتجاهه هذا بلغ درجه كبيرة من السوء مؤخراً ، وثبت أنه يمد القراصنة القواسم بالحبوب وغيرها من المواد التموينية ، وكانوا « يترددون كل ساعة على موانى الجزر .. » ، بل كان ثمة تحالف فعلي قائم بينهما . وفي سنة ١٨١٧ ذكر الملازم بروس في تقريره أن البحرين قد أصبحت الآن السوق الرئيسية لبيع منهوبات القراصنة ، كذلك هي أيضاً قاعدتهم التي يموّنون منها بالارز والتمور ، فلا يمكن بالتالي اعتبارها سوى قاعدة للقرصنة خاصة وان اعداداً من سكانها اعتادوا ان يبحروا الى رأس الخيمة ، وهناك يعتبرون من طاقم سفن القراصنة موقتاً لمواسم أو أكثر ــ وكان المعتاد في ذلك الوقت أن ينقل القراصنة اسلابهم مباشرة وينزلوا بها الى البحرين ، ومن هناك تحمل أجزاء منها الى كانجون وغيرها من الموانى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على الساحل الايراني بواسطة سفن من الكويت . ورغم هذا كله يبدو أن الشيخ عبد الله قد عرض على القوات المصرية التي كانت وصلت الاحساء في اواخر سنة ١٨١٨ أن يقدم اليهم وسائل النقل البحرية لقوة كانوا يقترحون ارسالها الى رأس الخيمة وغيرها من قواعد القراصنة.

اتفاقية غير عاملة مع الشيوخ لمنع بيع المسروقات البريطانية في البحرين ١٨١٩ :

وفي فبراير ١٨١٩ ورد تقرير يذكر أن عدداً من النساء الهنديات قد جلبن من رأس الخيمة ، وتم بيعهن كاماء في سوق البحرين ، فأرسلت سفينتا صاحبة الجلالة « إيدن » التي يقودها الكابتن لوتس ، و « كونواي » ، وطرادات شركة الهند الشرقية « بيزاس » ، و «ميركوري و « انتيلوب » لتحري هذه الحادثة .

ولم تثبت صحة هذا التقرير ، لكن الكابتن لوش استطاع بتبادل المسجونين بواسطة شيخ البحرين ان يحرر ١٧ إمراة هندية كان القواسم في رأس الخيمة قد اسروهن . وقبل رحيله استطاع ان يقنع شيخ البحرين بتوقيع اتفاقية معه يمنع بمقتضاها بيع أية ممتلكات بريطانية استطاع القراصنة نهبها في أسواق البحرين ، لكن الشيخ للاسف راح بعد ذلك يعتبر هذه الاتفاقية كأنها لم تكن .

الالتباس بين بني ياس والقواسم في البحرين ١٨١٩ :

وتلقى الكابتن لوش أثناء إقامته في البحرين معلومات من الوكيل الأهلي للمقيمية البريطانية بأن اسطولا من سفن القواسم رسا في « المرسى الجنوبي » الذي يحتمل أن يكون مقصوداً به خور القليعة ، وبعدها مباشرة ، ودون اهتمام بما يؤكده الشيخ ومعاونوه بأن طاقم البحارة على هذه السفن ليسوا من القواسم بل من بني ياس ، ودون التفات أيضاً لنصيحة ممثل شركة الهند البريطانية ارسل الكابتن لوش حملة من القوارب تغطيها السفينة « انتيلوب » للاستيلاء على هذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاسطول . وقد اغرقت هذه السفن بعد أن أطلقت عليها النيران ودمرت عقب مقاومة عنيدة أبدتها أثناء محاولة شدها خارج المرسى ، واحتج شيخ البحرين احتجاجاً شديداً على خرق حياد مينائه ، كما ان شيخ ابو ظبي الذي ثبت فيما بعد ان هذه السفن مملوكة له او لرعاياه ، طالب حكومة بومباي بتعويضات عن الخسائر التي سببت له ، ويبدو أن هذه الحكومة عوضته بما أرضاه عن خسارة الأموال والأرواح جميعاً .

★ ★ ★

وضع البحرين خلال الحملة البريطانية على رأس الخيمة ١٨١٩ ـ ١٨٢٠

سياسة بريطانيا في الحياد تجاه شئون البحرين :

كانت سياسة الحكومة البريطانية أيام حملتها على رأس الخيمة سنة ١٨١٩ متعلقاً بموضوع البحرين ، والادعاءات المتضاربة عن ملكيتها أن تتباعد عن ذلك كله ، وأبلغ الشيخ العتبي أنه لو منع رعاياه عن مزاولة القرصنة ، فسينعم بحياد البريطانيين تجاهه ، أما اذا سادت القرصنة في البحرين فسيعامل معاملة القواسم فيما بعد . وكانت النتيجة ان وقع الشيخ اتفاقية شبيهة بتلك التي فاوضه مستر بروس بشأنها في سنة ١٨١٦ والتي « تضمن لشيوخ العتبي النوايا الطيبة من جانب بريطانيا » وصدقت عليها الحكومة فيما بعد . ويتضح من المجرى العام للاحداث أنه لم يحدث انحراف عن هذا الخط الذي اتفق عليه .

خطة مسقط وايران حيال البحرين ١٨٢٠

وقد تم الآن التخلي عن الفكرة القديمة التي دار حولها التفكير زمناً حول ضم البحرين الى سيد مسقط ، لكن السيد نفسه اغتنم فرصة تقاربه الوثيق الموقت مع البريطانيين في رأس الخيمة لتحسين مصالحه في البحرين.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما العتوب فقد كان عجز حلفائهم القواسم ضربة لهم ، بل وكان يساورهم الشك في أن الحكومة البريطانية تؤيد وتعزز خطط سلطان مسقط حيال البحرين . كذلك خشيت ايران ان ينجح السيد في محاولته تلك ، فعمدت حكومة إقليم فارس سنة ١٨٢٠ –وكانت قد تراجعت عن التدخل في هذا الامر مؤخراً– الى ان تلتمس من السلطان ان ينقل قواتها الى البحرين . وحين رفض السلطان هذا العرض توجه الامير الحاكم في شيراز بنفسه الى قائد الحملة البريطانية وطلب منه إعارة عدة سفن لنقل الجنود . ولسنا في حاجة الى القول بأن هذا الطلب رفض بطبيعة الحال . وقد قام رحمة بن جابر زعيم الجلاهمة الذي كان مقيماً في خور حسان بقطر من قبل ، ثم أصبح الآن في الدمام على ساحل الاحساء بدور كبير في هذه الاستعدادات من جانب ايران .

خضوع العتوب في البحرين لسيد مسقط ١٨٢٠

وحين حدث في يناير سنة ١٨٢٠ أن فارق السيد سعيد سير و. جرانت كير في رأس الخيمة ، أثار لديه انطباعاً بأنه ينوي أن يهاجم البحرين مباشرة ودون اعتماد على أية مصادر غير قوته الخاصة . ويبدو أنه كان ينتوي ذلك بالفعل مما أفزع شيوخ آل خليفة في البحرين فاستبقوا هجومه على البحرين بارسال ممثل لهم الى مسقط يعلن خضوعهم التام للسيد سعيد . وتم الاتفاق على ان يدفع العتوب جزية سنوية قدرها ٣٠ الف روبية لسموه ، على أن يطلق هو سراح بعض شيوخ العتوب الذين كان قد أمر بسجنهم من قبل ، كذلك أمر برد سفنهم وأموالهم التي تم الاستيلاء عليها أثناء عودتها من الهند . ويبدو أن كلا الطرفين اشترط موافقة الحكومة البريطانية على هذه الاتفاقية ، لكن هذه الموافقة لم تحدث الا بعد زمن طويل ، وتم بالفعل تسليم مبلغ ١٢ الف روبية لحساب الجزية المقترحة التي لا يمكننا الشك فيها على أي نحو .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعامل بريطانيا مباشرة مع البحرين يناير ١٨٢٠ :

لقد كانت عشر سفن من اسطول القواسم ممن تعرضت لتدمير الاسطول البريطاني لها في رأس الخيمة قد لجأت الى البحرين ، وارسل الكابتن لوش من رأس الخيمة مع سفينتي صاحب الجلالة « ايدن » و « كيرلو » ليطلب تسليمها ، واستطاع ذلك بالفعل في ١٧ يناير سنة ١٨٢٠ ، كما توصل ايضاً الى الاتفاق مع شيخ البحرين على الا يسمح لاي قوارب ترفع هذه الأعلام باللجوء الى مينائه ما لم تسمح له السلطات البريطانية بذلك . وواضح أن هذه الاتفاقية لم تكن الا اتفاقية موقته ، ولا يقصد بها أكثر من تسهيل القضاء على مهنة القراصنة على طول الساحل .

معاهدة تمهيدية للسلم ٥ فبراير ١٨٢٠ :

وفي ٥ يناير ١٨٢٠ ، تم في الشارجة عقد معاهدة تمهيدية للسلم بين السلطات البريطانية والسيد عبد الجليل ـ ممثلا لسلمان بن حمد وعبدالله بن أحمد شيخي البحرين وكانت تقضي بأن يمنع الشيوخ من بيع الاسلاب في أسواق البحرين وأن يمتنعوا عن تقديم المعونة للقراصنة ، ويطلقوا سراح جميع المسجونين من الهنود .

معاهدة السلم ٢٣ فبراير ١٨٢٠

واخيراً وطبقاً للمعاهدة سالفة الذكر سمح للشيوخ بأن يستفيدوا من مزايا معاهدة السلم الشاملة ، ووقعت المعاهدة ، من جانب وكيلهم في الشارقة في نفس يوم توقيع المعاهدة التمهيدية ومن جانب الشيوخ أنفسهم في البحرين بتاريخ ٢٣ فبراير ١٨٢٠ .

★ ★ ★

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاحداث ابتداء من الحملة البريطانية على رأس الخيمة حتى هجوم سيد عمان الثالث والاخير على البحرين ١٨٢٠ ـ ١٨٢٨

الاتفاقية وعلاقات أخرى ببريطانيا :

وقد تم على وجه العموم التقيد بالالتزامات المبرمة بين الحكومة البريطانية وشيوخ البحرين تقيداً حسناً حتى ان السلطات البريطانية لم تر ضرورة تحتم استمرار الطرادات البريطانية في مراقبة موانئ البحرين ـ كبقية موانئ شاطئ القرصنة ـ خلال السنوات القليلة التالية ، بل ان الشيخ عبدالله بن أحمد ذهب إلى حد الزعم بأن معاهدة السلم الشاملة إنما تعني ارتباطه ببريطانيا برباط الحماية والاعتماد التام ، لكن الملازم ماكلاود المقيم السياسي آنذاك كان حريصاً على تصحيح وجهة النظر هذه في زيارة قام بها للبحرين سنة ١٨٢٣ . وكانت عملية المسح البحري لمياه شرق البحرين وما حولها قائمة على قدم وساق في ذلك الوقت ، وكان الشيوخ الكبار والصغار منهم يقدمون كل ما يستطيعون تقديمه لعون هذه العملية .

وفي نهاية سنة ١٨٢٢ استولت سفينة من البحرين على قارب من بوشهر بسبب زعم صاحب السفينة بأن له حقوقاً عند شيخ بوشهر ، وبدا في البداية أنها مجرد حادثة قرصنة ، وقامت سفينة صاحبة الجلالة « صوفي » بمطاردة السفينة البحرينية وأسرتها عند شط العرب ، فنقلتها هي وبحارتها لنجدة رعايا الشيخ الذين اعترف بأنهم ارتكبوا عملاً آثماً ، ولكن ثبت أمام سلطات التحقيق في بومباي براءة هذه السفينة من تهمة القرصنة ، فأطلق سراحها هي وملاحيها وقدم لشيخ البحرين تفسير مناسب للحادثة .

وفي اغسطس سنة ١٨٢٥ حدث اعتداء صغير من سفينة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحرينية على أخرى تنتمي لميناء المخا في نفس هذا الميناء ، ولكن بعدها مباشرة ، وحين وصلت السفينة البحرينية الى مسقط سويت المسألة تماماً بعد تدخل السلطات البريطانية .

وخلال هذه الفترة ، لم يرد ذكر حادثة واحدة قام فيها رعايا من البحرين بارتكاب عمل من شأنه انتهاك السلم في البحار .

وبأ الكوليرا ١٨٢١ :

وفي صيف ١٨٢١ اجتاح وبأ الكوليرا جزر البحرين ، وتردد أن عدد ضحاياه بلغ اربعة آلاف شخص .

اتفاقية عن البحرين يتم توقيعها بين كابتن بروس المقيم السياسي وحكومة شيراز ١٨٢٢ :

وقد تم توقيع اتفاقية غريبة ، ودون تفويض ، تتناول علاقة ايران بمنطقة الخليج إجمالا ، وهي لهذا مذكورة في تاريخ الساحل الايراني وقعها الكابتن و. بروس المقيم السياسي في الخليج عن الحكومة البريطانية في شيراز بتاريخ ٣٠ أغسطس ١٨٢٢ ، ووقعها ميرزا زكي خان وزير الامير الحاكم في إقليم فارس عن ايران .

وفيما يتعلق بالبحرين حددت هذه الاتفاقية وضعها بأنها كانت دائماً تابعة لحكومة إيران ، وان شيوخ العتوب متمردون على سلطة هذه الحكومة ، ويجب بالتالي سحب جميع الامتيازات التي أصبحوا يتمتعون بها بموجب نصوص معاهدة السلم الشاملة ، وعلى الحكومة البريطانية الا تقدم العون للبحرين ، بل على النقيض ، عليها ان تساعد ايران على قمع تمرد العتوب بامدادهم بسفينة حربية أو سفينتين . وبعبارة أخرى ، تم الاعتراف والتصديق على زعم ايران بحقوقها في السيادة على البحرين . ويبدو أن كابتن بروس قد قبل هذه الشروط مدفوعاً باعتقاد مؤداه أن الخطة التي أعدها حاكم إقليم فارس ضد البحرين محتملة النجاح » وان عودة جزر البحرين مرة أخرى الى سلطة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حكومة إيران ، سيؤدي ولا شك ــ كما لا يؤدي أي عمل آخر ــ الى مزيد من الهدوء على الجانب العربي للخليج ، كما أنه أيضاً سيضع حداً لهذه الأعمال العدوانية والانتقامية الصغيرة الدائرة بين مختلف فروع « عرب العتوب » .

لكن حكومة بومباي لم تكن تقر المقيم العام على هذه الآراء ، لذلك أبلغت حكومة إيران فوراً وبمجرد أن وصلتها هذه الانباء وبتعبيرات حاسمة وواضحة أنها لا توافق على عمل مقيمها العام ، وزيادة في إعلان عدم تقبلها لهذه الاتفاقية نقلت كابتن بروس من منصبه ، واستدعته فوراً الى الهند .

وبالاشارة الى ماجاء بهذه الاتفاقية عن البحرين ذكرت حكومة بومباي أنها لا تستطيع ان تجد دليلا واحداً يثبت صحة زعم ملك ايران بلقب حاكم البحرين ، ولا تستطيع في نفس الوقت الاعتراف بهذا الزعم دون إضرار بامام عمان والعتوب . كما ان هذه الاتفاقية تلزمنا بالوقوف في وجه كل قوة لها جزر في الخليج ولا سيما العتوب الذين يرتبطون معنا بمعاهدة صداقة والذين لدى السلطات البريطانية أسباب تدعوها للرضى عن سلوكهم . وفي نفس الوقت أيضاً ــ وحسب تقرير ارسله ميجور ج. ويلوك ممثل بريطانيا في تبريز فأن الشاه بدوره لم يقر هذه الاتفاقية « ووجه اللوم الى حاكم فارس لدخوله في المفاوضات التي أدت لتوقيعها دون معرفة طهران » .

زيارة الملازم ماكلاود المقيم الجديد للبحرين ، والحالة العامة هناك يناير ١٨٢٣

وبناء على أوامر خاصة من حكومة بومباي قام الملازم ماكلاود الذي عين خلفاً لكابتن بروس بجولة هامة على الساحل العربي ، زار فيها المنامة في ٢٧ يناير سنة ١٨٢٣ حيث استقبله شيوخ البحرين بحفاوة . وكان الهدف الرئيسي من الزيارة هو طمأنة الشيخ بشأن اتفاقية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كابتن بروس التعسة ، وإبلاغه بأنها باطلة ، وان الحكومة البريطانية لن تغير شيئاً من سياستها نحوه . ونوقشت أيضاً قضية السفينة البحرينية التي استولت عليها سفينة صاحبة الجلالة « صوفي » ونقلتها الى بومباي لاتهامها بارتكاب حادثة قرصنة على قارب من بوشهر . وقد تبين أن الشيخ عبدالله –أصغر الشقيقين الحاكمين والذي يقيم هو ومعظم العتوب في جزيرة المحرق هو الحاكم الفعلي ، وان شقيقه الأكبر الشيخ سلمان الذي كان العمر قد تقدم به الآن كثيراً ما يوكل عنه ابنه خليفه في معظم القضايا الهامة بينما تقاعد هو ليقضي أيامه الاخيرة في الرفاع الشرقي بالجزيرة الرئيسية ، وقد زاره المقيم هناك ايضاً . وذكر الملازم ماكلاود أن سلطة شيوخ البحرين على ارضهم ليست مطلقة كما يتوقع ، وأن « أهالي الجزر يتحملونها على مضض ظاهر » ، ووضح أيضاً أن الخدم والعبيد يشغلون وظائف لا تكون إلا للشيوخ فقط .

وتوفي الشيخ سلمان بعد هذه الزيارة بسنتين في ١٨٢٥ ، وأصبح ابنه خليفه من بعده يتقاضى نصف صافي عوائد الإمارة ، لكن الشيخ عبدالله على الرغم من أن موافقة ابن شقيقه على أعمال الحكومة مفروضة نظرياً أعد عدته لان تصبح السلطة التنفيذية كلها بين يديه وحده .

الصراع بين رحمة بن جابر وشيوخ البحرين ١٨٢٢–١٨٢٦ :

وكان الصراع القائم بين رحمة بن جابر ، زعيم الجلاهمة الساخطين ، وشيوخ البحرين مصدراً لاضطراب دائم لم يتوقف الا بموت رحمة فيما بعد . ويبدو ان ضيق الكابتن بروس بتلك الحروب الصغيرة التي كانت قائمة بين آل خليفة والجلاهمة ، هو الذي دفعه الى تقديم التنازلات الخرقاء لحاكم شيراز .

وفي بداية سنة ١٨٢٢ طلب كلا الطرفين وساطة السلطات البريطانية التي وافقت فوراً على هذا الطلب بشرط أن لا يفهم من ذلك ان بريطانيا ستضمن التزام الطرفين بتنفيذ ما يتم الاتفاق عليه ، وتم لقاء بين عبدالله بن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أحمد ، ورحمة بن جابر في باسيدو بحضور الرائد كينيت ، الوكيل السياسي المساعد بها ، ولكن بدا أن الخلاف بينهما لا يمكن التوصل الى حله . وعاد الشيخ عبدالله بعد هذا اللقاء الخائب الى البحرين . على حين سار رحمة بن جابر ليشكو همه إلى صديقه وحليفه السيد سعيد ، وكانت النتيجة الوحيدة لهذه الحركة هي أن حاكم مسقط أبلغ المقيم السياسي بعدها بعدة شهور بأنه يعتبر رحمة بن جابر شخصاً لا يمكن الوثوق به أو الاعتماد عليه وانه أى المقيم بالتالي لا يستطيع ان يتقبل ما تريد حكومة الهند تكليفه به من مسئولية عن تصرفات رحمه .

وفي سنة ١٨٢٣ بذل الملازم ماكلاود مزيداً من الجهد الفعال لتحقيق الاتفاق بين هذه الاطراف لكنه لم يكتب له النجاح هذه المرة أيضاً .

وأخيراً وفي ٢٤ فبراير سنة ١٨٢٤ تم توقيع اتفاقية في البحرين أمام الرائد أ. ج . ستانوس المقيم السياسي ، بين الشيخ عبدالله ورحمة بن جابر ، تعهد كل منهما فيها بأن يتصالح مع الآخر على أساس عدة شروط أهمها أن يسحب رحمة حمايته عن قبيلة آل بو سميط ، وأن يعوض رعايا البحرين عن الخسائر التي أوقعها بهم . وظل الطرفان ملتزمين بهذا الصلح لمدة سنتين تقريباً . وقد حاول المقيم في سنة ١٨٢٥ التوصل الى اتفاقية بين شيخ البحرين وآل بو سميط لكنه فشل ، وفي الحرب التي أعقبت ذلك بينهما القى رحمة بن جابر بنفسه —وهو عجوز وأعمى كما هو مذكور في تاريخ الأحساء— الى التهلكة بطريقة درامية غريبة .

تجدد خطط سيد مسقط بالنسبة للبحرين .

وفي سنة ١٨٢٠ اعترف شيوخ البحرين كما رأينا بسيادة سلطان مسقط عليهم ، وتعهدوا بدفع الجزية له كل سنة ، ودفع منها مبلغ بالفعل ، ولكن في سنة ١٨٢٢ — إن لم يكن قبلها— توقف الشيوخ المذكورون عن الالتزام بتلك الاتفاقية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي أغسطس ١٨٢٢ ، حين بدا أن السيد سعيد يعد حملته البحرية على البحرين ، وجه حاكم بومباي خطابات عاجلة اليه ، والى غريمه الشيخ عبدالله يستنكر فيها الحرب ويقول بأن الجزية لا بد ان تدفع إذا كانت قد دفعت بانتظام قبل ذلك وكان تاريخها يرجع الى سنوات طويلة من قبل ، وإلا فعلى حاكم عمان ان يسحب مطالبته بها . وفي ربيع سنة ١٨٢٣ حين ترددت شائعات عن هجوم وشيك على البحرين تشترك فيه حكومة ايران وحاكم مسقط وشيخ القواسم ، اوعزت حكومة بومباي إلى الميجور ويلوك ، ممثل بريطانيا في طهران أن يحاول إقناع ايران بعدم إثارة الاضطرابات في الخليج . وفي سنة ١٨٢٥ حين توفي الشيخ سلمان في البحرين سار السيد سعيد الى هناك منتصراً لمطالبة أبناء الشيخ سلمان بالحكم المطلق في البحرين وانتزاعه من أيدي عمهم الشيخ عبدالله ، وقد صدرت لحاكم مسقط تحذيرات شديدة اللهجة من جانب حاكم بومباي .

★ ★ ★

حملة سيد عمان الثالثة والاخيرة على البحرين ١٨١٨

الاستعدادات في مسقط والبحرين يونيو – اكتوبر ١٨٢٨

حوالى يونيو سنة ١٨٢٨ ذاع أن السيد سعيد فيمسقط يجمع السفن ويعد الرجال لهجوم على البحرين جديد ، لكن السيد سعيد نفسه سارع إلى تكذيب ذلك ، وبادر فأرسل مبعوثاً من لدنه محملا بالهدايا ، وبرسالة ودية منه لشيوخ العتوب . وقد وضح ازدواج سلوكه بالنسبة لهذه القضية فطلب شيوخ البحرين حماية الحكومة البريطانية ، لكن المقيم رفض التدخل إلا بإبعاد بني ياس الذين كان يخشى أن يؤدى ارتباطهم بالسيد سعيد إلى تدخل القواسم لمناصرة العتوب . وفي أغسطس أرسل السيد سعيد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اعلاناً كتابياً بالحرب الى الشيخ عبدالله ينذره فيه بقدومه اليه قبل انقضاء شهر ، وفي أوائل سبتمبر ، أبحرت عمارة مسقط التي كانت تتكون من عدد كبير من السفن المصنوعة في اوربا وفي عمان الى قشم فوصلتها في ١٧ منه ، وبعد قضاء عدة أيام في قشم عبر الاسطول الخليج الى ابو ظبي ، وهناك لحق به الشيخ طحنون الذي لم يستطع المقيم العام بسببه التدخل ، كذلك لحقت به فرقة من بني ياس ، وفي ٢٧ أكتوبر تشتت أسطول السيد في البحر نتيجة عاصفة شديدة لكنه تجمع مرة أخرى ، وفي اليوم الاخير من الشهر بدأت سفنه تتخذ مرساها حول جزيرة سترة ، بالقرب من مدخل خور القلعة .

وفي نفس الوقت كان الشيخ عبدالله بن أحمد قد اتخذ كل ما يمكنه من الاجراءات لصد الغزو المتوقع ، فتجمع الاسطول الكبير الذي كانت تملكه البحرين في خور فشت حتى يستطيع أن يحبط أي هجوم على المنامة من عرض البحر ، وتجمعت السفن ذات الحجم المتوسط والصغير بالقرب من مدينة المحرق ربما لانها كانت موقعاً مركزياً يستطاع منه الحركة بسهولة وسرعة إما إلى ميناء المنامة او إلى خور القلعة . وأغلق مدخل خور القلعة بأن اغرقت فيه قوارب محملة بالاحجار ، وتم إصلاح كل التحصينات وترميمها ؛ وتجمع عرب كثيرون من اماكن عديدة للدفاع عن الجزر . وفي نفس الوقت أيضاً بذل العتوب جهوداً كبيرة لرشوة شيخ ابو ظبي كي يقف موقفاً حيادياً ، ويبدو من تطور الأحداث أن هذه الجهود لم يقدر لها النجاح .

وكان الشاطىء المواجه لمرسى اسطول مسقط تراقبه في البداية فرقة يقودها خليفة بن سلمان الشيخ الثاني في البحرين . ولكن بعد ثلاثة أيام قضاها العمانيون منهمكين في تنظيف مدخل الخور من هذه العقبات الصناعية انسحب المدافعون الى الحورة وهي ضاحية شرقي مدينة المنامة . وفي ٥ نوفمبر على وجه التقريب ، طهر مدخل خور القلعة ودخلت

منه سفينتان و ١١ قارباً ، وطلبوا من العتوب الاستسلام وانذروهم ، لكن هؤلاء تلقوا انذارهم باستخفاف . وفي ليلة ٥ نوفمبر استطاع بعض جنود مسقط النزول الى ارض جزيرة سترة ، واحتلال إحدى قلاعها ، وفي اليوم التالي حاولت بعض سفن الاسطول ضرب مدينة المنامة وقلعة هالة ابو ماهر لكنها فشلت ، ولم يحدث شيء حتى يوم ٩ نوفمبر حين علم السيد سعيد بأن جنود الشيخ طحنون وبني ياس بدأوا النزول من السفن دون اوامر في المنطقة ما بين رأس الجفير ورأس ام الحسام ، فهاله ذلك وأسرع الى الشاطىء يصحبه حارس نوبي وبعض ممن استطاع جمعهم من الرجال ، وقبل ان تصــــــل هذه الجماعة الى المكان المقصود كان العتوب الذين يحمون مدينة المنامة ويغطونها قد حملوا على الفرقة التي نزلت الى الارض حملة شديدة مفاجئة ، وشتتوا شملها بفضل هجوم الفرسان من وراء غابات النخيل في ماهوز على جناح الفرقة ومؤخرتها ، وقد لوحظ ان بني ياس كانوا اول من هرب من هذا الاشتباك ، وتردد بعد ذلك مباشرة أنهم رفعوا سلاحهم على حلفائهم ، ونهبوهم ، بل وعملوا كل ما يمكنهم عمله للحيلولة بين لاجئيهم والهرب الى القوارب حتى ان السيد سعيد نفسه ، الذي ابعده حرسه النوبي عن ميدان القتال اضطر لان يقطع مسافة سابحاً كي يصل في سلام ، وأثناء سباحته أصابته ضربة رمح في قدمه . ويبدو ان هذه الحادثة وقعت على الضفة الجنوبية من خور القلعة ، في مكان ما بين المدخل الشرقي للخليج ومدينة المنامة . وفي نفس الوقت ساد الفزع جنود الاسطول وهم يرون ما يحدث على الشاطىء ، وبدلا من دخول الاسطول في المعركة وتقديم العون للمقاتلين ، رفع مراسيه وأقلع من خور القلعة ، وأثناء تنفيذ هذه المنــاورة غرقت سفينة بشراعين وأخرى متوسطة الحجم استولى عليها العتوب واستطاع العمانيون — في جنح الليل — تدمير السفينة الاولى قبل ان يجرها الأعداء كمغنم لهم ، وقدرت خسائر الغزاة في هذه العملية بحوالي ٥٠٠ رجل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإزاء هذه الكوارث ، من هزيمة منكرة ، الى تخوف من مزيد من الخيانة ، وجراح نازفة في الساق ، الى تفشي وباء الكوليرا بين الجنود على ظهور السفن ، الى ترامي الانباء المكدرة في مستعمرات عمان الافريقية ، ازاء ذلك كله ، وجد السيد سعيد نفسه مضطراً لبذل محاولات متلاحقة اراق فيها ماء وجهه ، لعقد الصلح . وأخيراً ارغم على العودة إلى عمان بقواته كلها في ٢١ نوفمبر . ولم يفلح العذر الذي قدمه السيد سعيد وهو ان الله لم يبارك حملته هذه في تلافي هبوط أسهمه في كل مكان في منطقة الخليج . وربما كانت هذه الهزيمة سبباً من الاسباب التي ستدفع بالسيد سعيد –بعد سنة ١٨٢٨– لأن يوجه اهتمامه كله الى ميدان بعيد وأقل وعورة .. وهو ميدان افريقيا .

★ ★ ★

تتابع الاحداث ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩

شيخ البحرين يرجع إلى المقيم السياسي البريطاني ديسمبر ١٨٢٨ :

وعقب رحيل اسطول الاعداء مباشرة ، كتب الشيخ عبدالله للرائد د. ويلسون ، المقيم السياسي في بوشهر ، يشكو اليه ما فعله شيخ ابو ظبي وانضمامه الى الحملة على البحرين ، مشيراً الى المادة الرابعة من معاهدة السلم الشاملة التي يلتزم بها شيخ البحرين وشيخ أبو ظبي كلاهما والتي تنص « على الا تتقاتل القبائل المتصالحة بعضها مع بعض » ورد المقيم عليه فأوضح له معنى هذا النص ، وكيف أنه يمنع الحرب بين القبائل المتصالحة اذا اتخذت هذه الحرب شكل عمليات القرصنة لا شكل الحرب العلنية السافرة .

الحرب البحرية بين شيوخ العتوب وسيد عمان ١٨٢٩ :

وحين علم شيوخ البحرين ان الاشتباك في حرب منظمة أمر لا يتناقض مع معاهدة ١٨٢٠ قرروا القيام بالحرب في مياه العدو ، واعدوا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لذلك اسطولا من سبع سفن كبيرة . وارسل السيد سعيد فرقاطتين لملاقاته ، وابحر أسطول العتيبي في ٢١ مارس ١٨٢٩ تحت قيادة الشيخ عبدالله بن أحمد شخصياً .

والتقت سفن مسقط الحربية بعد قليل بسفينة بحرينية عائدة من الهند هي السفينة «سيار» ، فحاولت اولا ارهابها باطلاق النيران عليها عن بعد ثم النزول الى ظهرها ، لكنها وجدت بحارة السفينة مستعدين للرد عليهم بالقذائف السريعة الاشتعال ، فتراجعت سفن عمان وواصلت إطلاق النيران على السفينة من بعيد . واخيراً استطاعت «سيار» ان تهرب الى البحرين تحت جنح الليل ووصلتها سليمة الا من بعض الخسائر في حمولتها

وفي نفس الوقت ، التقى اسطول العتوب بسفينة ضخمة تابعة لشيخ عسالو ، فاشتبك معها لكنها أصلته ناراً حامية ودام الاشتباك عدة ساعات ، فتراجع اسطول العتوب ووجد مغنماً سهلا في سفينة من مرباط فاستولى عليها في عرض البحر بالقرب من مسقط ، وأثناء عودة الاسطول بغنيمته الى البحرين وجد فرقاطتين من مسقط تقطعان عليه الطريق بالقرب من كوع مبارك ، فوضعوا سفينة مرباط بين اسطولهم وبين فرقاطتي عمان ، وبدأوا نقل حمولتها الى سفنهم ، وهبط الظلام ، فأغرق العتوب سفينة مرباط وغيروا طريقهم ليهربوا بمغنمهم الى البحرين .

ولم تكن مرباط ، التي تقع بعيداً عن الطرف الجنوبي للجزيرة العربية ، تابعة لمسقط في ذلك الوقت ، وكان العمل الذي قام به العتوب بالنسبة لسفينة هذا الميناء عملية قرصنة لا شبهة فيها . وارسل المقيم السياسي انذاراً فورياً يطالب فيه برد حمولة السفينة التي نهبت ، وسلمت الانذار سفينتان من السفن الحربية البريطانية وقد أثمر جداً حتى إنه تمت اعادة مسروقات كانت قيمتها تتجاوز ثمانية آلاف روبية ، وسلمت بضائع أخرى إلى أصحابها في البحرين . ولتسوية بقية المبلغ اقترح ان يطلب الى شيخ البحرين دفع تعويض نقدي اضافي غير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنه تقرر عدم اتخاذ اجراءات لمتابعة الامر لما كان يتطلبه هذا العمل من وجود اربع سفن حربية بريطانية لمحاصرة ميناء البحرين ناهيك عن احتمال تعطيل الملاحة بواسطة القذائف والصواريخ مما سيضفي على العملية طابع الخطورة .

عقد الصلح بين شيوخ العتوب وسيد عمان ٢ ديسمبر ١٨٢٩ :

وفي نفس الوقت بدرت عن السيد سعيد تلميحات بأنه يعد حملة جديدة على البحرين ، فأصدرت حكومة الهند اوامرها الى الرائد ويلسون المقيم السياسي في بوشهر في ابريل ١٨٢٩ بعرض خدماته كوسيط في هذا النزاع . وتقبل السيد سعيد هذا العرض بترحيب ، فهو من ناحية كان متلهفاً للسير الى زنجبار ، ومن ناحية أخرى كان يدرك ما له من حظوة لدى السلطات البريطانية . لكن العتوب المنتصرين استطاعوا ان يوقفوا هذه الاجراءات حين اصروا على ان تأخذ الحكومة البريطانية على عاتقها مسئولية مراقبة تنفيذ أية معاهدة تعقد بين الطرفين مسئولية كاملة . ورفض المقيم البريطاني بحزم قبول هذا الشرط رغم ان السيد سعيد كان يتلهف ايضاً لوجوده ، وبعد عدة شهور من المباحثات الفاشلة أعلن المقيم البريطاني انتهاء وساطته ، وكعقاب لشيوخ البحرين على عنادهم سحب طراد بريطاني كان موجوداً بصفة دائمة على شواطىء اللؤلؤ للمحافظة على النظام في موسم ١٨٢٩ . وبفضل هذه اللامبالاة الواضحة من جانب السلطات البريطانية عاد الشيخ عبد الله الى رشده ، وتم في ٢ ديسمبر سنة ١٨٢٩ ـ بوساطة الشيخ محمد بن ناصر شيخ بوشهر ـ توقيع اتفاقية فصلت بين الطرفين المتصارعين وكانت أهم شروطها أن تقوم البحرين مستقبلا بدفع الجزية لمسقط ، وألا يتدخل أحد هذين الحاكمين في شئون الآخر الداخلية ، وأضيف الى شروط هذه الاتفاقية تعهد شفوى بأن يقدم كل من الطرفين عونه للطرف الثاني في حالة وقوع هجوم عليه من جانب طرف ثالث ، وقد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سمح للشيخ طحنون شيخ ابو ظبي بالإفادة من مزايا هذا السلم ، وبناء على طلب شيوخ العتوب استبعد آل بو سميط المتمردون من الاتفاقية .

★ ★ ★

التاريخ العام منذ توقيع الصلح مع سيد عمان حتى وصول القوات المصرية الى الاحساء ١٨٣٠ ـ ١٨٣٨

خضوع شيوخ البحرين لأمير الوهابيين ١٨٣٠ ـ ١٨٣١ :

وبعد هذه الاحداث بقليل عاد الى الأحساء نفوذ قوي كان غائباً عنها لمدة طويلة ، ونعني به نفوذ وسط الجزيرة ، فقد أقام امير الوهابيين تركي بن سعود قاعدة فيها وسرعان ما أصبح لهذه القاعدة آثارها على مكانة شيوخ البحرين .

وفي نهاية سنة ١٨٣٠ طلب الوهابيون من شيوخ البحرين دفع الزكاة اليهم كما طالبوهم بتعويض يصل الى ٤٠ الف دولار لحساب خيول كان الوهابيون قد تركوها في عهدة الشيخ عبدالله منذ سنوات بعيدة ، كذلك طلبوا ايضاً التنازل لهم عن قلعة الدمام على شاطىء الأحساء . واقترح الوهابيون ان يجعلوا على الدمام بشير بن رحمة بن جابر عدو العتوب اللدود فيما مضى . وحاول شيوخ البحرين كسب تدخل بريطانيا الى صفهم ، لكنهم فشلوا في ذلك ، وبدأت تساورهم المخاوف من تحالف يقوم بين الوهابيين والسيد سعيد في مسقط فأرسلوا قريباً لهم إلى الرياض يتفاوض باسمهم ، وفي النهاية سويت الأمور على أن يعترف شيوخ البحرين بسيادة أمير الوهابيين عليهم وأن يدفعوا له الزكاة ، ويبدو أن الوهابيين تنازلوا عن مطلبهم بتسليم قلعة الدمام نظراً لخضوع شيوخ البحرين لهم ، وفي مقابل ذلك تعهد الوهابيون ببسط حمايتهم على البحرين في وجه أي عدوان خارجي عليها ، لكن شيوخ العتوب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم يكونوا يثقون بعهود الوهابيين خاصة لمسلكهم غير الودي في تنصيب بشير بن رحمة على جزيرة طاروت المواجهة لمدينة القطيف ، والذي سرعان ما لحق به هناك معظم آل بو سميط أعداء حكام البحرين الألداء منذ زمن بعيد .

شيخ البحرين يرفض سيادة أمير الوهابيين ١٨٣٣ – ١٨٣٥ :

وفي سنة ١٨٣٣ تشجع الشيخ عبدالله شيخ البحرين برحيل بشير بن رحمة الى مسقط – وكان هذا قد وجد اقامته في طاروت شبه مستحيلة نظراً لعداء أهل القطيف له– فتخلى عن خضوعه للوهابيين . وكان شيخ البحرين قد حرص قبل ان يغامر بالقطيعة مع الوهابيين على ضمان جياد سيد عمان ، كما كان مؤيداً من جانب القبائل العربية على الارض المجاورة خاصة فرع عمير من بني خالد الذين بدأوا مباشرة وبتحريض منه يضايقون الوهابيين في الأحساء ، لذلك لم يستطع حكام الرياض أن يقوموا بأي عمل رداً على قطعية شيخ البحرين . وفي ١٨٣٤ بدأ الشيخ عبدالله مهاجمة وحصار موانى الوهابيين في القطيف والعقير . وجاء اغتيال أمير الوهابيين بعد ذلك بفترة قصيرة على يد ابن شقيقه مشاري فعُزِيَ الى مكيدة من شيخ البحرين الذي لم يخف احتفاله بالمناسبة فأطلق نيران مدافعه واتخذ مظاهر أخرى تعبيراً عن ابتهاجه ، واستطاع شيخ البحرين بتقديم بعض الرشاوى وبسبب فشل محاولة قام بها امير الوهابيين الجديد فيصل بن تركي لاستعادة جزيرة طاروت أن يواصل حصاره لميناءي القطيف والعقير ، بعد أن كان رفعه كما راح ايضاً ينهب سفن كلا الميناءين .

الحالة الداخلية لآل خليفة في البحرين ١٨٣٣ – ١٨٣٥ :

وفي ١٨٣٣ وحين أعلن الشيخ عبدالله قطيعته للوهابيين ، أقام وقتاً ما مع ابنيه مبارك وناصر في قطر ليراقب استعدادات العدو ، وواضح أنه عاد بعد فترة إلى البحرين . وبعد موت ابن شقيقه وشريكه في الحكم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـالشيخ خليفه بن سلمان في ٣١ مايو ١٨٣٤ـ.أصبح الشيخ عبدالله هو الحاكم المطلق في البحرين . غير أن عناده واستقلاله برأية وتلهفه على أن يمسك بخيوط السلطة جميعاً في يديه دون اقربائه الادنين ـبل ودون ابنائه أيضاًـ إلى جانب تهاونه وتساهله في غير ضرورة للتساهل والتهاون ، وسوء حكمه عموماً حين تفرد بالحكم أدت جميعها إلى ان تصبح الحالة الداخلية في إمارته تنذر بالخطر .

وفي سنة ١٨٣٥ تمرد أهل الحويله في قطر على سلطته ، وبدأوا يراسلون الوهابيين ، وتمرد واحد من ابنائه مناصرة لأهل الحويله وبدأ بمعونة عدة مئات من الوهابيين يشن غارات على تجارة البحرين في البحر ، كما قام ابن آخر من ابنائه ـوهو أحمدـ بإثارة عدة حوادث شغب في البحر دفع تعويضات عنها بمجرد طلب السلطات البريطانية منه ذلك ، ثم رحل إلى قطر ومنها الى مسقط بهدف الحصول على عون السيد سعيد ضد أبيه في البحرين .

لكن السيد سعيد ـبدل أن يحقق رغبة أحمدـ أرسل ابنه السيد هلال إلى البحرين لتسوية الخلافات القائمة بين آل خليفه ، وتم التوصل إلى إتفاقية بينهم ذكرناها بالتفصيل في تاريخ قطر . ولكن سرعان ما خرقها أنصار الشيخ عبدالله الذين أغروا آل بو كواره ليهاجموا أهل الحويله ، ورفض الشيخ أن يدفع تعويضات عن هذا العمل ، وأدت هذه الحادثة الأخيرة إلى هجرة عيسى بن طريف ـأقوى رجل في الحويله ـ والتجائه إلى شيخ ابو ظبي في عمان المتصالحة ، وستشير إلى اعماله التالية فيما بعد .

الصلح بين الوهابيين والعتوب ١٨٣٦ :

وحوالي منتصف سنة ١٨٣٦ توجس الشيخ عبدالله خيفه من بوادر نوايا حكومة شيراز ، ربما بعون من سيد عمان لتجديد مزاعم سيطرتها على البحرين ، فاتخذ خطوات نحو التوصل الى تسوية مع أمير الوهابيين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتلقى الامير فيصل بن تركي هذا العرض بارتياح ، فقد سبب حصار البحرين لموانى الاحساء خسارة لرعايا الوهابيين فيها ، كما بدأت القوات المصرية الآن تضغط على جبهته الغربية . وتم التوصل الى اتفاقية بالفعل . وتعهد الشيخ بأن يدفع جزية رمزية سنوية قدرها ٢٠٠٠ روبية للامير ، وتعهد الامير في مقابل ذلك بأن يقدم قوات من جنوده للدفاع عن البحرين ضد أي هجوم خارجي ، كذلك امتنع عن ان يطلب من الشيخ توفير وسائل الانتقال البحرية له إذا فكر في القيام بحملة بحرية على مسقط ، واعيد فتح طريق المواصلات بين البحرين وموانى القطيف والعقير .

الحالة الداخلية في البحرين ١٨٣٦ ـ ١٨٣٨ :

وفي نفس الوقت كان احتمال الرعايا البحرينيين يتناقص يوماً بعد يوم ، كذلك أيضاً بدأت الجزر تخلو من سكانها المهاجرين ، وكانت المدن في حالة من الفوضى والخراب ، وهبط إيجار المنازل إلى القيمة التي كانت عليها منذ سنوات قليلة ، وزعم ستة من ابناء الشيخ ان لكل منهم سلطته المستقلة ، وانحصرت جهودهم جميعاً في ابتزاز الاموال من التجار وغيرهم من ذوي اليسار ، ولم يكن للمواطن البحريني العادي أية حقوق معترف بها ، حتى حيواناته التي يملكها كثيراً ما كانت تؤخذ منه لاعمال السخرة ، ولا تعاد اليه ابداً . وكانت النتيجة هجرة جماعية لأهالي البحرين الى مختلف مناطق الخليج .

والحقيقة ان الدور الذي قام به الشيخ عبدالله والذي كان يفترض فيه ان يتضاءل مع تقدمه في السن ـ وذلك ما لم يحدث كما تبين الاحداث اللاحقة ـ كان دوراً شائناً بالفعل ، فهو لم يقدم أية تعويضات عن الاضرار التي كانت تلحق برعاياه ، واكتفى بأن ينصحهم بالبعد عن طريق أبنائه وأنصارهم . وأعلن في سنة ١٨٣٦ أنه على وشك الانتقال للإقامة بخور حسان في قطر ، وأدى إعلانه عن هذه الخطوة الى ان يسارع أقاربه الذي لم يكونوا مستعدين لمواجهة نتيجة مثل هذا العمل المتعب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى الاعتذار المتعجل له ، والوعد بالطاعة من جانبهم . وقد كشف انذار وجهه الشيخ بحضور المعتمد البريطاني لتاجر من بوشهر لإبلاغه لزملائه التجار جميعاً بألا يطلب أحد اليه حماية او تعويضات عن عمل أو أمر يصيبه عن نية الشيخ الجادة في اتخاذ قطر قاعدة لأعماله ضد أقاربه المناوئين له في البحرين . كما أنه اتخذ في سنة ١٨٣٧ خطوات أخرى لتنفيذ تهديده هذا فأرسل زوجتين من زوجاته بأطفالهما ومنقولاتهما –حتى أبواب المنازل– للإقامة في خور حسان. وفزع أبناء الشيخ وبقية أقاربه لهذا الاجراء من جانبه فأصلحوا سلوكهم فترة من الزمن .

★ ★ ★

علاقات بريطانيا بالبحرين ١٨٣٠ ــ ١٨٣٩

وكان من نتائج هذه الاختلافات بين آل خليفه الاعتداء على الوكيل المحلي للحكومة البريطانية في البحرين مما أدى الى قطع العلاقات بين بريطانيا وحكومة البحرين ، فقد علم أبناء الشيخ أن مبلغاً كبيراً من المال مستحق الدفع من جانب الوكيل البريطاني لابيهم لمعاملات تجارية ، فطالبوا بدفعه لهم هم ، واستطاعوا بارتكاب حماقات وبمعاملة الوكيل معاملة سيئة أن يبتزوا منه مبلغاً كبيراً . وحاول الوكيل–الذي يبدو ان شيخ البحرين رفع عنه حمايته– ان يهرب من ازدياد المعاملة السيئة التي يتعرض لها، لكنه اضطر للظهور رسمياً بمناسبة وصول سفينة بريطانية إلى الميناء ، وبالتالي لم يستطع الهرب ، ولقي معاملة أكثر سوءاً من ذي قبل .

ورفض الشيخ دفع التعويض ، فأرسلت قوة بحرية بريطانية إلى البحرين لتحصيلها بالقوة اذا لزم الأمر ، وتحت هذه الظروف استسلم الشيخ للمطالب المقدمة اليه وهي ان يأتي أحد أبنائه – أو هو بنفسه – لمقابلة الضابط البحري الأول ومعه خلعة تكريم للوكيل البريطاني ، وان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يتم جلد الذين اشتركوا في إهانته وسوء معاملته إما على ظهر السفينة الانجليزية نفسها او على ظهر أي قارب من قوارب الشيخ الممتدة على طول الساحل .

استبعاد شيخ البحرين من توقيع معاهدة الهدنة البحرية ١٨٣٥ :

وحين عقدت الهدنة البحرية الاولى في سنة ١٨٣٥ بين شيوخ عمان المتصالحة - كما هو مذكور بالتفصيل في تاريخها - لم يدع شيخ البحرين للتوقيع على هذه المعاهدة رغم أنه يماثل هؤلاء الشيوخ في كل شيء حتى كان طرفاً في معاهدة الصلح الشاملة لسنة ١٨٢٠ . وكان استبعاده يعود لأمرين : الاول ان سلوك الشيخ فيما يتعلق بالأمن في البحار لم يكن خالياً من الشوائب حتى ذلك الحين وثانياً أن الشيخ لن يستطيع ان ينتهج سياسة معاكسة لسياسة بريطانيا القادرة دائماً على ايقاع العقاب به لو فعـــــل مثل ذلك ، كما أن شيخ البحرين لو سمح له بالانضمام الى معاهدة السلم البحرية فقد يطالب السلطات البريطانية بحماية البحرين من الهجوم عليها في حالة قيام الحرب بينه وبين عمان وهو أمر كان محتمل الوقوع .

امتداد الخط الحاجز إلى البحرين ١٨٣٦ :

وتم تحديد خط مانع لا يسمح بعده بارتكاب اعمال عدوانية في البحر بين عمان المتصالحة والساحل الايراني ، وقد نفذت ذلك السلطات البريطانية وبموافقة شيوخ عمان المتصالحة دون توقيع اتفاقية رسمية . وفي نفس السنة ، وبعد اضطراب العلاقات بين شيخ البحرين وأهل الحويلة في قطر ، امتد الخط بموافقة الشيخ عبدالله حسب خطابه بتاريخ ٢٦ مارس ١٨٣٦ من جزيرة حالول ، على مبعدة عشرة أميال عن رأس ركن أقصى الشمال من قطر ماراً بجزيرة قراين إلى رأس الزور حيث يلتقي بالساحل العربي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قرصنة بني عمير وبني هاجر ١٨٣٧

وفي سنة ١٨٣٧ انتهز فرع عمير من بني خالد وبعض بني هاجر المستقرين في الدمام وهم اسمياً على الاقل يعتبرون رعايا لشيخ البحرين فرصة الفوضى السائدة في الاحساء كما في غيرها من ارض الوهابيين للقيام بحملة قرصنة على سفن ميناء القطيف ، كما ان بعض القوارب التابعة للبحرين أيضاً وقعت ضحية قرصنتهم . فحاول الشيخ عبدالله استصدار اذن من الحكومة البريطانية بمعاقبتهم ، ونجح بسرعة في الاستيلاء على قاربين من قواربهم ، وقتل في هذه العمليات خمسة من القراصنة .

تفادي الحرب البحرية بين البحرين وأبو ظبي ١٨٣٨

وكان نفوذ المقيم البريطاني في الخليج هو الذي يحول بين عيسى بن طريف منذ هجرته من حويله قطر في ١٨٣٥ واستقراره في ابو ظبي بعمان المتصالحة– وبين القيام بغارات انتقامية على ارض شيخ البحرين .

وفي سنة ١٨٣٨ حصل الشيخ عبدالله –الذي كان يلح في ضرورة رجوع المهاجرين ممن كانوا غادروا البحرين مصرين على عدم العودة– على اذن بارغامهم على العودة بالقوة البحرية بعد انقضاء مهلة محددة .

وكان آل بن علي وآل بو عينين احراراً في ان يقاتلوا معه بعد انقضاء هذه المهلة ، لكن الشيخ كان في دخيلة أمره متردداً من التورط في حرب لا بد ستجره لقتال ابو ظبي فتأمل أن تقوم الحكومة البريطانية بالضغط على هؤلاء المهاجرين كي يعودوا ، وعرض بواسطة المقيم البريطاني في بوشهر قبل حلول اليوم المحدد لانتهاء المهلة .أن يسمح لهم بالعودة الى قطر . ووضعت بالتالي سفينة حربية بريطانية تحت تصرفه لتنقله هو أو من يعينه وكيلا عنه إلى ابو ظبي لإجراء المفاوضات على هذا الاساس ، غير ان الشيخ عبدالله رفض في النهاية التوصل الى أية اتفاقية مع اولئك المتمردين ما لم تضمنها الحكومة البريطانية ، وهو شرط

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم تستطع السلطات البريطانية الموافقة عليه . وأعلنت الحرب فأبلغ كلا الجانبين بأن عملياتهما الحربية يجب الا تتجاوز الخط المانع .

ويبدو أن اهل البحرين هم الذين منوا بالخسارة الفادحة في الاضطرابات التي أعقبت ذلك ، وفي سنة ١٨٣٩ طلب تجار الإمارة توسط المقيم البريطاني لإنهاء هذا الصراع ، والتوصل لاتفاقية . لكن المقيم المساعد الذي ارسل لهذا الغرض إلى الساحل العربي وجد ان كلا الطرفين ممتنع عن التوصل لاتفاقية ما لم تضمنها الحكومة البريطانية .. ولم يكن من ناحيته مفوضاً بمثل هذه الصلاحيات .

وفي نفس الوقت –على أية حال– بدأت مراسلات ودية بين شيخ البحرين وشيخ ابو ظبي ، وكان هذا الاخير ساخطاً على مسلك عيسى بن طريف وقد ابلغه بالفعل أنه يخيره بين أن يترك بلاده او ان يقيم فيها كمواطن يحترم القانون ويلتزم به . وبعد فترة قصيرة عقد حلف دفاعي هجومي بين الشيخين عجل بعقده وجود القوات المصرية في الاحساء وتهديدها لاستقلال البحرين . وكانت النتيجة ان قرر عيسى بن طريف أن يلتمس لنفسه مأوى آخر غير ابو ظبي بعد انتهاء موسم الغوص وراء اللؤلؤ لسنة ١٨٣٩ كما وافق في نفس الوقت على إيقاف كل أعماله العدائية .

★ ★ ★

الحالة في البحرين أثناء احتلال القوات المصرية الاحساء ١٨٣٨ ــ ١٨٤٠

وصول القوات المصرية إلى الأحساء ومطالبها من البحرين باسم الامير خالد ١٨٣٨

قرب نهاية سنة ١٨٣٨ أسر خورشيد باشا قائد القوات المصرية التي اجتاحت وسط الجزيرة فيصل بن تركي أمير الوهابيين في الخرج

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعد نفيه الى القاهرة وضع المصريون بدله دمية لهم باسم الامير خالد . وبعدها مباشرة تم احتلال الاحساء ، ولجأ أمير الوهابيين فيها عمر بن عفيصان الى البحرين ، وتكشفت خطط المصريين ضد إمارة البحرين نفسها بعد فترة قصيرة بالمطالب المتتالية من شيخها والمقدمة باسم الامير خالد ، لدفع الجزية كما كان الامر في الماضي ، ولإعادة جزيرة طاروت وحصن الدمام ولتسليم عمر بن عفيصان . وفي نفس الوقت كانت فرق من القوات المصرية مشغولة بجمع الامدادات لبقية القوات من جزر البحرين وغيرها من الأماكن البعيدة .

موقف حكومة الهند :

وأصدرت حكومة الهند وهي المهتمة بهذه الاحداث اوامرها الى المقيم العام في الخليج باستخدام كل إمكاناته لوقف التجاوزات المصرية ، لكن عدم وجود تعليمات واضحة لديها من لندن جعلها لا تستطيع ان تقترح خطاً محدداً للعمل ولذلك ترددت تردداً طويلا في أن تقدم لشيخ البحرين وعداً بمساعدته .. وكان هو في ذلك الوقت متلهفاً أشد التلهف للحصول على مثل هذا الوعد ، ورد الكابتن هينيل المقيم السياسي على سؤال من جانب الشيخ ، فأبلغه – في مارس سنة ١٨٣٩ على الارجح – أنه لا يستطيع أن يقدم له رأياً محدداً بشأن ما يقترحه من إرسال أحد أقربائه لمقابلة خورشيد باشا في الأحساء ، وأبلغه أنه يجب ان يكون هو الفيصل في مثل هذه الشئون .

طلب شيخ البحرين المعونة من الحكومة الايرانية :

ولما كان الشيخ عبد الله فزعاً من تقدم القوات المصرية وأفزعه أكثر وأكثر تردد إشاعة – يبدو أنها كانت قائمة على أساس من الصحة – بأن سيد عمان كان يتآمر مع القوات المصرية للاستيلاء على البحرين وحكمها كمقاطعة نائباً عن مصر فقد اعترف في مواجهة ما يطلب منه باسم الامير خالد بأنه أي شيخ البحرين من رعايا الحكومة الإيرانية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصول مبعوث ايراني إلى البحرين

وبهدف تأكيد هذا الزعم وربما بناء على اقتراح من الشيخ نفسه ارسل الامير الحاكم في شيراز مبعوثاً هو حاجي قاسم ليقيم في البحرين ، وكان هذا الرجل من قبل مسئولا عن شحن السفن التجارية ، لكنه أصبح الآن يحمل لقباً وثوباً شرفياً من شيخ البحرين ، وتحرسه فرقة من ١٠ جنود ايرانيين . وكان ارساله فشلا محققاً من كل ناحية خاصة بالنسبة لما كانت الحكومة الايرانية تفترضه من ان شيخ البحرين سيدفع جزية سنوية مقابل تأييدها وحمايتها .

أول أوامر واضحة من حكومة الهند بصدد خطط القوات المصرية في البحرين ١ ابريل ١٨٣٩ :

ولما ازدادت نوايا خورشيد باشا وضوحاً تجاه البحرين وجدت حكومة الهند نفسها مضطرة لان تستبق تعليمات حكومة صاحبة الجلالة بشأن السياسة التي يجب أن تنتهجها في الخليج . وانتهزت فرصة وجود أسطول بريطاني في هذه المياه لتفويض قائده سير ف. متيلاند « بأن يستخدم كل امكاناته وبقوة » لمنع قائد القوات المصرية من التقدم ، وخاصة إذا توجه لغزو البحرين ، وفوضت الاميرالية البريطانية قائد الاسطول بأن يقدم لشيخ البحرين ، في حالة إصرار القوات المصريةعلى تنفيذ مخططاتها ضده ، كل معونة تمكنه من المقاومة دون التورط في حرب فعلية ، واعتبرت حكومة الهند هذه التعليمات كافية لمواجهة الموقف ، والمحافظة عليه كما هو . ولم يكن الحاكم العام في الهند مستعداً في ذاك الوقت لعقد اتفاقية جديدة مع شيخ البحرين ، ولكن صدرت الاوامر للاميرال بأن هذه الاتفاقية لوكانت أمراً مرغوباً فيه ، فعليه أن يشجع شيخ البحرين على تقديم اقتراحاته ، ويقوم هو برفعها الى حكومة الهند .

وصدرت الاوامر للمقيم العام كابتن هينيل في خطاب مؤرخ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في ١ ابريل ١٨٣٩ بأن يقدم احتجاجاً لقائد القوات المصرية بصدد خططه ضد البحرين ، وبابلاغه أن عمله هذا امر يتناقض مع التفاهم القائم بين الحكومتين المصرية والبريطانية وقد يؤدي الى اضطراب العلاقات الودية بينهما . كما صدرت اليه الاوامر ايضاً بأن يذكر بالتفصيل القوة المادية لمختلف الاطراف في المنطقة خاصة قوة شيخ البحرين .

وفي نفس الوقت كتب خورشيد باشا للمقيم العام البريطاني ليجس نبض الحكومة البريطانية في حالة مواصلة القوات المصرية لفتوحاتها ، ورد المقيم البريطاني عليه فطلب منه عدم اتخاذ أي إجراء ضد البحرين قبل توجيه إنذار لرعايا الحكومة البريطانية المقيمين في الجزر قبل وقت كاف . وقد أيدت حكومة الهند هذا الطلب من جانبه ، واعتبرت وقت صدوره مناسباً ، لا سيما وأنه يتيح فرصة لتأجيل الأزمة المحتملة حتى وصول سير ف. متيلاند من البحرين .

اوامر حاسمة من حكومة الهند :

وفي خطاب مؤرخ في ١٨ إبريل ١٨٣٩ تقدمت حكومة الهند خطوات أخرى متجاوزة الموقف الذي اتخذته منذ البداية ، فخولت قائد بحريتها ـ في حالة طلب شيخ البحرين تدخل بريطانيا وتعهده بأن يضع أرضه تحت الحماية البريطانية ـ بأن يؤكد له أنه تحت حماية مؤقتة من جانب اسطول صاحبة الجلالة في الخليج . وابلاغ خورشيد باشا بفحوى هذا الإجراء ، وانه ليس من المناسب ان تواصل القوات المصرية عملياتها العسكرية قبل ان يتلقى كل من المسئولين تعليمات تالية من حكومته . واذا فشلت هذه الاجراءات فعلى سير ف. متيلاند إبلاغ خورشيد باشا بأنه يحمله المسئولية كاملة في حالة عبوره الخليج الى جزر البحرين عن ارتكاب عمل معاد للحكومة البريطانية التي امرت ممثليها في المنطقة بالدفاع عن الإمارة حتى صدور اوامر أخرى من حكومة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صاحبة الجلالة ، وعليه بعد تبليغه هذا الانذار أن ينصرف الى اعداد وسائل الدفاع عن البحرين بقدر ما تسعفه الإمكانات المتوافرة له .

زيارة الاسطول البحري البريطاني للبحرين

وحوالي نفس الوقت تقريباً ، قام سير ف. متيلاند بزيارة البحرين على سفينة صاحبة الجلالة « ويلسلي » يصحبه الكابتن إدموندز مساعد المقيم السياسي ، وقدم إليه الشيخ عبدالله تعهداً كتابياً من جانبه بألا يضع نفسه تحت سلطة أو حماية أية دولة أجنبية قبل استشارة المقيم البريطاني . ولا يبدو أن أية مراسلات حدثت بين قائد الاسطول البريطاني وخورشيد باشا ، ربما لأن الأول لم يتلق تعليمات جديدة — عندئذ — من حكومة الهند .

تقرير المقيم السياسي البريطاني عن الموقف ٧ مايو ١٨٣٩ :

ورفع كابتن هينيل بتاريخ ٧ مايو سنة ١٨٣٩ — وحسب اوامر حكومة الهند — تقريراً تفصيلياً عن قوة الحملة المصرية في نجد والأحساء ، كذلك عن قوى ومواقف كل الشيوخ والحكام على الساحل العربي الذين كانت مصالحهم مهددة باعتداءات القوات المصرية .

وقد ذكر — فيما يتعلق بشيخ البحرين — ان وسائله الدفاعية قد تتيح له نجاحاً في حالة استغلاله الاستغلال الكامل ، فوَضْعُ إمارته المحاطة بمياه البحر ، الى جانب تفوقه الساحق في القوة البحرية بما فيها من القوارب الحربية من الطراز الاول ، كلها اعتبارات في صفه ، كما أن المقاتلين الذين يقفون الى جانبه يتجاوزون ستة آلاف رجل يمكن جمعهم من جزيرتي البحرين والمحرق فقط ، ويمكنه أيضاً أن يجمع ثلاثة آلاف رجل من ارض العتوب في البر ، وكلهم من الرجال الشجعان الذين يقاتلون في البر والبحر على السواء . ومن الناحية الأخرى كان ما يضعف شيخ البحرين عداء عيسى بن طريف له ، وانشقاق قبائل آل بني علي وآل بو عينين عليه ، هذا الى جانب وجود الشيعة في البحرين ، وهم من أهل البلاد نفسها لكنهم ليسوا مستعدين للحرب ، وكانوا مضطهدين من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جانب الحكم القائم ولذلك كانوا -بلاشك- متعاطفين مع أية عملية غزو للبحرين من الخارج . ولو استطاع خورشيد باشا أن يضمن لنفسه موقعاً صغيراً على جزيرة البحرين مع استمرار مواصلاته مع الأحساء ، فان العتوب لاشك سيخضعون لقواته النظامية العسكرية ، ولكن لما كان الشيخ متفوقاً من الناحية البحرية فان اي هجوم على الجزر كان يعتبر عملا خطيراً في جرأته ، وكان احتمال أن تقوم به القوات المصرية احتمالا ضئيلا . وكان يمكن القضاء على هذا التفوق البحري للعتوب اذا وصلت الى الميدان سفن حربية من مصر او من مسقط ، وبالنسبة لهذه الاخيرة فقد كان من غير المتوقع ان يتعاون ممثلو سيد عمان مع المصريين بهذا الصدد بعد أن عرفوا سياسة الحكومة البريطانية في هذا الموقف .

خضوع شيخ البحرين المفاجيء للمصريين .. واحتجاج المقيم البريطاني يوليو ١٨٣٩ :

وفي ٢٨ يوليو سنة ١٨٣٩ وصل المقيم العام الى البحرين على سفينة صاحبة الجلالة « هيو ليندسي » للقاء الشيخ عبدالله الذي أعلن فجأة ودون توقع اعترافه بسيادة المصريين ، وتعهد بأن يدفع لهم جزية سنوية قدرها ٢٠٠٠ روبية شريطة أن تبقى السلطة الداخلية كلها بين يديه ، وألا يرسل خورشيد باشا ممثلا له يقيم في البحرين .

وفي المحادثات التي دارت بينهما حاول الشيخ عبدالله ان يشرح للمقيم العام أنه لم يتخل عن وعده للكابتن إدموندز مؤكداً أن هذه الاتفاقية مع المصريين ، رغم انها ابرمت مؤخراً ، الا ان الاتفاق عليها تم منذ وقت طويل أي قبل وصول سفينة صاحبة الجلالة «ويلسلي» ، كما برر مسلكه هذا بما حدث قبل ثلاثة أشهر حين رفض المقيم أن يقدم اليه نصيحة أو تأكيداً محدداً بالمساعدة، وبأنه أفلح في أن يجعل المنطقة خالية من الاضطرابات بفضل ما كان يقدمه من تضحيات مالية زهيدة .

وسلم الكابتن هينيل احتجاجاً كتابياً على هذه الاتفاقية لشيخ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البحرين ، وسلمت نسخة تتضمن نفس العبارات تقريباً لخورشيد باشا ، وأشار الكابتن هينيل لشيخ البحرين أيضاً إلى احتمال أن تعتبره الحكومة البريطانية بسبب علاقاته مع القوات المصرية بأنه يقوم بعمل عدائي ضد بريطانيا العظمى . واحتج الشيخ في رده بأنه لن يضع نفسه أبداً ضد مصالح الحكومة البريطانية حتى لو طلبت اليه القوات المصرية ذلك ، وعرض ان ينقض اتفاقيته مع الباشا المصري اذا قدمت اليه السلطات البريطانية وعداً صريحاً واضحاً بحمايته وبأن يصبح تابعاً للحكومة البريطانية . وحين طلب اليه كتابة اقتراحاته هذه تراجع ، وأضاف أنه إذا قام بالفعل بنقض هذه الاتفاقية فلا بد أن المصريين سيفسرون هذا العمل بأنه استجابة لضغط من جانب السلطات البريطانية وفي النهاية أكد الشيخ للمقيم البريطاني عدم شعبية القوات المصرية ووضعها الدقيق في شرقي الجزيرة ووسطها .

وكان الانطباع العام الذي خرج به المقيم العام من لقائه بالشيخ عبدالله بأن الشيخ ــ وقد تقدم به العمر كثيراً ووهنت قواه ــ قد خضع للمصريين تحاشياً للاضطرابات التي كانت تكدر راحته الشخصية وان النجاح السياسي العسكري الذي أحرزه خورشيد باشا قد صدم عقله الحاد بطبيعته ، وجعله يشك في قدرة الانجليز على ملاقاة المصريين في البر ، لكنه سيسعد ولا شك اذا خلصه النفوذ البريطاني من القوات المصرية دون ان يقوم من ناحيته ببذل أي مجهود .

وفي التقرير الذي رفعه كابتن هينيل عن أعماله هذه لحكومة الهند أفصح عن شكه في أن يكون الإجراء الذي أمرت به حكومة الهند للدفاع عن جزر البحرين باستخدام السفن الحربية البريطانية ضد أي هجوم عليها من البر ما يزال إجراءاً عملياً وإن تغيرت الظروف ، وقد أبلغ بأن ثمة أماكن في الخليج يستطيع أسطول من القوارب عبورها بسلام . كذلك يجب منع السفن الكبيرة من الاقتراب من هذه المناطق ، وقد أكد الشيخ عبدالله أنه اتبع هذه الخطة بنجاح فيما مضى حين كانت الحرب قائمة بينه وبين الايرانيين الذين كانت لهم سفن كبيرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انسحاب القوات المصرية ١٨٤٠ :

ويبدو أن امور البحرين ظلت على ما هي عليه حتى جلاء القوات المصرية عن الأحساء في ١٨٤٠ حين انتهت علاقتهم بشيخ البحرين ، وظلت الامور في الإمارة تسير في مجراها المألوف . ونشير هنا الى ان الاجراءات التي قامت بها سلطات حكومة الهند الى جانب المسئولين البريطانيين في المنطقة قد اقرتها اللجنة السرية لمديري شركة الهند الشرقية حين عرفت بها . وكان رأي اللجنة موافقاً لرأي رفضه الكابتن هينيل بأنه من غير المناسب فرض حماية منتظمة على البحرين في ذلك الحين.

★ ★ ★

الحرب الاهلية في البحرين وعزل عبد الله بن أحمد عن مشيختها ١٨٤٠ ـ ١٨٤٣

حكومة بريطانيا تتخلى عن عطفها على شيخ البحرين ١٨٤٠

لقد أدى سلوك شيخ البحرين تجاه خورشيد باشا إلى اعتباره ميالا لعقد تحالف مع المصريين وبالتالي متخلياً عن صداقة الحكومة البريطانية وناقشت اللجنة السرية لمديري شركة الهند الشرقية إمكانية استبداله بشيخ آخر أكثر استعداداً للتفاهم ، وقررت حكومة الهند الا تقف في وجه سيد عمان اذا حاول مرة أخرى ان يغزو البحرين . ورغم ذلك ـ وبصرف النظر عن السلم في البحر بشكل عام ـ فقد رفض السماح لعيسى بن طريف الذي كان قد هاجر هو وانصاره من أبو ظبي واستقر في جزيرة قيس سنة ١٨٣٩ أو ١٨٤٠ بأن يقوم بهجوم بحري على شيخ البحرين ـ وهو أمر كان عيسى يتوق اليه منذ أمد طويل ـ وتكرر هذا الرفض مرة أخرى حين قام المقيم البريطاني بزيارة جزيرة قيس في مايو ١٨٤١ .

وكانت العقبة الفنية وراء هذا الاعتراض هي خرق الخط المانع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذي أقامته السلطات البريطانية في سنة ١٨٣٦ وهو خرق لا بد أن يحدث. وربما كان لموقف الجفاء من جانب السلطات البريطانية تجاه الشيخ عبدالله آثاره على مكانة الشيخ في إمارته ، بل ومحتمل أيضاً أن يكون قد أسهم في الاضطرابات التي بدأت الآن .

خلاف بين الشيخ عبدالله وحفيد الشيخ محمد ١٨٤٠-١٨٤٢ :

وفي سنة ١٨٤٠ وعقب انسحاب القوات المصرية من الاحساء ، أرسل اهل هذا الاقليم وربما بعضهم مشرفاً منهم الى البحرين كي يعرض على محمد بن خليفه بن سلمان -حفيد شقيق شيخ البحرين- ان يتولى بنفسه حكم اقليم الاحساء وحماية اهله من الامير خالد الوهابي المغتصب . وأدت اعتراضات الشيخ عبدالله على هذا الاقتراح الى خلاف عنيف في الرأي بينه وبين محمد ، سُوّي على عجل ، وموقتاً ، بصلح كاذب ، ولكن بعد هذه الحادثة بقليل ، حين عرض محمد خدماته على الحكومة البريطانية وطلب معونتها ضد عمه الكبير ، هاجر الشيخ محمد من البحرين إلى قطر وتودد إلى أهلها ، ومن هناك بدأ معارضة قوية عنيفة ضد قريبه العجوز . وقام ابناء الشيخ أيضاً -وقد أحاط كل منهم نفسه بحاشية يتراوح عددها بين ١٠٠ و ٣٠٠ رجل من اوباش الناس -بالتمرد السافر على سلطته ، وانتشرت الفوضى وساد الاضطراب في كل جزء من مشيخة البحرين ، وهبطت تجارة البحرين هبوطاً سريعاً الى نصف ما كانت عليه قبل عدة سنين . وفي ١٨٤٢ حين قام خالد -أمير الوهابيين السابق- بزيارة لقطر والبحرين غير كل من الشيخ عبدالله والشيخ أحمد مواقفهما في ظاهر الأمر ، لأن الأول كان اذ ذاك في خور حسان بالبر ، وكان الثاني في جزيرة البحرين .

الشيخ عبدالله يطرد الشيخ محمد ويقهره ١٨٤٢ :

كانت هذه هي الحالة العامة للأمور حين نشب اشتباك سافر فجأة بسبب محاولة الشيخ محمد منع زواج فتاة صغيرة من مدينة المحرق بأحمد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن الشيخ عبدالله . وجاء الشيخ الكبير من قطر للوصول الى اتفاقية لكنه حين ــ أخفقت جهوده ــ أخذ جانب ابنه . وبدأ كل من الفريقين يحشد رجاله للقتال ومعظمهم من البدو الذين تقاطروا من البر طلباً للغنائم . وكانت المحرق هي المقر الرئيسي للشيخ عبدالله والمنامة هي مقر الشيخ محمد، وقد مكنت قوة الشيخ عبدالله البحرية انصاره من حصار الميناء حصاراً كاملا ضد عدوه . وحدثت عدة مناوشات غير حاسمة بعد ذلك قتل فيها دعيج شقيق الشيخ محمد من ناحية، وقتل محمد بن مبارك أحد أحفاد الشيخ عبدالله من الناحية الاخرى .

وأخيراً في يونيو ١٨٤٢ استطاع الشيخ الكبير ايقاع الهزيمة الكاملة بالشيخ الشاب حين قام بمهاجمته مرة واحدة في البر والبحر ، وسقطت المنامة في يد الشيخ عبد الله ، واستطاع الشيخ محمد الهرب الى قطر مع حفنة من انصاره ومنها سار الى الأحساء فالرياض يطلب عون الوهابيين ، وقامت قوات البدو التابعة للشيخ المنتصر بنهب مدينة المنامة ، وبعدها عبر الشيخ الكبير الخليج الى خور حسان وهناك نهبه البدو أيضاً .

وبدأ الشيخ عبد الله بعدئذ يعيد تشييد الزبارة التي ظلت مكاناً مهجوراً لسنوات طويلة .

العلاقات المتوترة بين الشيخ عبدالله والوهابيين

وكانت علاقات الوهابيين بالشيخ عبد الله الذي كان انتصاره هذا ظاهرياً أكثر منه حقيقياً قد وصلت عندئذ غاية السـوء . فمن ناحية كان امير الوهابيين قد امر بسجن شافعي ، أحد زعماء بني هاجر وقريب الشيخ عبد الله ومن أكبر أنصاره ، ومن الناحية الأخرى فقد هاجر ثلاثة ارباع الشيعة ــ الذين قبض عمرو بن عفيصان ــ أمير الوهابيين في الاحساء على زعيمهم واستقروا في البحرين . ثم ان بحرية البحرين كانت بالفعل تحاصر ساحل الأحساء . وأدت هذه الظروف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالوهابيين الى التحالف مع الشيخ محمد لكنهم حتى تلك اللحظة لم يكونوا قدموا اليه أية معونة مادية .

السماح لعيسى بن طريف وبشير بن رحمة بالتحالف مع الشيخ محمد وإبلاغ الشيخ عبدالله بذلك .

وفي هذا الوقت ، قام عيسى بن طريف ، زعيم آل بن علي اللاجىء وبشير بن رحمة بزيارة المقيم البريطاني في بوشهر معاً ، وطلبا السماح لهما بالانضمام الى الشيخ محمد والقيام بأعمال عسكرية منتظمة ضد الشيخ عبدالله . وتم منحهما الاذن المطلوب نظراً لسوء سلوك الشيخ الكبير في سنة ١٨٣٩ ثم في سنة ١٨٤٢ حين سمح بنهب المنامة بشرط الا تتجاوز الاعمال الحربية الخط المانع ، وتجب الإشارة إلى أن عيسى بن طريف كان من الذين يتجه اليهم الشك في إثارة الاضطرابات الاخيرة في البحرين ، أما بشير بن رحمه الذي استطاع أن يقدم للحملة عدداً يتراوح بين ٣٠٠ الى ٤٠٠ مقاتل فقد زعم ان الشيخ عبد الله يحول بينه وبين الاستيلاء على أملاك ابيه بالقرب من الدمام .

وفي نوفمبر ١٨٤٢ أوفد كابتن كمبول المقيم السياسي الى البحرين كي يحذر الشيخ عبدالله من مغبة التصريح الذي منحته السلطات البريطانية لهذا التحالف المعادي له بالعمل ضده . وتلقى الشيخ هذا الانذار بخجل واضح ، بل بعدم تصديق ، وذكر أنه –نظراً لعدم وجود معظم أسطوله ورعاياه– عاجز عن مواجهة مهاجميه وحده ، وهو بالتالي مضطر للاتصال بالوهابيين ، وعرض السماح لبشير بن رحمة بالاستقرار في أملاكه بالدمام على شرط ألا يتذرع بهذه الحجة ويأتي بسفن كبيرة الى المنطقة . ورفع الكابتن كمبول هذه الملاحظات الى المقيم العام ، ولكن لم يحدث أي اتصال بشأنها مع الشيخ عبدالله الذي تبين بعد ذلك أنه كان يرى ضرورة أن يأمر المقيم العام الحلفاء بوقف عملياتهم ، وان يتحيز معه بالدفاع عنه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مفاوضات الشيخ عبدالله مع الوهابيين :

وفي نفس الوقت كان الشيخ عبدالله قد بدأ مراسلة الوهابيين ، ويبدو أنه عرض عليهم إعادة العقير التي كان قد استولى عليها بطريقة ما في مقابل اطلاق سراح شافعي من بني هاجر . وبعدها بقليل ، وسواء بهذا الشرط أو بغيره من الشروط أطلق الوهابيون سراح شافعي ، وعرضوا على شيخ البحرين تسوية الخلافات بينهما ، لكن الشيخ عبدالله كان يشك في اخلاص الوهابيين لعرضهم هذا ، فرد دون حماسه ، ناصحاً لامير الوهابيين بأن يظل على الحياد المطلق ، وفي هذه الظروف ، –وليس هذا شيئاً غير مستبعد من الوهابيين– حول أمير الوهابيين عونه كله للشيخ محمد .

عمليات عسكرية نشيطة ، وطرد الشيخ عبدالله من البحرين يناير – ابريل ١٨٤٣

وفي بداية سنة ١٨٤٣ ظهر الشيخ محمد في قطر ، وكان سكانها عموماً يتعاطفون مع قضيته ، ونجح الشيخ محمد في احتلال حصن صغير في مرير (١) ، قبل ان تشغله حامية من الجانب المعادي ، وعادت القوات التي ارسلها الشيخ عبدالله لاستعادة مرير دون أن تبذل أي جهد فعلي لاستعادته ، ومن هذه القاعدة الصغيرة التي نجح الشيخ محمد في احتلالها بدأ مراسلة أنصاره في جزيرة قيس .

وفي فبراير سنة ١٨٤٣ كتب الشيخ عبد الله ، وقد أفزعه وصول عدة قوارب من جزيرة قيس الى السلطات البريطانية يطلب منها أن تقوم باعتقال عيسى وبشير ، لكن هذه السلطات لأسباب كثيرة أهمها سوء التفاهم لم تلق بالا لمطالبه .

---

(١) يطلق على هذا المكان في تقارير الحكومة « مزير ·· » لكننا لا نعرف مكانا بهذا الاسم ، ويبدو أنهذا الاسم يعنى « قلعة مرير » التى تقع على بعد ميل من شراقى الزبارة ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأخيراً ، أرسل الشيخ محمد قوة كبيرة من الفويرط التي كان قد اتخذها قاعدة له تحملها خمس سفن كبيرة الى الساحل الشرقي لجزيرة البحرين ، وبدأ هبوط الجند في نقطة مقابلة للرفاع الشرقي ، وارسل الشيخ عبدالله على عجل قوات يقودها ابنه ناصر استطاعت احتلال الرفاع الشرقي قبل جنود الشيخ محمد ، ودارت بين الطرفين معركة صغيرة قتل فيها وجرح عدة رجال من الجانبين . ويبدو ان الشيخ عبدالله فشل في محاولة تطويق الغزاة من البحر وقطع خطوط إمداداتهم .

وفي مارس أو ابريل سنة ١٨٤٣ أصبحت مدينة المنامة تحت حكم شقيق الشيخ محمد ـ بموافقة أهلها الذين كانوا ما يزالون يتذكرون ما عمله بدو الشيخ عبدالله بمدينتهم في العام الأسبق وبعدها بفترة قصيرة ـ ثم وصل عيسى بن طريف وبشير بن رحمة الى البحرين ومعهما قوات كبيرة .

وفي إبريل هاجم الحلفاء مدينة المحرق وهي مقر الشيخ عبدالله ، وأرغموه على ان يحتمي بحصن « لا يبعد كثيراً عن المدينة » يحتمل أنه حصن أبو ماهر حيث استسلم حين وجد نفسه بلا انصار على الاطلاق ، كذلك استسلمت بالتالي قلعة عراد التي كان يحتلها ابناؤه ، وظل ابناء الشيخ عبدالله ـ الذين اسروا في قلعة عراد ـ وبموافقة الشيخ المنتصر ـ يقيمون في البحرين ، أما الشيخ نفسه فقد سمح له المنتصرون بسفينة كبيرة واخرى صغيرة فقط كي ينتقل بهما مع عائلته وأقاربه وممتلكاته جميعاً الى الدمام ، وكان هذا المكان ـ وهو الوحيد الذي بقي له ـ يحكمه في ذلك الوقت مبارك ابن الشيخ عبدالله .

★ ★ ★

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حوادث الحرب الاهلية في البحرين تترك آثارها على الحكومة البريطانية

انتهاك حرمة بيت وكيل المقيمية البريطانية ١٨٤٢ :

في سنة ١٨٤٢ ، وحين هزم الشيخ عبدالله غريمه الشيخ محمد، أصبحت مدينة المنامة -كما رأينا- نهباً للبدو من أنصار الشيخ عبدالله وكان من بين البضائع التي نهبها البدو بعض أملاك لرعايا بريطانيين ، لكن حادثة أكثر من هذه خطورة حدثت بسبب مسلك الوكيل المحلي للمقيمية البريطانية في البحرين ، وكان غبياً وجباناً ، فقد اقترح عليه الشيخ عبدالله في بداية حدوث هذه الاضطرابات أن ينتقل الى المحرق أو إلى ظهر سفينة بريطانية كانت راسية في الميناء آنذاك حتى تنجلي الأزمة ، لكنه رفض وفضل البقاء في المنامة . وحين هوجمت المدينة ، مد هذا الوكيل حصانة بيته -أو حماية الحكومة البريطانية- لتشمل ارواح وممتلكات أفراد عديدين ليس لهم هذا الحق ، ربما في مقابل جعل نقدي . وكان بين من لجأ الى بيته ابن لرجل بينه وبين الشيخ عبدالله ثأر ، ومعه بعض أقاربه ويدعى حمود من فرع عمير من بني خالد . وبعدها ظهر الشيخ بنفسه وطلب تسليم هؤلاء الفارين اللاجئين الى البيت ، وهدد بهدمه على من فيه ، وفقد الوكيل شجاعته ، فأمر بالقائهم من سطح المنزل حيث تهشموا جميعاً ودقت عظامهم .

وقد عوقب الوكيل بالطرد من وظيفته جزاء سلوكه الوقح ، وسحبت الحكومة البريطانية على التو دعمها للشيخ عبدالله ، ولم يكن ضرورياً في هذه الحالة مطالبته بأية تعويضات .

القرصنة في ميناء المنامة ١٨٤٣

وفي مارس ١٨٤٣ وبعد نزول أنصار الشيخ محمد إلى جزيرة البحرين أصدر الشيخ عبد الله ، وكان يتخذ المحرق مقراً له آنذاك ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمراً بألا ترسوا أية سفينة بالقرب من مدينة المنامة . وقد خرجت على هذا الامر سفينة صغيرة كانت تنقل حمولة تموينية للقائد البريطاني في باسيدو ، وقاربان يركبهما بعض تجار من البدو ارسلوا ومعهم اوامر الى الناخوذا لنقلها الى المحرق ، لكن هؤلاء الرسل الخطرين الذين لا يمكن الوثوق بهم قاموا باطلاق النيران على السفينة بمجرد وصولهم اليها ، ونهبوا ما كان بها حتى الحمولة الخاصة بالقائد البريطاني ، ثم انزلوا العلم البريطاني ومزقوه ارباً ، وقيل للشيخ —الذي لم يكن طبعاً اصدر اوامره بارتكاب مثل هذا العمل— إن السفينة لم ترفع أعلامها وهي داخلة الى الميناء ، وظنوا انها كانت تخادعهم وأنهم كانوا بانتظار وصول سفن عيسى بن طريف وبشير بن رحمة . وارسلت سفينة حربية بريطانية مباشرة الى البحرين لبحث القضية بالتفصيل ، ولكن قبل وصولها الى اية نتائج نجح الشيخ محمد في هزيمة غريمه وإبعاده .. وأصبح استمرار البحث عبثاً لا طائل تحته .

وفي نفس وقت حدوث هذا العمل ، وربما قبله بقليل ، نهب بعض بني هاجر وبعض عرب السلطة قارباً كان يرفع العلم الايراني محملا بالبضائع القادمة من بومباي لبعض التجار الهندوس في البحرين ، وقد حدثت حادثة النهب في ميناء المنامة ، ومنعت الاشتباكات القائمة في البحرين بطبيعة الحال توجيه اهتمام كبير الى هذه الحادثة ، وفي بداية استيلاء الشيخ محمد على الحكم في البحرين لم يكن من اللائق الالحاح في مطالبته بالتعويض عنها ، ولكن في فبراير من العام التالي (١٨٤٤) ، وحين وصلت الى مسامعه هذه الحوادث استجاب في سهولة لمطالب السلطات البريطانية بالتعويض عنها .

★ ★ ★

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محمد بن خليفة ١٨٤٣ ـ ١٨٦٨

استمرار الحرب الاهلية في البحرين بعد طرد الشيخ عبد الله منها ١٨٤٣ ـ ١٨٤٩

تدخل أمير الوهابيين ١٨٤٣ :

وفي يونيو ١٨٤٣ ، وإثر قيام شيخ البحرين السابق بشـــن غارات بحرية على تجارة البحرين من ملجأه في الدمام ، أرسل الشيخ محمد وعيسى بن طريف وبشير بن رحمه اسطولا مشتركاً ارغم قواربه على ألا تغادر مرسى الدمام . وراح الامير الوهابي الجديد فيصل بن تركي ـ الذي لم يكن وضعه في الداخل قد استقر بعد ـ يلهو بتحريض كل جانب من هذين الجانبين على الآخر ، وحصل على وعود بالامتيازات من كلا الجانبين .. غير أن نفوره لاحقاً من شيخ البحرين السابق وضع حداً لهذه اللعبة . وأسر الحاكم الوهابي في القطيف محمد ابن الشيخ عبدالله الذي أبحر من الدمام يحاول الحصول على قوارب من السواحل المجاورة ، وحدث نفس الشيء مع علي ابنه الآخر وهو في سبيله من لنجة للانضمام الى أبيه ومعه قوة من قبيلة آل بو سميط .

توسط شيخ الكويت اغسطس ١٨٤٣ :

وحدثت محاولة غير هامة من جانب الشيخ جابر شيخ الكويت ـ الذي ظل بعيداً عن التدخل في الخلاف حتى الآن ـ للتوسط وانقاذ الشيخ السابق من وهدة هزماته المتتالية وطرده من الجزر . ففي أغسطس ١٨٤٣ ـ وبموافقة المقيم البريطاني ـ سار الشيخ جابر الى البحرين ومعه أسطول مكون من ثماني سفن كبيرة ، ونجح في حمل الشيخ محمد على أن يدعو الشيخ عبدالله إلى ملاقاته في مؤتمر ودي ، لكن هذا الاخير ـ الذي كان يعرف يقيناً أن عودته للحكم أمر غير متوقع ـ رفض الحضور ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بل ولم يرجع للكويت مع الشيخ جابر كما كان الشيخ جابر يؤمل في حالة عدم التوصل الى اتفاقية .

استنجاد الشيخ السابق بشيخي الشارقة ودبي ، ثم زيارته الاولى لبوشهر

وبذل أبناء الشيخ السابق جهوداً أخرى فيما بعد لإغراء شيخي الشارقة ودبي لتبني قضية الشيخ عبدالله ، وحصلوا على وعود بتقديم العون لهم عقب انتهاء موسم الغوص اذا لم تعترض على ذلك الحكومة البريطانية أو أمير الوهابيين ؛ وعلى التو قام عيسى بن طريف وبشير بن رحمة —بهدف تحييد هذا التحالف— بالاتصال بشيخي ابو ظبي وأم القيوين ، وقام شيخ هذه الاخيرة —عبدالله بن راشد— بزيارة لجزيرة قيس حيث عاد بهدايا ثمينة .

في هذه الظروف ، وبشكل خاص حين أصبح مفهوماً أن شيخي الشارقة ودبي راغبان عن الخوض في هذا الأمر ، رد المقيم البريطاني في بوشهر على الشيخ السابق —الذي انتظره في بوشهر— بأن الحكومة البريطانية تبدي استعدادها للتحكيم بين الاطراف المتنازعة دون ان تكون مستعدة لضمان أية اتفاقية يتم التوصل اليها ، وانها لا تستطيع التدخل في إعادة الشيخ عبدالله الى حكم البحرين ، ولا السماح لشيوخ عمان المتصالحة بالاشتباك في نزاع لن يجنوا منه أية فائدة لا هم ولا الاطراف الاصلية فيه .

تآمر الايرانيين ١٨٤٣

ومحتمل ان الشيخ عبدالله كان يأمل من زيارته بوشبهر أن يحصل على فائدة ما من تراسله الذي طال في الشهور الاخيرة مع من يدعى الشيخ سلمان . وهو رجل ليست له صفة رسمية ايرانية لكنه ابن شقيق شيخ بوشهر . ويبدو ان تبادل وجهات النظر بينهما قد أدى الى ان يعده الشيخ سلمان دون تردد بأن يقدم له معونة عسكرية من ايران ، وكان الشيخ عبدالله وقتئذ ما يزال محاصراً في الدمام . وفي إكتوبر ١٨٤٣ ، وبهدف إخافة السلطات البريطانية ولا ريب ، أعلن الشيخ عبد الله أنه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اذا أغضبته الحكومة البريطانية فهو مستعد لأن يلقي بنفسه بين ذراعي إيران ، وأجيب على ذلك بأن السلطات البريطانية لن تعترف بأي عون يلقاه من ايران اذا لم يكن بشكل علني سافر .

هجرة الشيخ عبدالله من الدمام إلى ناباند ، وانتقال عيسى بن طريف من قيس إلى الدوحة ١٨٤٣ :

وبعد إقامة قصيرة في بوشهر ، عاد الشيخ عبدالله الى الدمام التي جاء منها ، لكنه بعد ذلك مباشرة نقل مقره الى ناباند على الشاطىء الايراني ، وفي نفس الوقت تقريباً نقل عيسى بن طريف مقره من جزيرة قيس الى الدوحة ، وكانت وقتذاك تسمى البدع — في قطر .

موقف حكومة مسقط من الصراع الدائر بين شيوخ البحرين ١٨٤٣

وفي نفس الوقت ، وربما قبله بقليل ، اقترح عيسى بن طريف الذي لم يكن في حقيقة الامر يقل عداء لمحمد بن خليفة عن غريمه الشيخ الفاشل ، على السيد ثويني —نائب حاكم مسقط— بأن يستفيد من فرصة النزاع بين شيوخ آل خليفة لاحتلال البحرين . وتطوع بأن يقدم له العون اللازم لهذه الحملة ، ورفع السيد ثويني هذ االاقتراح الى ابيه السيد سعيد حاكم عمان الذي كان آنذاك في شرق إفريقيا ، وتقدم هذا بدوره إلى السلطات البريطانية فأشارت برفض اقتراح عيسى بن طريف . وكانت الاسباب الرئيسية لهذا الرفض من جانب الحكومة البريطانية هي غياب صاحب السمو حاكم عمان نفسه عن مسرح الأحداث ، وعجز ممثله ثويني ، ثم الخشية من أن يؤدي غزو عمان للبحرين الى ان يقوم الوهابيون بانتهاز الفرصة وغزو ارض عمان فضلاً عن ان هذه العملية كانت ستقدم لايران مبرراً لتبنيها قضية الشيخ السابق والوقوف الى جانبه ، ثم الفيتو الذي واجهت به الحكومة البريطانية أي تدخل من جانب شيخي الشارقة ودبي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

زيارة ثانية للشيخ السابق لبوشهر ديسمبر ١٨٤٣–مارس ١٨٤٤

وفي ديسمبر ١٨٤٣ زار الشيخ السابق عبدالله بوشهر مرة أخرى وبصحبته ست سفن مسلحة ، وكان الشيخ يهدف الى التأثير على ممثل بريطانيا السياسي فيها وحمله على الوقوف في صفه، لكن الأخير رفض ان يلقاه فوق ظهر سفينته الحربية، ووضح أن الشيخ كان يريد أن يتخذ من زيارة المقيمية ستاراً يخفي لقاءه بالشيخ سلمان المناصر له ، لكنه بدأ على أية حال كتابة طلبات معونة لبريطانيا على أساس أنه قاوم مناورات الوهابيين التي كانت تستهدف إقامة قاعدة لنفوذهم في البحرين ، وأنه يظن نفسه بفضل توقيعه على معاهدة السلم الشاملة لسنة ١٨٢٠ مستحقاً للحماية البحرية من جانب بريطانيا . لكن مزاعمه هذه لم تقبل ، كذلك لم تجبه الحكومة الى طلبه .

وبعد وصول الشيخ عبدالله الى بوشهر بعدة أيام ، نزل اليها ولقي فيها استقبالا حافلا من جانب السلطات الإيرانية المحلية – ربما بناء على اوامر من شيراز– ، فأطلقت له طوابير الفرسان من الجيش النظامي الايراني طلقات التحية ، وقدمت له قلاع حصينة لسكناه ، وخصصت الخيام لنزول انصاره ، وشدت سفنه التي كانت في الميناء –ولم يبق منها الآن سوى سفينتين– الى الأرض في مكان ضحل المياه . وسرعان ما تناثرت الشائعات بأن الشيخ عبدالله طلب من الحكومة الايرانية مدداً قوامه ١٠٠ فارس و ٥٠٠ جندي مدفعي ، واعداً إذا نجح في محاولته استعادة البحرين بسداد تكاليف هذه الحملة للحكومة الايرانية ، وان يدفع لها جزية سنوية كبيرة في المستقبل ، ووعد أيضاً بأن يجعل أحد أبنائه رهينة عند السلطات الايرانية ضماناً لوفائه بهذه الالتزامات ، وظل الشيخ عبد الله مقيماً في بوشهر مدة ثلاثة أشهر ينتظر عبثاً موافقة الحكومة الايرانية على مقترحاته .

وفي يناير ١٨٤٤ ، لجأ الشيخ عبدالله في خطاب منه الى المقيم

البريطاني الى القول بأنه كان ـ أثناء حكمه البحرين ـ مستنيماً إلى أمن زائف نتيجة إهمال السلطات البريطانية الإجابة على كثير من مراسلاته وهذا زعم غير صحيح في الحقيقة وقد استطاع ان يلتقي بالمقيم قبل مغادرته بوشهر في مارس ١٨٤٤ على الارجح ، وحاول ملحاً ـ ولكن دون نجاح ـ أن يحصل على وعد بتعضيد بريطانيا ، ووضح أن الآمال التي كان الشيخ عبدالله يعلقها على الحكومة الايرانية قد خابت جميعاً .

الوهابيون يخضعون الدمام مارس ١٨٤٤

وفي نفس الوقت أصبح وضع أبناء الشيخ عبدالله في الدمام ـ وهو المكان الوحيد الذي ظل قاعدة لعائلته في شبه الجزيرة ـ في موقف حرج . ففي ديسمبر ١٨٤٣ عرض أمير الوهابيين وساطته لتسوية الخلافات القائمة بين الشيوخ المنقسمين لكن الشيخ السابق رفض هذه الوساطة . عندئذ أعلن فيصل بن تركي الحرب على الشيخ عبد الله وبدأ بجمع الرجال لغزو الدمام من البر ، ومحاصرتها من البحر ايضاً .. كذلك لتأديب بعض قبائل البدو فيما حولها لأنها كانت تقدم المؤن دائماً للحامية المقيمة في الدمام . وكان يقود هذه الحامية مبارك وناصر وأخ ثالث لهما من ابناء الشيخ عبدالله . وقد ارسل الشيخ جابر شيخ الكويت قاربين محملين بالمؤن والعتاد الحربي للدفاع عن الدمام ، لكن الشيخ محمد بن خليفه استطاع ان يستولي عليهما بالقرب من دوحة بلبول وكان مزمعاً نقل هذه المؤن منها الى الدمام على ظهور الجمال ، لكن هذه الحادثة ـ التي كانت ستؤدي الى قيام خلاف خطير بين شيخ الكويت وشيخ البحرين الحاكم بالفعل ـ تمت تسويتها بوساطة ودية من جانب السلطات البريطانية . وفي مارس ١٨٤٤ تقدمت الحامية الموجودة في الدمام ، وقد لقيت عناء كبيراً في الحصول على إمداداتها ، بعرض للاستسلام ، لكن أمير الوهابيين لم يقبل بشروطها . وحين أحس الشيخ عبدالله خطورة الموقف في الدمام عبر الخليج الى الجانب العربي وحاول أن يلقي بامدادات الى حامية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدمام لكنه فشل ، واستولى الاسطول الذي يحاصر الدمام على القارب الذي ارسله الشيخ محملا بالمؤن . وبعدها بقليل ، استسلمت حامية الدمام على شرط أن يُبقى الامير على حياة جنودها ، وتبعها مباشرة احتلال قوات فيصل بن تركي حصن الدمام وفقد الامير كل اهتمام له بعد ذلك بالصراع بين شيوخ آل خليفه . ولا بد ان هذه النتيجة كانت مخيبة لآمال بشير بن رحمة الذي وعده الشيخ محمد بأن يعيد اليه املاك أبيه هناك في مقابل خدماته ضد الشيخ عبدالله .

الاضطرابات في البحر

وخلال المدة التي قضاها الشيخ السابق في بوشهر ، حدث أن سفينة صغيرة ، قيل إنها تابعة للبحرين مع أنه واضح أنها تخص بشير بن رحمة أو أحد أنصاره وقعت بأيدي جماعة من أقارب الشيخ عبدالله المقيمين في نابالند على الشاطىء الايراني وخرقوا بذلك الخط المانع . ووجه المقيم البريطاني إنذاراً الى الشيخ عبدالله ، وكتب هذا بدوره الى اصحاب السفينة ، ولكن أثناء نقل رسالته على سفينة بريطانية وقع تغير في السلطة في نابالند ، ورفض الحاكم الجديد اطلاق سراح السفينة ودارت مراسلات طويلة انتهت باستعادتها في يوليو سنة ١٨٤٤ . لكن هذا لم يحدث الا بعد ان استولى بشير بن رحمه الذي استقر الآن كعيسى بن طريف في الدوحة بقطر على سفينتين من سفن نابالند انتقاماً لسفينته ، ويجب ان نضيف هنا ان بشراً قد رد هذه السفن بمجرد امر صدر اليه من المقيم البريطاني على أساس أن ثمة اتفاقية بصدد هذه الاحداث تتولاها السلطات البريطانية بالفعل .

زيارة الشيخ السابق للكويت وزيارته الثالثة لبوشهر ١٨٤٤

وحين فشلت محاولات الشيخ عبدالله في توصيل المؤن الى الدمام ، طاردته اربع سفن من الاسطول الذي يحاصر الدمام ، لكنه استطاع الهرب الى الكويت حيث استقر فترة قصيرة . وحين سقطت الدمام عاد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معظم ابناء الشيخ عبدالله الى البحرين ، وسمح لهم بالإقامة في المحرق ، لكن مباركاً لجأ الى شافعي –صديق أبيه– بن بني هاجر ، ورفض الشيخ محمد– خارقاً برفضه هذا التزامه بالاتفاقية التي عقدت بحضور أمير الوهابين– السماح للشيخ السابق بالعودة الى البحرين الا كفرد عادي وعلى اساس ان تضمن السلطات البريطانية مسلكه في المستقبل ، وهو شرط يعرف هو نفسه أنه مستحيل التنفيذ . وبعد اقامة قصيرة في الكويت عاد الشيخ عبدالله متجهاً الى الغرب واستطاع في طريقه ان يلتقي بالمقيم البريطاني في بوشهر ، وتم اللقاء بناء على طلب الشيخ السابق –في مكان على الساحل يبعد عن المدينة عدة اميال . وكان الهدف الواضح من هذه الزيارة هو محاولة ضمان عون من جانب الحكومة البريطانية عن طريق التلويح بالتهديد بتحالف الشيخ مع الوهابيين لاسترداد البحرين ، لكن الرجل حين لم يلق استجابة لمطلبه لدى المقيم البريطاني واصل سيره ليستقر مرة أخرى في ناباند .

أعمال الشيخ عبدالله أثناء اقامته في ناباند ١٨٤٤–١٨٤٥

ووصل الشيخ السابق الى ناباند ، وقد اثارت تحركاته هذه موجة من الفزع بين الغواصين على طول شواطيء اللؤلؤ ثم سار مباشرة إلى ساحل قطر بهدف مهاجمة عيسى بن طريف في الدوحة ، لكنه وجد عدوه اللدود مستعداً لملاقاته ، فواصل سيره الى المياه الاقليمية للبحرين ، وحين علم الشيخ محمد بوجود عمه الكبير بالقرب من البحرين ارسل اليه وفداً من التجار يدعوه للعودة الى مستقره ، غير ان الشيخ راوغ مصراً على شروط يعرف يقيناً انها لن تتحقق ، وسار الى القطيف ومنها ارسل أحد ابنائه مبعوثاً ودياً من جانبه الى امير الوهابيين ، وبعدها عاد الى ناباند واستولى في طريقه على سفينتين صغيرتين بالقرب من فشت الديبل . وارسل المقيم البريطاني مباشرة خطاباً الى السلطة الحاكمة في ناباند يطلب فيه منع الشيخ عبدالله من القيام بمثل هذه الأعمال ، لكن الشيخ أحمد بن سيف الذي وجه اليه الخطاب وتقبله تقبلا مناسباً ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واعتذر بالفعل للشيخ الحاكم في البحرين كان اعجز من أن يستطيع منع نشاط الشيخ عبد الله الذي قام بجولة أخرى استولى خلالها على سفينتين من سفن البحرين .

واغتاظ شيخ البحرين لهذه الأعمال التي كان عاجزاً عن الرد عليها بسبب التزامه بعدم تخطي الخط المانع ، فتقدم الى السلطات البريطانية وارسل أخاه علي لمقابلة المقيم وكانت نتيجة هذا الطلب أمراً صدر من الحكومة الايرانية المركزية — بناء على طلب السفير البريطاني في طهران— الى الحاكم العام في فارس بإرغام الشيخ عبد الله على رد السفن التي استولى عليها ، وعدم إحداث اضطرابات في مياه الخليج . وحين وجد الشيخ السابق نفسه دون عون من جانب الحكومة الإيرانية قدم وعداً شفوياً للمقيم البريطاني بأن يمتنع عن القيام بأعمال عدائية ضد البحرين طوال إقامته على الشاطىء الإيراني ، لكنه حين رفض تقديم تعهد كتابي بهذا أرسلت سفينة حربية بريطانية الى نابلند ، وطلب منه أن يعتبر نفسه تحت المراقبة كما كان من قبل .

أعمال الشيخ السابق في القطيف ١٨٤٥ :

ولم تعد نابلند بعد هذه الإجراءات مكاناً صالحاً لاستقراره ، فأبلغ الشيخ عبدالله المقيم البريطاني —في أكتوبر ١٨٤٥— برغبته في الانتقال الى القطيف . وبعدها مباشرة حدثت محاولة فاشلة من جانبه للتحالف مع الوهابيين لاستعادة البحرين ، وحين فشلت هذه المحاولة عاد الشيخ عبدالله مرة أخرى لاجئاً في الكويت .

أعمال الشيخ السابق أثناء اقامته في الكويت ١٨٤٥–١٨٤٦

وحين عرف ممثل بريطانيا في بوشهر بهذه الأحداث كتب إلى الشيخ جابر شيخ الكويت معرباً عن أمله في أن يحول الأخير بين الشيخ عبدالله —ما دام لاجئاً تحت حمايته— وبين الإغارة على التجارة البحرية ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويبدو أنه قام بدور في تنفيذ هذه الرغبة لأن الشيخ عبدالله ظل هادئاً طوال مدة إقامته بالكويت ، وفي يونيو ١٨٤٦ تلقى الشيخ عبدالله دعوة من حاكم فارس للعودة الى بوشهر حيث وعد بأنه سيلقى إقامة حرة تماماً « حتى يحين وقت العمل .. » . غير أن الشيخ وقد أصبح الآن يعرف تماماً الازدواجية في عروض الحكومة الإيرانية وعجزها عن تنفيذ وعودها رفض هذا العرض المنمق غير المخلص من جانب المسئول الإيراني .

أعمال الشيخ السابق أثناء اقامته القصيرة في الأحساء ١٨٤٦ – ١٨٤٧ :

وفي سبتمبر ١٨٤٦ ، ربما بسبب القيود التي كانت مفروضة عليه أثناء إقامته بالكويت – انتقل الشيخ عبدالله إلى الأحساء حيث استقر أولا إلى جوار الدمام . وفي أوائل سنة ١٨٤٧ كان الشيخ عبدالله يعيش بلا أنصار على الإطلاق في جزيرة تاروت .

وخلال الجزء الأعظم من إقامته تلك هناك كانت الحرب ناشبة – كما سنذكر فيما بعد – بين الوهابيين وشيخ البحرين لكن الشيخ السابق نفسه لم يقم بدور في هذه الحرب . وفي اغسطس ١٨٤٧ تم عقد الصلح بين الاطراف المتقاتلة على ان يلتزم شيخ الوهابيين بعدم تعضيد الشيخ عبد الله اذا ما دبت الحياة مرة أخرى في الشيخ المنفي الذى أرسل سفينة إلى الدمام بهدف مواصلة السير إلى جزيرة قيس للتآمر مع بعض شيوخ العتوب الساخطين هناك ، ولحق به عيسى بن طريف – من آل بن علي – الذي بلغت كراهيته للشيخ محمد في البحرين حداً يفوق كراهيته القديمة للشيخ عبدالله . وطلب الحلفاء من الشيخ محمد رد سفن عمه الكبير وسواها من ممتلكاته ، ولكن وصول سفينة صاحب الجلالة «الفنستون» بقيادة القائد لو ، الذي طلب الحصول على موافقة المقيم أولا قبل الشروع في أية أعمال عدائية في البحر أدّى إلى تأجيل القتال المرتقب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غير أنه ما إن غادرت هذه السفينة المكان حتى نشبت الحرب ودارت دائرتها على الشيخ السابق .

قتل عيسى بن طريف في المعركة ، وهزيمة الشيخ السابق هزيمة نهائية ١٨٤٧ :

وفي بداية هذه الاعمال خرق الشيخ عبدالله الخط المانع حين عبر الخليج للحصول على التعزيزات . أما الشيخ محمد فقد طلب من السلطات البريطانية تهدئة هؤلاء الساخطين من العتوب في جزيرة قيس أو السماح له باتخاذ الاجراءات اللازمة ضدهم . ورفع المقيم الطلب الى حكومته ، ولكن قبل ان تصل اوامر حكومة الهند بهذا الصدد كان الاشتباك الحاسم قد وقع بالفعل في معركة برية بالقرب من الفويرط في قطر حين استطاعت قوات البحرين بقيادة الشيخ محمد نفسه إيقاع الهزيمة بالحلفاء . وكان من بين القتلى في هذه المعركة عيسى بن طريف بالذات . وكانت هذه هي الضربة القاضية التي بددت نتيجتها آمال شيخ البحرين السابق . واخيراً وصلت اوامر حكومة الهند وكانت تقضي بضرورة منع الحلفاء من غزو البحرين باستخدام اسطول حربي بريطاني على الا يبلغ الشيخ محمد بهذا القرار لكي لا يهمل في اتخاذ الوسائل الدفاعية الكافية عن الجزر .

مراسلات القنصل الايراني العام في بغداد مع الطرفين المتنازعين :

وحوالي هذا الوقت نفسه وربما في سنة ١٨٤٨ بدأ عبد الجبار خان ــ القنصل الإيراني العام في بغداد ــ مراسلة الطرفين المتصارعين فكتب الى الشيخ السابق يؤكد عون الحكومة الإيرانية له .. « ويطلب منه اتخاذ كل الإجراءات التي يستطيع اتخاذها لتنفيذ مخططاته مهما كانت هذه المخططات كبيرة أو تقتضي جهوداً عنيفة ، فعون الحكومة الإيرانية الذي سيقدم له عون قوي وكامل ..» . وكان خطابه للشيخ محمد أيضاً يفيض بالمودة والصداقة ، وواضح أنه كان مقصوداً به تضليل هذا الشيخ الصاعد قدماً لقمة الحكم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واتخذت خطوات من جانب المقيم البريطاني في بغداد أدت إلى إيقاف هذه المراسلات . وعلل الموظف الإيراني المتهور عمله هذا بأنه أقدم عليه وهو يجهل خطورته وعدم شرعيته .

موت الشيخ السابق ١٨٤٩ :

وأخيراً انتهى الصراع بين شيوخ آل خليفة بموت الشيخ عبدالله بن أحمد سنة ١٨٤٩ على الأرجح ، وقد حدث ذلك في مسقط أثناء رحلة قام بها الشيخ السابق إلى هناك لمحاولة إغراء عدوه القديم ـ السيد سعيد الذي كان آنذاك مقيماً في زنجبار ـ بتقديم العون له لاسترداد أملاك أبيه .

★ ★ ★

علاقات البحرين بالوهابيين من تولي الشيخ محمد الحكم حتى موت الشيخ عبد الله ١٨٤٣ ـ ١٨٤٩

أشرنا من قبل إلى تدخل أمير الوهابيين في الصراع الدائر بين شيوخ آل خليفه مما أدى إلى انتقال الدمام اليه ، لكنّ الواقع أن بعض الأعمال التي تم الاتفاق عليها بين الوهابيين وشيخ البحرين لم تكن لها علاقة مباشرة بالنزاع بين آل خليفة .

القطيعة بين الوهابيين وشيخ البحرين ١٨٤٥-١٨٤٧ :

لقد حدث نوع من التنسيق في العمل بين الامير فيصل والشيخ محمد ضد حامية الدمام وتأكد بعد سقوط هذا المكان ان اعتراف الشيخ محمد بسلطة الوهابيين على الدمام وتقديمه له جزية سنوية كبيرة ومتأخراتها كانا ثمن عون الوهابيين له .

١٨٤٥ :

وقبل نهاية سنة ١٨٤٤ طلب أمير الوهابيين مرتين دفع متأخرات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه الجزية ، وماطل الشيخ محمد . وفي سنة ١٨٤٥ أصبح معروفاً أن عبدالله بن سعيد ، حاكم القطيف باسم الوهابيين ، كان يعد حملة للهجوم على البحرين . وراح هذا المسئول الإيراني الذي لم يتوقف عن خططه بعد يغالي في ادعاء صداقته للشيخ محمد ، لكن هذا استطاع بعد لأى أن يكتشف نواياه الحقيقية ، فبادأه بالهجوم ، وحاصر موانىء الأحساء ، وكان يعمل في خدمته آنذاك قرصان مشهور اسمه حميد بن مجدل وفي هذه الظروف الصعبة نزل شيخ البحرين السابق سراً بالقرب

من رأس تنورة ، وارسل الرسل الى ابنه مبارك وإلى الحاكم الوهابي مقترحاً أن يقوم هو نفسه —بسفنه— بتضليل الاسطول الذي يحاصر القطيف ، على أن يقوم ابنه مبارك —أثناء غيابه— بعبور الخليج والاستيلاء على البحرين. لكن هذه الخطة —وكانت في حد ذاتها تبشر ببعض النجاح — قد أخفقت لوقوع بعض هذه الرسائل بين يدي بعض أنصار امير الوهابيين الذي حملها الى علي شقيق الشيخ محمد في البحرين . وكان من نتيجة ذلك أن وجد شيخ البحرين نفسه محاصراً —قبل أن يصل إلى القطيف من اسطول البحرين المتأهب للمعركة — وبجهد شديد استطاع الشيخ أن ينجو بنفسه .

١٨٤٦ :

وظل العداء قائماً بين البحرين والوهابيين ، كذلك استمر حصار اسطول البحرين لشاطىء الأحساء طوال سنة ١٨٤٦ دون رجوح أحدى الكفتين . وفي سبتمبر ١٨٤٦ عاد شيخ البحرين السابق إلى الظهور ، واستقر في الأحساء —بالقرب من الدمام اولا ثم في جزيرة تاروت بعد ذلك— وكان من نتيجة ظهوره تشديد حصار اسطول البحرين بعد ان كانت قبضته قد تراخت قليلا ، والى حدوث اشتباكين على البر ، انتصر في أحدهما أمير الوهابيين ، وفي الآخر شيخ البحرين .. لكن الشيخ السابق لم يشترك بنفسه في أي من هذه الاعمال . وفي اكتوبر

١٨٤٦ كان المسئول الوهابي يريد طلب العون من بعض إمارات عمان المتصالحة ، فطلب السماح له بذلك من المقيم البريطاني في بوشهر . وفي نوفمبر من نفس السنة تقدم شيخ البحرين الى نفس السلطة يطلب السماح له بالتحالف مع شيخ دبي .. لكن الطلبين رفضا بطبيعة الحال .

نهاية الحرب والتسوية النهائية ١٨٤٧ :

وفي اوائل سنة ١٨٤٧ حدث بعض التغيير في الموقف بسبب انسحاب حميد بن مجدل وجماعته آل عمير من مناصرة الشيخ محمد وانضمامهم الى الوهابيين .

وفي اغسطس من نفس السنة تم التوصل الى تسوية ، تعهد الأمير فيصل بمقتضاها بعدم تشجيع شيخ البحرين السابق -حتى لو استمر هذا في الإقامة بالأحساء- وتعهد الشيخ محمد بأن يدفع جزية سنوية مقدارها (٨٤) الف روبية للوهابيين .

★ ★ ★

علاقات البحرين بايران خلال نفس الفترة ١٨٤٣ - ١٨٤٩

إذا ستثنينا مؤامرات الوكلاء والمسئولين الإيرانيين لصالح الشيخ السابق عبدالله ، خاصة في ١٨٤٣ - ١٨٤٤ وفي سنة ١٨٤٦ مما أشرنا اليه فيما سبق ، فليس هناك شيء يستحق الذكر في العلاقات بين إيران والبحرين خلال هذه الفترة .

★ ★ ★

علاقات البحرين بتركيا خلال نفس الفترة ١٨٤٣ - ١٨٤٩

أما بالنسبة لتركيا ، فالوضع مختلف ، لأن مطالبة الباب العالي بالسيادة على البحرين -والتي كانت تطرح من حين لآخر- قد اثيرت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للمرة الأولى سنة ١٨٤٧ . وقد أوضح الباب العالي مواقفه تلك في خطاب موجه من متسلم البصرة الى شيخ البحرين دعا فيه الشيخ إلى إعلان خضوعه للسلطان ، وتقديم قوائم تفصيلية بالسفن الموجودة في إمارته حتى يمكن إدراجها في نطاق السفن التي ترفع العلم التركي ، لكن سفينة حربية تركية كانت تقوم بجولة في الخليج آنذاك لم تزر البحرين ، ربما تلافياً لجذب انتباه لا ضرورة له ، وراوغ الشيخ محمد تحركات الاتراك ، كما سنرى الآن ، وكان لمراوغته هذه أثرها على الحكومة البريطانية .

★ ★ ★

علاقات البحرين بالحكومة البريطانية خلال نفس الفترة ١٨٤٣ ـ ١٨٤٩

المشاكل الناجمة عن الخلاف بين أسرة آل خليفة الحاكمة وكذلك عن أعمال الوهابيين :

أشرنا فيما سبق بصورة عابرة إلى إجراءات كثيرة من جانب السلطات البريطانية فيما يتعلق بالبحرين ، من ذلك تأكيدها الدائم على ضرورة التزام الخط المانع بالنسبة لكلا الفريقين المتنازعين ومنعها سيد عمان وشيوخ عمان المتصالحة وشيخ الكويت من الاشتراك في هذه الحرب ووقوفها ضد مؤامرات ايران ومحاولات التدخل . ومن ذلك أيضاً اعتراضها سنة ١٨٤٦ على خطط الوهابيين وشيخالبحرين لطلب أحدهما العون من مشايخ عمان المتصالحة ضد الآخر .

معاهدة لقمع تجارة الرقيق ٨ مايو ١٨٤٧ :

وفي ٨ مايو سنة ١٨٤٧ وقع الشيخ محمد شيخ البحرين معاهدة قمع تجارة الرقيق كهذه التي وقعها شيوخ عمان المتصالحة في نفس السنة . وأدت دسائس تركيا في سنة ١٨٤٧ إلى مناقشة الوضع السياسي والتجاري في البحرين . وشكا شيخ البحرين من فداحة ضرائب الميناء وغيرها من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العوائد على سفنه في بومباي مقارنة مع المفروضة على سفن إيران ومسقط واعترف بأنه يميل ‑نتيجة هذه المعاملة السيئة‑ لأن يحذو حذو شيخ الكويت بقبول العلم التركي ..

التفكير في اقتراح فرض الحماية البريطانية على البحرين ثم رفضه ١٨٤٧ ‑ ١٨٤٩ :

وأثبت البحث أن هذه العوائد الإضافية تفرض على سفن البحرين في بومباي لأن هذه السفن غير مسجلة ، وأعيد تعديل هذه العوائد ، وأبلغ شيخ البحرين بأن سفن البحرين تستطيع ألا تدفع هذه العوائد الإضافية إذا قدم أصحابها شهادات ممهورة بتوقيع المقيم البريطاني . لكن المشكلة ‑على أية حال‑ لم تنته على هذا النحو لأن حكومة الهند كانت ترى أن من الأفضل عدم التدخل من جانب أية دولة أجنبية في شئون الخليج ، ما دامت الحكومة البريطانية ‑التي لم تكن بين يديها خيوط السلطة كلها‑ لن تستطيع أن تحقق أهدافها في هذه المنطقة على مستوى واسع . وقد جاء في توصية مجلس إدارة شركة الهند الشرقية : « يجب على القوات البحرية البريطانية مقاومة أية محاولة عدائية تتعرض لها البحرين .. » وضرورة إبلاغ المقيم البريطاني هناك بهذا الامر . وفي نفس الوقت ، فوض المقيم ‑ميجور هينيل‑ بأن يتأكد ‑متحاشياً أية مناقشات او محادثات مع الأتراك ‑ مما إذا كان شيخ البحرين يميل إلى مزيد من الارتباط بالحكومة البريطانية . وأوصى ميجور هينيل‑ الذي كان يعارض هذا المشروع من قبل‑ باجابة مطلب شيخ البحرين . ولكن في سبتمبر ١٨٤٩ وبعد محادثات طويلة أدت إلى اتفاق في وجهات النظر بين حكومة الهند وحكومة صاحبة الجلالة على أن تغيير السياسة في هذا الوقت أمر لا داعي له ، صدرت الاوامر للمقيم بأن يرفض اقتراح شيخ البحرين ، على أن يؤكد له في نفس الوقت استمرار العلاقة الودية والصداقة من جانب الحكومة البريطانية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حادثة قرصنة يرتكبها رجل من القبيسات ١٨٤٨

وفي الوقت الذي اثيرت فيه هذه القضية ، لم يكن مسلك الشيخ محمد تجاه الحكومة البريطانية أمراً يخلو من النقد ، خاصة فيما يتعلق بقرصان يدعى خليفة كان واحداً من فرع القبيسات الساخطين من قبيلة بني ياس في أبو ظبي . فقد وقع هذا الرجل —بعد عدة حوادث نهب قام بها على سفن تابعة للبحرين— بين يدي الشيخ ، وأثار المقيم العام مشكلة إيقاع العقاب به ، لكن الشيخ محمد خرق الوعد الذي أعطاه للمقيم المساعد، وأطلق سراح الرجل ووجه المقيم إنذاراً مباشراً الى الشيخ محمد رد عليه باعتذار حار ، ووعد بأن يعيد إلقاء القبض على القرصان .. ولكن يبدو أن هذه الفرصة لم تتح له فيما بعد .

★ ★ ★

الاحوال الداخلية في البحرين ١٨٤٣ - ١٨٤٩

وصول الدواسر إلى البحرين ١٨٤٥ :

يبدو أن الدواسر —الذين يقيمون الآن في بوداى البديع وزلاق في الجزيرة الكبرى— وصلوا أول مرة إلى البحرين في سنة ١٨٤٥ . وقيل إنهم —وهم في طريقهم من موطنهم الأصلي في وسط الجزيرة— أقاموا بعض الوقت في جزيرة زخنونيه .

قيام قاعدة للساخطين من العتوب في جزيرة قيس ١٨٤٧–١٨٤٩ :

ولا تتوفر لدينا سوى معلومات قليلة فقط عن أحوال جزر البحرين خلال السنوات الاولى من حكم محمد بن خليفة ، لكن الدلائل تشير الى الهلهلة و سوء الادارة . وقد أشرنا من قبل إلى وجود قاعدة للاجئي البحرين —منذ سنة ١٨٤٧— في جزيرة قيس ، وإلى دورها في الصراع الذي نشب بين الشيخ محمد وعمه الكبير ، ولا بد أن الشيخ محمد كان يرى في التسوية التي حدثت بينهما —وبرغم ان سكان هذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجزيرة لم يكونوا بالفعل مؤيدين للشيخ السابق-إجحافاً بمصالحه ، لأننا نراه منهمكاً في بذل جهود كبيرة- منيت كلها بالفشل- لإقناع شيخ جاراك بطرد العتوب من جزيرة قيس . وفي يناير ١٨٤٩ ، سخط أربعة من كبار التجار في البحرين على حكم الشيخ محمد التعسفي فهجروا البحرين واستقروا بلنجة فترة قصيرة ثم هجروها للإقامة بجزيرة قيس . وقد بلغ سخط الشيخ محمد على هذا العمل حداً جعله يرسل شقيقه علي إلى بوشهر لينشد نصيحة المقيم البريطاني بها . وأجيب الشيخ عن سؤاله بأن السفن الحربية البريطانية -في المنطقة المجاورة- ستقوم بمنع هؤلاء الساخطين من مهاجمة البحرين .. ولكن على الشيخ أيضاً أن يكون أكثر حذراً ، وأن يتبنى سياسة أكثر ليناً وميلا للتفاهم معهم . ويبدو أن هذه النصيحة قد آتت ثمارها ، فرجع ثلاثة من هؤلاء التجار فيما بعد الى البحرين -على سفينة بريطانية وتم في يونيو ١٨٤٩ التوصل إلى تسوية ودية -وإن كانت مؤقته- لخلافاتهم مع الشيخ .

★ ★ ★

التاريخ العام في البحرين ، وسياسة الحكومة البريطانية نحوها خلال ما بقى من حكم الشيخ محمد ١٨٥٠ - ١٨٦٨

أصبحت أمور البحرين بعد موت الشيخ السابق عبد الله دقيقة وحرجة نتيجة عدم تقدير الحاكم للمسئولية ، ولاهتمام بريطانيا اهتماماً كبيراً بهذه الإمارة ، ومزاعم كل من الوهابيين والأتراك والإيرانيين بحقهم في السيطرة عليها .

وكانت الحالة في البحرين حسب وصف الملازم ديسبراو « كنا نتوقع دائماً حدوث الاضطرابات والهجمات ، ونطلب نصيحة المقيم ، وكثيراً ما كنا نختلف معه حول ضرورة تقديم النصائح الواضحة لنا ، فمن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأمور العادية التي كانت تحدث آنذاك في البحرين اضطهاد الرعايا ، وفرار من يقع عليه الاضطهاد من الجزر ، وإرسال الوفود المسلحة المفوضة تفويضاً كاملا لعقد اتفاقيات ثم عودتهم ، وتوجيه اللوم إليهم لهذه الاتفاقيات التي توصلوا إليها .. » . وسنتناول هذه الفترة التي تصل الى حوالي العشرين عاماً بترتيبها الزمني دون أية محاولة من جانبنا لتفكيك الخيوط المتشابكة فيها .

قرصنة بني هاجر وصلف الشيخ محمد ١٨٥٠ :

وحوالي نهاية يونيو سنة ١٨٥٠ كانت سفينة صغيرة تابعة لجزيرة خارَج متجهة إلى القطيف فاستولى عليها قرب رأس تنورة ٢٦ رجلا من بني هاجر كانو عائدين إلى البر على ظهر سفينة بحرينية ، وبعد أن نهبت كل ممتلكات أهل خارَج طرحوا وجلدوا على شاطىء الأحساء . وحيث كان شيخ البحرين مرتبطاً بهذه القبيلة الآثمة برباط المصاهرة ، كان يسمح لهم بأن يترددوا كثيراً على البحرين ، بل لقد أوعز اليهم سراً بارتكاب هذه الأعمال . فارغم المقيم البريطاني الشيخ محمداً ــ رغم أن بني هاجر ليسوا من رعاياه ، ورغم كون الجريمة ارتكبت بالفعل في مكان تابع لسيادة الوهابيين ــ على أن يعتبر مسئولا عن هذا العمل ، وأن يدفع مبلغ ١٠٠ تومان تعويضاً لمن لحقت بهم الخسائر .

وفي نفس الوقت تقريباً ــ وأثناء مراسلات تتعلق بموت أحد رعايا البحرين ــ ارسل الشيخ محمد رسالة ذات طابع تهجمي وعدائي واضح إلى المقيم البريطاني عن طريق حاجي قاسم وكيل المقيمية في البحرين ، وكان بعض اشاراته المهينة يتعلق بالرائد هينيل شخصياً ، وبعضها الآخر موجه للحكومة البريطانية . وأرسلت سفينة حربية بريطانية إلى البحرين فوراً تطلب تفسير هذا الأمر ، فأرسل الشيخ محمد ــ الذي أيقن الآن خطأ مسلكه هذا ــ شقيقه علي ليقدم اعتذاراً باسمه في بوشهر . وقد قبل الرائد هينيل اعتذاره عن الاهانات التي تمسه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هو شخصياً ، لكنه أصر على أن يقوم الشيخ خلال الزيارة التالية لقائد الاسطول البريطاني في الخليج للبحرين — بالتوجه شخصيا إلى ظهر سفينته وتقديم الاعتذار له عن ملاحظاته المهينة عن الحكومة البريطانية ، وقد قبل الشيخ علي —باسم أخيه— هذا العرض ، وتم تنفيذه بالفعل .

إجراءات السلطات البريطانية تتلافى مخاطر الوهابيين وأبناء الشيخ السابق ١٨٥٠ — ١٨٥٢ :

وفي سنة ١٨٥٠ ظهرت بوادر الخلاف بين الشيخ محمد والوهابيين ، وزاد من خطورته فشل المقيم البريطاني في جهوده لإقناع أبناء الشيخ السابق عبدالله بالاستقرار بهدوء في جزيرة قيس تمهيداً للحصول على موافقة الشيخ وسماحه لهم بالإقامة في البحرين .

١٨٥٠ :

وتمثلت بوادر السوء في المعاملة النابية التي استقبل بها الأمير فيصل مبعوثه محمد بن عبدالرحيم الذي كان ارسله هو نفسه إلى البحرين ، فجرده من الهدايا التي أهداها له الشيخ محمد ، بل وأمر بسجنه أيضاً . وسخط شيخ البحرين على هذا المسلك سخطاً شديداً ، وطالب أمير الوهابيين بترضية عنه ، مهدداً بمحاصرة القطيف . وبعدها بقليل ، في إبريل سنة ١٨٥٠ ، قام سعد بن مطلق —القائد الوهابي المشهور في البريمي— بزيارة البحرين ، ولم يكن الاستقبال الفاتر الذي لقيه هناك ليساعد على تحسين العلاقات بين الشيخ محمد وأمير الوهابيين .

١٨٥١

وفي أوائل ١٨٥١ ظهر الامير فيصل بنفسه في قطر وفي مكان قريب من الدوحة ، حيث هرع اليه أهالي الدوحة والوكرة والفويرط يعلنون تخليهم عن الولاء للبحرين وارتباطهم بالوهابيين . حينذاك جانب شيخ البحرين الصواب فعرض جزية سنوية ضئيلة على الأمير ، مما يشير الى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنه فشل في التقيد باتفاقية سنة ١٨٤٧ ، لكن الامير رفض هذا العرض بازدراء ، ووضع شروطاً قاسية مجحفة ، ثم عاد أبناء الشيخ السابق عبدالله للحاق به من ملجئهم على الساحل الإيراني. وبادر الشيخ محمد بعد ذلك بحصار ميناء الوهابيين في القطيف ، لكن أبناء الشيخ عبدالله الذين وصلوا ومعهم اسطول أكملوا إعداده على الساحل الإيراني- استطاعوا اختراق الحصار والدخول إلى ميناء القطيف . وبدأت الأمور تتكشف في غير صالح الشيخ محمد ، وكان بالفعل على وشك الاستسلام لأعدائه لولا وصول أسطول بحري بريطاني فرض حمايته على جزر البحرين . وبعدها -في يوليو ١٨٥١- تم عقد الصلح بين الاطراف المتنازعة بفضل وساطة الشيخ طحنون شيخ ابو ظبي ، وأعيدت الدوحة للشيخ علي شقيق حاكم البحرين ، وكانت قد انتزعت منه ، وعاد أمير الوهابيين في سلام إلى الهفوف .

وفي هذه السنة جدد الباب العالي مزاعمه بالسيادة على البحرين ، فرفضتها الحكومة البريطانية على الفور .

١٨٥٢ :

وفي سنة ١٨٥٢ ، غضب الشيخ محمد لاستقرار أبناء الشيخ عبدالله مؤخراً في الدمام تحت حماية الوهابيين ، فهدد بعدم دفع الجزية التي كانت مستحقة الدفع آنذاك لأمير الوهابيين ، واندفع الى مهاترات كلامية كثيرة ، لكنه أخيراً رضخ لنصيحة المقيم البريطاني ونصيحة شقيقه علي -الذي كان له من القدرة على ضبط النفس أكثر مما عند شقيقه الحاكم- فدفع الجزية المستحقة لوكيل مبعوث من الامير فيصل لهذا الغرض .

صعوبة التعامل مع الشيخ محمد ١٨٥٢ :

وبعد هذا مباشرة ، انتابت الشيخ محمد مخاوف لا تبرير لها ليس فقط من اعدائه في نفس عائلته بل أيضاً من سيد عمان .. بل وحتى من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشيخ طحنون الذي توسط أخيراً بينه وبين الوهابيين . وبصعوبة تعهد الكابتن كامبول -الذي أهين موخراً من جانب الشيخ محمد- بأن يزاسل باسم الشيخ أبناء الشيخ عبدالله ، لكن هذه المفاوضات تعثرت نتيجة عدم اتزان او تعقل الشيخ محمد .

وكان يوسف بن ابراهيم أهم التجار البحرينيين الأربعة الذين هاجروا إلى قيس في سنة ١٨٤٩ ما يزال مصراً على عدم العودة إلى البحرين ما لم يحصل على ضمان من الحكومة البريطانية بحمايته ، وكان هذا مطلباً متعذراً . . لكنه -على أية حال- مات في لنجة في العام التالي «١٨٥٣ » .

اضافات متعلقة بتجارة الرقيق ١٠ مايو ١٨٥٦ :

وفي ١٠ مايو سنة ١٨٥٦ وقع الشيخ محمد نصوصاً جديدة تتعلق بقمع تجارة الرقيق كانت اضافة لمعاهدة سنة ١٨٤٧ ، وكانت نصوصها تتفق مع تلك التي وقعها شيوخ عمان المتصالحة في نفس السنة .

التعويضات عن سوء معاملة الشيخ محمد رعايا بريطانيا في البحرين ١٨٥٨ :

وفي سنة ١٨٥٨ بدأ الشيخ محمد الذي أصبح الآن يوصف بأنه «رجل يجمع في نفسه أسوأ صفات الطغيان والجشع غير المحدود للثروة ، والمزاج المتقلب الذي لا يمكن التحكم فيه ، والجهل والنزق ..» - بدأ الشيخ محمد هذا يفرض حظراً على سفينة ترفع العلم البريطاني ، ويمنع السفن التي يملكها التجار الهنود في البحرين من الإبحار إلى القطيف ، ويزيد العوائد على الصادرات والواردات جميعاً ، وتراكمت الشكايات ، من هذه الاجراءات ومن المعاملة السيئة التي يلقاها منه حاجي قاسم ، وكيل المقيمية البريطانية في البحرين .

وترتب على هذا ان ارسل كابتن فيلكس جونز المقيم البريطاني في

بوشهر —مساعده الملازم ديسبراو على ظهر السفينة الحربية البريطانية « كليف » ليحمل رسالة منه وتحذيراً لشيخ البحرين في سبتمبر ١٨٥٨ . وقد تم رفع الحظر عن السفينة التي ترفع العلم البريطاني فوراً وكان الشيخ علي شقيق حاكم البحرين هو وسيط الاتصال كالعادة . وقد قدم تفسيره لمنع السفن التي ترفع العلم البريطاني من زيارة القطيف بأنه إجراء مقصود به تلافي المشكلات التي قد تنجم عن عداء الوهابيين لشيخ البحرين ، ورد الملازم ديسبراو على هذا بأن « العلم البريطاني قادر على أن يحافظ على هيبته دون حاجة الى عون أية قوة أجنبية أخرى » . وفيما يتعلق بالعوائد الجمركية ، أبدى الملازم ديسبراو رغبة الحكومة البريطانية في ألا تكون هذه الضرائب ذات طابع تعسفي او مجحف ، وهي قضية لم يعترض عليها الشيخ علي ، وقدم وعداً من جانبه لوكيل المقيمية بأن يعامل في المستقبل معاملة خاصة ، وجاء الشيخ محمد —بعد ان فشل في محاولة إغراء الملازم ديسبراو بأن يقوم بزيارته في البر للمرة الاولى— جاء اليه على ظهر «كليف» ، وأفصح عن أسفه لما حدث ، ورد الملازم ديسبراو والقائد جنكنز زيارته تحت العلم البريطاني .

إجراءات السلطات البريطانية لتحاشي الأخطار المتجددة من جانب الوهابيين وأبناء الشيخ السابق عبدالله ١٨٥٩ :

ورغم الصلح الذي عقد في سنة ١٨٥١ ، ظل التوتر قائماً بين أمير الوهابيين وشيخ البحرين ، وكانت السلطات المحلية البريطانية تراقب هذا الأمر مراقبة دقيقة يقظة وفي مايو ١٨٥٣ —وبالنظر الى قيام خطر يتهدد البحرين بالغزو بين الحين والآخر— فوضت حكومة الهند حكومة بومباي اتخاذ الإجراءات الدفاعية اللازمة ووضع كل العقبات الممكنة في وجه غزو البحرين من قبل أمير الوهابيين —الذي كان اسمياً تابعاً للباب العالي— على أساس أن حكومة صاحبة الجلالة لا تسمح ابداً باحتلال البحرين من جانب الحكومة التركية ، كما أنها أيضاً لا تسمح بأيه أعمال لمصلحة الباب العالي في الجزر . وفي سنة ١٨٥٩ وصل التوتر الى قمته مرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أخرى رغم وجود سفينة حربية بريطانية في ذلك الوقت في مياه الأحساء . وبدأ الحاكم الوهابي لهذا الاقليم -بمعاونة محمد بن الشيخ عبدالله- يتخذ الإجراءات في القطيف والدمام للنزول إلى البحرين ، وكانت هذه العملية تستهدف وضع محمد بن عبدالله على حكم البحرين ، وكانت الحجة الظاهرية لاستمرارها هي ان شيخ البحرين قد حرض بعض القبائل في قطر على مهاجمة رعايا أمير الوهابيين ، وقد استولى هؤلاء الحلفاء على بعض سفن تركية وإيرانية -بطريق القرصنة- وأرغموا بحارتها على العمل ضمن هذه الحملة المقترحة . وأرسل المقيم البريطاني من فوره القائد بلفور ومعه اسطول الخليج الى الدمام ، وأدت أعمال هذا الضابط - التي لقيت فيما بعد « التنويه والتأييد من جانب حكومة الهند .. » إلى إيقاف هذه الاستعدادات تماماً .. بل واعتذار أمير الوهابيين عن الشروع فيها أيضاً .

وبدأت بعد ذلك مراسلات غير مثمرة بين الحاكم الوهابي الذي أسخطه تدخل السلطات البريطانية وبين المقيم البريطاني كابتن فيلكس جونز الذي كان يعتقد أن الهدف الاخير للوهابيين هو « السيطرة المطلقة بلا منازع على طول الساحل .. » ، وأكد الحاكم الوهابي في هذه المراسلات سيطرته على البحرين ، كذلك أكد خضوعه وتبعيته لسلطان تركيا . ورد المقيم عليه بابلاغه تصميم الحكومة البريطانية على المحافظة على استقلال البحرين ، وأشار أيضاً إلى تناقض استيلائه -بطريقة القرصنة- على بعض السفن التركية مع زعمة بتبعيته لسلطان تركيا .

ورفع الكابتن جونز توصية الى حكومة الهند بضرورة اتخاذ إجراء تأديبي ضد موانى الأحساء ، ودارت مناقشة حول صواب طلب إبعاد محمد بن عبدالله عن الإقامة في الدمام .

شيخ البحرين يطلب حماية إيران وتركيا في نفس الوقت ١٨٥٩ :

وقرب نهاية سنة ١٨٥٩ ، وربما نتيجة هذه الأزمة ، تقدم الشيخ

محمد –في وقت واحد– بطلب الحماية من كل من الحاكم الإيراني في فارس والوالي التركي في بغداد . أما رد إيران فتمثل في وصول وكيلهم ميرزا مهدي خان –المشهور بعدائه وكراهيته للانجليز– الى البحرين مباشرة ، ورفع علم ايران ، وإعلان سيادتها على البحرين . ولم تكد هذه الاحتفالات تقام حتى وصل محمد بك مبعوثاً عن مصطفى نوري بك الى بغداد ، فأنزل العلم الإيراني ثانية ، ورفع العلم التركي مكانه ، وليكتمل السخف في هذا الموقف رفض الوكيل الإيراني مغادرة البحرين او التخلي عن سلطانه المزعوم في الإمارة .

مناقشة السياسة التي يجب أن تتبناها الحكومة البريطانية بالنسبة لهذه الأحداث ١٨٦٠ – ١٨٦١ :

وكان سير هـ. رولينسون ، الوزير البريطاني المفوض في طهران مختلفاً في نظرته الى هذه الأمور ويراها أخطر مما يراها المقيم العام ، فتعهد بأن يحصل من وزراء الشاه على تأكيد بعدم احتلال البحرين احتلالا عسكرياً من جانب إيران حتى تتم تسوية الوضع الشرعي لهذه الجزر بالمفاوضات الديبلوماسية . ونصح الكابتن جونز بأنه في الوقت الذي تقوم فيه قوة السلاح البريطاني بصد أي عمل عدائي ضد البحرين ، فان الولاء الطوعي من جانب الشيخ لأية دولة أجنبية –ما دام لا يتبعه أي احتلال عسكري للجزر– لا يجب أن ينظر اليه على أنه ذو أهمية عملية كبيرة . وبعد دراسة هذه المراسلات وجهت حكومة بومباي التعليمات للمقيم في بوشهر بعدم التدخل في احتلال البحرين سواء من جانب إيران أو تركيا ، إلا بتوجيه الاحتجاج ورفع الأمر إلى حكومة صاحبة الجلالة ، ولكن –في نفس الوقت– يجب أن يصدر تحذير لكل من الجانبين بأن أي عدوان من جانب البحرين –أو باسمها– على القبائل المجاورة لن تسمح به الحكومة البريطانية ، وقد تمنعه بقوة السلاح إذا لزم الأمر . وحين رفعت حكومة بومباي الأمر كله الى وزير الدولة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أشارت الحكومة إلى أن الهدوء في منطقة الخليج الذي ظلت سياسة الحكومة البريطانية تحافظ عليه أمداً طويلا يتطلب اعتبار البحرين غير تابعة للباب العالي ولا لإيران ، كما اوصت أيضاً بضرورة الاعتراف باستقلال البحرين ، وبوجوب المحافظة على مثل الاتفاقيات الخاصة بالمصالح التجارية والانسانية والأمن العام مما يعقد بينها وبين الحكومة البريطانية . وقد وافقت حكومة صاحبة الجلالة على هذه الاقتراحات كلها في فبراير سنة ١٨٦١ .

وفي نفس الوقت تقريباً .. اختفى وكلاء تركيا وإيران جميعاً من البحرين .

شيخ البحرين يوقع معاهدة مع بريطانيا ٢١ مايو ١٨٦١

وفي مايو سنة ١٨٦١ أصبح معروفاً للمقيم أن شيخ البحرين قام بغير مشورته بمحاصرة ساحل الأحساء ، وبمطاردة الغواصين وراء اللؤلؤ في القطيف والدمام ، وكان محمد بن عبدالله ابن شيخ البحرين السابق ما يزال مقيماً في الدمام .

ومضى كابتن جونز مباشرة إلى البحرين فوصلها في ١٨ مايو مع اسطول الخليج كاملا ، لكنه لم يلمح لشيخ البحرين بانهاء حصاره لشواطىء الاحساء . وكان سبب عناد شيخ البحرين ، أو على الأقل ما كان يُعتَقَدُ أنه سبب ذلك هو وعد من جانب إيران بأن تضمن له عون سفينة حربية فرنسية . وحين فشلت كل محاولات الإقناع من جانب المقيم السياسي . وضع الامر كله بين يدي القائد دروت قائد الاسطول البريطاني في الخليج الذي استطاع دون ان يطلق طلقة واحدة الاستيلاء على سفينتين من أفضل سفن البحرين الحربية وهما «الطويلة» و « الحمراء » .

وعند ذلك أعلن الشيخ خضوعه ، ووافق -بعد مفاوضات قصيرة أجراها شقيقه علي على توقيع اتفاقية اقترحها الكابتن جونز ووقعت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في ٢١ مايو سنة ١٨٦١ . وبها اعترف الشيخ محمد بن خليفه بصحة الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدها أسلافه في الحكم مع الحكومة البريطانية ، وتعهد بأن يتجنب « الانغماس في الحرب او القرصنة او تجارة الرقيق في البحر » . وكان ذلك الشرط ضرورياً لاستمرار عون الحكومة البريطانية له ضد أي عدوان خارجي ، كما تعهد الشيخ أيضاً بأن يرفع أمر كل حالات العدوان التي قد تقع عليه أو على رعاياه إلى المقيم البريطاني ، وان يقبل تحكيمه فيها ، وان يرفع اليه أيضاً مطالبه بالتعويض في مثل هذه الحالات ، وأن يخضع لتحكيمه بالنسبة للحالات التي يكون فيها هو المعتدى او رعاياه ، وتعهد أيضاً بأن يعترف بقضاء الوكيل البريطاني والمقيم البريطاني في شئون الرعايا البريطانيين في البحرين مهما كانت تلك الشئون ، وان يسمح لهؤلاء الرعايا بالاستقرار والتجارة في أرضه بحيث لا يخضعون الا لشي واحد فقط هو دفع ٥٪ من قيمة رؤوس اموالهم على الا تحصل منهم غير مرة واحدة . وحين سويت المسائل على هذا النحو احتفظ المقيم بالسفينة «الحمراء » ، وأطلق سراح السفينة الأخرى « الطويلة » وكان من نتائج هذه الاتفاقية تحديد وضع شيخ البحرين الذي لم يكن طرفاً مع مشايخ عمان المتصالحة في توقيع معاهدة السلم الشاملة .

ووافقت حكومة بومباي على الإجراءات التي اتخذها كابتن جونز ، ورفعت هذه الاتفاقية ــ التي كانت تراها ذات ميزات وإن كانت بلا تفويض سابق من جانبها ــ الى حكومة الهند التي صدقت عليها في ٩ أكتوبر ١٨٦١ . وصدرت التعليمات ايضاً للمقيم بألا يعيد السفينة «الحمراء» حتى يثبت شيخ البحرين بمسلكه أنه جدير بمثل هذا العمل .

طرد محمد بن عبدالله من الدمام نوفمبر ١٨٦١ :

وفي نفس الوقت وافقت السلطات العليا على اقتراح قدمه المقيم العام ــ في أعقاب محاولة غزو البحرين في سنة ١٨٥٩ ــ على أن يبعد من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدمام محمد بن عبدالله ـ الذي أنذر غير مرة بألا يثير هذه الاضطرابات في البحار ، والذي كان الشيخ محمد دائم الشكوى منه . وطلبت الحكومة البريطانية ضرورة سماح شيخ البحرين له بالإقامة في الكويت او في أي مكان آخر على الساحل الإيراني ، وأصدرت تعليماتها بأن تُتجنّب المعارك البرية ، ويقتصر على العمليات البحرية فقط .. هذا اذا كان لا مفر من استخدام القوة .

وهكذا ، كتب المقيم العام لأمير الوهابيين في يونيو ١٨٦١ بأن يطرد محمد بن عبدالله من الدمام ، وفي نوفمبر ١٨٦١ـ وحين لم يتلق رداً على خطابه هذا ـ سار المقيم بالاسطول البريطاني في الخليج إلى الدمام ، وبعد إطلاق بعض النيران ساعة من الزمن دون خسائر في الأرواح فر محمد بن عبدالله وأنصاره جميعاً من الدمام .. ولم يلق الاسطول البريطاني أية معارضة من قِبَل حامية الوهابيين في الدمام والقطيف ، بل لقد رحب تجار الأحساء بهذه النتيجة ، ورحبت بها السلطات الوهابية أيضاً التي امتنعت عن طرد هذا اللاجىء من ارضها في نهاية الأمر مراعاة لتقاليد الكرم والضيافة العربية .

وقدم الوالي التركي في بغداد احتجاجاً على ما قام به الاسطول البريطاني في الخليج ، ورد عليه المعتمد البريطاني هناك . ولا داعي هنا للاشارة الى ذلك الاحتجاج لأنه يتعلق بالوضع السياسي في الأحساء لا في البحرين .

سوء سلوك شيخ البحرين تجاه رعايا بريطانيا ١٨٦٣ـ١٨٦٥ :

ولم تفلح التزامات الاتفاقية التي عقدت أخيراً ، ولا العون الثمين الذي لقيه شيخ البحرين في طرد محمد بن عبدالله من الدمام في أن ينشيء علاقات طيبة بينه وبين الحكومة البريطانية . وفي سنة ١٨٦٣ ، وبعد تعيين الوكيل بيللي مقيما في الخليج ، أعيدت السفينة «الحمراء» لشيخ البحرين بناء على اقتراح المقيم الجديد ، كبداية لسياسة التصالح التي كان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يود انتهاجها . لكن شيخ البحرين لم يقابل هذه البادرة بأكثر من عبارات تدل على عدم احترامه لنائب الملك في الهند وعلى سوء معاملته للرعايا البريطانيين حتى بلغ بهم الأمر يوماً أن هاجرت الجالية الهندية جميعاً إلى بوشهر ، واستقر أكثر تجارهم ثراء هناك ورفضوا العودة للبحرين ، ورفعت شكاوى كثيرة ضد شيخ البحرين ، فأجرى المقيم تحقيقاً في إحداها سنة ١٨٦٤ وسويت باتفاقية كتابية تعهد الشيخ وأشقاؤه فيها بدفع مبلغ ١٧ الف غران . وفي ربيع سنة ١٨٦٥ ، لدى زيارة ثانية للبحرين ، وجد الرائد بيللي أن هذه التعويضات لم يتم دفعها بعد . وأن شيخ البحرين ، بدل أن يدفعها ، استولى على مبلغ ثلاثة آلاف غران أخرى من الهنود الذين تقدموا بهذه الشكوى ، فوجه المقيم إنذاراً كتابياً للشيخ .. ولكن في ديسمبر من نفس السنة –وبعد اخفاق مفاوضات دامت اسبوعاً كاملا مع الشيخ لإقناعه بضرورة دفع هذه التعويضات التي التزم بها – أمر الرائد بيللي بالاستيلاء على سفينة البحرين « دينار » التي تبلغ حمولتها ٥٠٠ طن ومسلحة بعشرة مدافع كبيرة . ولم يكد المقيم يرفع الامر إلى حكومة الهند مع توصية منه ببيع هذه السفينة لصالح التجار الهنود أصحاب الحق في التعويضات حتى عادت سلطات البحرين إلى وعيها فدفعت التعويضات المطلوبة منها ، غير ان السفينة –في نفس الوقت– تأثرت باعصار عنيف ، وغرقت قبل ان تصل أقرب ميناء لها في بوشهر ..

وكانت حكومة الهند قد أصدرت أوامرها برد السفينة « دينار » لشيخ البحرين اذا تيسر ذلك .. لكن السفينة غرقت أثناء عودتها إلى البحرين ولم يتيسر تنفيذ هذه التعليمات . وأصدرت الحكومة أمراً عاماً –نتيجة هذه الحادثة– بألا يتولى المقيم العام مستقبلا عملية مصادرة السفن التي يملكها الشيوخ على مسئوليته الخاصة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحكومة الإيرانية تجدد تأكيـد مزاعمها بالنسبة للبحرين ١٨٦٦ – ١٨٦٧ :

وقامت الحكومة الإيرانية –التي كانت قدمت احتجاجاً في سنة ١٨٦٢ على احتجاز سفينة البحرين الحربية «الحمراء»– بتقديم شكوى جديدة مما اتخذته السلطات البريطانية تجاه السفينة «دينار» على أساس أن البحرين كانت وحسب الاتفاقية التي عقدها كابتن بروس سنة ١٨٢٢ تابعة لإيران .

وأحالت حكومة الهند التي لم يرقها هذا الزعم –بطبيعة الحال– الأمر إلى حكومة بومباي ، وطلبت اليها تفسير الوضع الحقيقي لمعاهدة كابتن بروس ، وكيف أنها رفضت من جانب السلطات البريطانية العليا منذ توقيعها ، كما أوضحت حكومة الهند لمستر اليسون الوزير البريطاني المفوض في طهران ظروف القضية مبينة رأيها الذي يتمثل في أنه مهما كانت المزاعم من جانب حكومة إيران أو الاسس التي تقوم عليها هذه المزاعم عن سيطرة إيران على البحرين في الزمن الماضي .. فان على الشاه أن يفهم حكم الأمر الواقع اليوم.. وهو الا حق له على الإطلاق في هذه الإمارة .

وقد أقرّت حكومة صاحبة الجلالة هذا الإجراء من جانب وزيرها المفوض في إيران في سنة ١٨٦٧ ، وانتهت القضية عند هذا الحد .

مزاعم الوهابيين بالسيطرة على البحرين ١٨٦٦–١٨٦٧ :

وأثناء زيارة الرائد بيللي للبحرين في ديسمبر ١٨٦٥ ، وكانت ثمة قطيعة بين بريطانيا والوهابيين آنذاك ، حامت الشكوك حول وجود تفاهم بين شيخ البحرين والوهابيين ، وكان من دوافع (عملية) السفينة «دينار» قص أجنحة شيخ البحرين خشية أن يغامر مرة واحدة ويربط مصيره بأمير الوهابيين . صحيح أن الشيخ حين أعلن خضوعه أفصح عن رغبته

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في تخليصه من قوة الوهابيين لكن المقيم ظنه في ذلك الوقت غير مخلص في طلبه هذا . وصدرت التعليمات للرائد بيللي بكتابة تقرير عن الوضع السياسي للبحرين بالنسبة للدولة الوهابية .

وأثبت بحث الرائد بيللي أن الشيخ يعتبر نفسه مستقلا عن الوهابيين فيما يتعلق بجزر البحرين ، أما الجزية التي يدفعها لهم كل سنة -دون مناقشة- وقدرها أربعة آلاف روبية فهي لحساب ممتلكاته في قطر ، وهدف هذه الجزية هو تأمين ممتلكاته القطرية من أي هجوم عليها من قبل القبائل العربية المجاورة . وحين رفع الرائد بيللي هذا التقرير الى حكومة الهند ذكرها بقرار مجلس المديرين في سنة ١٨٤٧ الذي يقضي بصد أية محاولة لغزو البحرين ، بقوة الاسطول البحري لو اقتضى الأمر ، كما أعاد للأذهان اوامر حكومة الهند في سنة ١٨٥٣ بوضع كل العقبات الممكنة في وجه أمير الوهابيين الذي كان يعتبر آنذاك عميلا للأتراك اذا ما حاول غزو البحرين ، وبقبول وزير الدولة في سنة ١٨٦١ لوجهة النظر التي تقول بضرورة الاعتراف باستقلال البحرين وبضرورة الوفاء بالتزامات الحكومة البريطانية المحددة في المعاهدات والاتفاقيات المعقودة مع شيوخها .

شيخا البحرين وأبوظبي يقومان بنهب قطر ، وسكانها ينتقمون بالاغارة على البحرين ١٨٦٧ - ١٨٦٨ :

وفي مارس ١٨٦٧ صرحت حكومة الهند برأي مؤداه أن شيخ البحرين مستقل تمام الاستقلال عن كل الدول الأجنبية فيما يتعلق بأرض الجزر ، وأنه ليس ملزما بأن يطيع الوهابيين الا فيما يتعلق بأرضه في قطر. وقد قبض الشيخ أحمد بن محمود -وكيل شيخ البحرين في الوكرة- على رجل بدوي وارسله إلى البحرين ، واتحد زعماء الوكرة والدوحة في طلب إطلاق سراحه ، وحين رفض طلبهم بدأوا يتخذون إجراءات طرد الشيخ أحمد بن محمود من الوكرة ، لكن هذا استطاع أن يدرك سلفاً نواياهم فانتقل بأسرته وما يملك إلى خور حسان ، وتمت تسوية الأمور

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تسوية ظاهرية ، فأطلق شيخ البحرين سراح الرجل البدوي السجين ، واعتذر له شيوخ قطر عن سلوكهم نحوه .. لكن شيخ البحرين كان يتخذ التسوية ستاراً يخفي نواياه الانتقامية . ودعى جاسم بن محمد ـ أحد شيوخ آل ثاني في الدوحة الذي سيمتد نفوذه يوماً فيما بعد فيشمل شبه جزيرة قطر كلها ـ الى البحرين لعقد اتفاقية دائمة في ما يتعلق بطريقة حكم الإقليم فيما بعد ، لكن شيخ البحرين غدر به فور وصوله فألقاه في السجن ، وبمجرد سجنه ارسل الشيخ محمد اسطولا مكوناً من ٢٤ قارباً على ظهرها ٥٠٠ رجل يقودهم شقيقه الشيخ علي ، وقوة برية قوامها ٢٠٠ رجل يقودها الشيخ أحمد وكيله السابق ـ لتأديب أهل الدوحة والوكرة ، وطلب في نفس الوقت من شيخى دبي وابوظبي المساعدة ، وأرسل شيخ أبو ظبي ـ متجاهلا نصيحة الوكيل البريطاني في الشارقة ـ ٢٠٠٠ رجل مسلح في ٧٠ قارباً الى ساحل قطر ، لكن شيخ دبي لزم الحذر ورفض الاشتراك في هذا العمل . وكان اسطول ابو ظبي هو الذي وصل اولا إلى قطر ، ونجح في تهدئة شكوك الوهابيين حتى وصلت عمارة البحرين التي كانت قد استولت على ٤٠ سفينة تابعة لقطر في طريقها . وهاجمت قوات الحلفاء مدينتي الدوحة والوكرة فنهبت حتي الابواب ونوافذ البيوت ثم طلبت إلى الأهالى بأن يخرجوا للأقامة في أي مكان آخر ، وحين حاولوا الخروج سلبت كل ممتلكاتهم ، وألقي القبض على جماعة منهم .. أما الباقون فقد انتشروا يلتمسون لهم ملجأ آخر في أي مكان على سواحل شبه الجزيرة أو ايران وقد حدثت هذه الوقائع في اكتوبر سنة ١٨٦٧ . وقدرت الخسائر التي اوقعت بأهل قطر بأكثر من ٢٠٠,٠٠٠ روبية .

واندفع ضحايا هذا الغدر مباشرة إلى أمير الوهابيين ـ الذي يزعم لنفسه حقوق السيادة على قطر ـ يطلبون تعويضهم عما أصابهم ، وذكر بعدها أنه استقبل ممثل هؤلاء المنكوبين وتعاطف معهم ، وذكر لهم أنه « ما دامت نواياه متفقة مع نوايا السلطات البريطانية فلا شيء يُخشى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليهم بعد من ناحية البحر » ، وتقدم الأمير يطلب إعادة الأشياء التي نهبت ، وإطلاق سراح الأسرى من مواطني الدوحة والوكرة . وكانت النتيجة التي أدى اليها هذا الطلب هي إعادة احتجاز بعض العائلات التي كان قد سمح لها بالعودة الى قطر . وأصدر أمير الوهابيين اوامره إلى وكلائه في الأحساء باعداد حملة للهجوم على البحرين ولكن ــفيما عدا بعض حوادث النهب التي قامت بها قبيلة من ساحل الأحساء على بعض مواطني البحرين ــلم يؤد هذا الى نتائج ملموسة .

وفي يونيو سنة ١٨٦٨ أخذ أهل قطر المنكوبون زمام المبادرة فبدأوا يعدون لهجوم انتقامي على البحرين ، لكن هذه الحركة بدأت وانتهت ــفيما يبدوــ بعدة اشتباكات بحرية صغيرة .

تدابير السلطات البريطانية حيال الهجوم على قطر ١٨٦٨

وقد أدت السرية والسرعة اللتان أحيطت بهما حملة شيوخ البحرين وأبو ظبي ضد قطر الى حرمان الحكومة البريطانية من أية فرصة لمنعها او التدخل فيها ، ولكن بمجرد أن تحول الأمر واصبح اختباراً لاستعداد بريطانيا وقدرتها على حماية السلم في البحار تقرر إيقاع عقوبة بالشيوخ المعتدين تكون عبرة لمن اعتبر وعدم قبول العذر الذي ربما يتعلل به الشيخ محمد وهو أنه كان يهدف إلى تأديب رعاياه المتمردين في قطر .

الاستعدادات والمفاوضات :

وأرجىء العمل من قبل السلطات البريطانية طويلا بالنظر لما تطلبته حملة ضد الحبشة من قطع حكومة الهند البحرية ، وفي ذلك الوقت لم يكن في الخليج إلا قطعة بحرية واحدة هي القارب المسلح «هيوروز» ، وكان رجالها جميعاً من الهنود ولا تستطيع السير أكثر من ثماني ساعات متواصلة . وفي شهر مايو وضعت الباخرة «سند» تحت تصرف المقيم السياسي لمحاصرة أبو ظبي والتصدي لشيخها ، ولكنها بسبب هفوة غريبة حوسبت عليها حكومة الهند حساباً عسيراً في ما بعد ، وصلت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى الخليج وليس في خزينتها طلقة مدفع واحدة .. وفي نفس الو قت كان ثمة اتفاق سري بين شيخ ابو ظبي وشيخ البحرين على أن يدفع الأخير للأول أية عقوبة مالية تفرض عليه من جانب الحكومة البريطانية . وراح شيخ أبو ظبي يراوغ ويماطل ، ولكن في ٨ يونيو ١٨٦٨ قطع عليه الطريق خطاب من المقيم العام يطلب فيه دفع مبلغ ١٢٥ الف غران تعويضاً عن الخسائر التي حدثت ، وإعادة الأشخاص الذين نقلهم من قطر هم وممتلكاتهم كاملة ، والاعتذار عن عمله هذا ، والتعهد بمسلك أفضل في المستقبل . وأدت الأخبار التي وصلت في يونيو ١٨٦٨ عن إعداد حملة انتقامية من جانب أهالي قطر إلى التعجيل بمجرى الحوادث وفي ٢٣ يوليو أرسلت سفينة صاحب الجلالة «فيجيلانت» التي كانت عائدة من مهمة أخرى في بومباي الى الخليج ، وصدرت التعليمات لقائدها الكابتن ر. أ. براون بارغام شيخ البحرين ، بكل الوسائل التي يستطيعها ولكن بالتشاور الدائم مع الرائد بيللي ، على دفع مبلغ ١٠٠ الف روبية ، وتسليم السفن المسلحة التي استخدمها في الحملة المذكورة على قطر إلى جانب التعهد بحسن السلوك في المستقبل — كما يقدر المقيم العام شكل هذا التعهد من جانب رجل كحاكم البحرين — أما بالنسبة لشيخ ابو ظبي فقد فوض بيللي أن يتخذ من الإجراءات هناك ما تقتضيه طبيعة الموقف .

الاتفاق مع الشيخ علي بن خليفة ٦ سبتمبر ١٨٨٦ :

ولم يتخذ أي عمل حتى اول سبتمبر (١) حين وصلت سفينة صاحب الجلالة «فيجيلانت» والقاربان المسلحان «كلايد» ، و « هيو روز » إلى البحرين . وفر الشيخ محمد — الذي أحس أنه الطرف الخاسر بلا ريب — إلى قطر . وفي ٦ سبتمبر ١٨٦٨ تم توقيع اتفاقية مع الشيخ علي بن خليفة

---

(١) لا نجد تفسيرا مقنعا لهذه التأخيرات ، التى حدثت منذ بداية فبراير حتى منتصف يوليو ،وكانت تعزى من جانب حكومة الهند الى اهمال حكومة بومباى .

ـشقيق الشيخ الهارب الذي كان مرتبطاً إلى حد ما معه في الإدارةـ تعهد فيها بأن يسلم جميع السفن الحربية التي يملكها كل أعضاء الاسرة الحاكمة في البحرين للقائد البحري البريطاني ، وأن يدفع مبلغ ٢٥ الف روبية نقداً للمقيم البريطاني في اليوم التالي ، بالإضافة إلى دفع مبلغ ٧٥ الف روبية على ثلاثة أقساط سنوية ، وأن يعين ـبهدف المحافظة على السلم في البحرـ وكيلا عنه في بوشهر للتفاهم مع المقيم البريطاني هناك . ونصت الاتفاقية أيضاً على اتفاق وجهاء أهل البحرين بالإضافة إلى الشيخ علي نفسه ، على أن الشيخ محمد ، نتيجة ارتكابه أعمال القرصنة وفراره عن المشيخة ، لم يعد شيخاً للبحرين . وقد تعهد الشيخ علي الحاكم الجديد للبحرين بأن يقبض على أخيه ـفي حالة عودته إلى البحرينـ ويسلمه للمقيم البريطاني . وتم تنفيذ الالتزام الخاص بتسليم السفن الحربية بالفعل ، وتم حرق هذه السفن ، كما تم أيضاً تدمير قلعة المحرق ، او تحديداً قلعة أبو ماهر بتحصيناتها . وحين جمع مبلغ يوازي حوالي خمس الغرامة المقررة وزعت توزيعاًـ متناسباً ـ على الذين وقعت عليهم الخسارة ورفع باقي هذه الغرامة .

أما الأعمال التالية للمقيم على ساحل قطر وأبو ظبي فهي تتعلق بتاريخ تينكما الإمارتين أكثر مما تتعلق بتاريخ البحرين ولا حاجة بنا لذكرها هنا ، لكننا نشير فقط إلى أن الرائد بيللي قد نجح في الوصول إلى اتفاق ـفيما يتعلق بالجزية وغيرها من المسائلـ بين شيوخ آل ثاني في الدوحة وحاكم البحرين الجديد ، وهذه الجزية هي ما كان يدفعها شيخ البحرين ـكلياً أو جزئياًـ لأمير الوهابيين عن املاكه في قطر .

احتجاجات إيران على أعمال بريطانيا في البحرين ورد حكومة صاحبة الجلالة عليها ١٨٦٨ ـ ١٨٦٩

وسرعان ما توالت الاحتجاجات على أعمال السلطات البريطانية من مختلف مستويات السلطات الإيرانية ، وفي أحد هذه الاحتجاجات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدمة من وزراء الشاه إلى مستر أليسون الوزير البريطاني المفوض في طهران جاء ان « البحرين جزء من إيران » ، وأرسل احتجاج مماثل من حاكم شيراز إلى الرائد بيللي ، وثالث ارفق به خطاب من شيخ البحرين السابق إلى وزارة الخارجية في ١٣ إبريل سنة ١٨٦٩ قدمه السفير الإيراني في لندن . وكان مدار الشكوى ان السلطات البريطانية لم تبلغ السلطات الإيرانية بشيء عن نواياها تجاه البحرين .

وفي رد أرسل في تاريخ ٢٩ إبريل سنة ١٨٦٩ بعد تشاور بين دوق أرجيل ، وزير الدولة لشئون الهند —ووزير الدولة للشئون الخارجية ، والسفير الإيراني في لندن ذكر ان شيخ البحرين دخل في فترات مختلفة من ماضيه — في اتفاقيات مباشرة مع الحكومة البريطانية — وقدمت اليه التأكيدات بأن الهدف الوحيد من هذه الاتفاقيات بالنسبة للحكومة البريطانية مع هؤلاء الشيوخ هو منع القرصنة وتجارة الرقيق وا ضطراب السلم في منطقة الخليج ، وكلها أهداف يسعد الحكومة البريطانية أن تؤديها — اذا كان ذلك ممكناً — من أجل الحكومة الإيرانية . وفي النهاية وعدت الحكومة البريطانية بأنها لو وجدت في المستقبل ضرورة القيام باجراء تأديبي او عقابي ضد شيخ البحرين فستقوم بابلاغ السلطات الإيرانية مسبقاً اذا كان ذلك ممكناً . وفي الحالات التي يتعذر فيها ذلك عملياً — نتيجةالتأخير الناجم عن إحالة الأمر إلى حكومة طهران— فان تقريراً وافياً سيقدم للحكومة الإيرانية . وكان الهدف من هذا الرد هو تحاشي إحداث أية إثارة في طهران .. ولكن من الواضح أن حكومة صاحبة الجلالة لم تتخل عن تنفيذ سياستها المرسومة في المنطقة .

★ ★ ★

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

علي بن خليفة ١٨٦٨ ـ ١٨٦٩

بدأ حكم علي بن خليفة بالاتفاقية التي وقعها مع الحكومة البريطانية في ٦ سبتمبر ١٨٦٨ ، وكانت فترة حكمه قصيرة ومأساوية استمرت أقل من سنة .

★ ★ ★

مؤامرات الشيخ السابق محمد بن خليفة ١٨٦٩

وفي يناير ١٨٦٩ وبناء على طلب الشيخ علي الذي كان يظن أنه سيحكم سيطرته على شقيقه ولو كان هذا مقيماً في البحرين سمحت السلطات البريطانية للشيخ محمد بالعودة إلى البحرين .. لكنه انهمك في سلسلة طويلة من المؤامرات حتمت إبعاده إلى الكويت ، ومنها انتقل الشيخ السابق إلى القطيف ، ودخل في اتصالات مريبة مع قريبه ناصر بن مبارك ــ حفيد الشيخ السابق عبدالله ــ الذي كانت امه من بدو بني هاجر .

★ ★ ★

غزو البحرين وموت الشيخ علي ١٨٦٩

وفي أغسطس أو سبتمبر ١٨٦٩ عبر محمد بن خليفة وناصر بن مبارك إلى البحرين في تسعة قوارب تحمل حوالي ٥٠٠ رجل مسلح من بني هاجر ، وسارت قواتهما إلى الرفاع الشرقي الذي كان يسيطر عليه محمد بن عبدالله وهو الشيخ الذي كانت السلطات البريطانية طالبت باسم الشيخ علي بإبعاده من الدمام سنة ١٨٦١ . وحدثت معركة بين الجانبين انتهت من جرّاء خيانة محمد بن عبد الله إلى هزيمة الشيخ علي ومصرعه في الميدان هو وواحد من أبنائه ، واحتل الغزاة الذين كان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محمد بن عبدالله أكثرهم سطوة ونفوذاً مدن المنامة والمحرق لكنهم عجزوا عن كبح جماح قواتهم من البدو فقامت بنهب المنامة ، ولم تقدر الخسائر التي اوقعت بأهل هذه المدينة ، ومن بينهم تجار الهند البريطانية بطبيعة الحال أي تقدير دقيق ، ولكن تردد أنها بلغت أكثر من ٢١,٥٣٠,٧٩٧ غران .

★ ★ ★

فترة خلو المشيخة في البحرين ١٨٦٩

إجراءات مباشرة من السلطات المحلية البريطانية :

وحين وصلت أنباء هذه الثورة الى بوشهر ، أرسل الرائد بيللي –على التو– مساعده الكابتن واي على ظهر سفينة صاحبة الجلالة «داهوزي» لتحقق في الأمر ولتنقل تجار الهند البريطانية الذين يريدون مغادرة المكان.. لكن رغبة الكسب عند هؤلاء التجار كانت قوية بحيث جعلتهم جميعاً –وبدون استثناء– يرفضون مغادرة البحرين ، مفضلين المخاطرة بالبقاء للمتاجرة بالبضائع المنهوبة التي كانت تباع علناً في أسواق البحرين والقطيف بما يوازي خمس ثمنها الحقيقي .

مزيد من العمل حسب اوامر حكومة الهند :

وقدم المقيم في أوائل اكتوبر اقتراحات لتسوية هذه الأزمة ، وفي منتصف نوفمبر خولت له سلطة حصار البحرين واستخدام القوة حتى يتم القضاء على الاضطراب الرئيسي في البحار ، وكان ذلك يعني استسلام محمد بن عبد الله وناصر بن مبارك ومحمد بن خليفة جميعاً ، واذا سمحت الظروف عقب تنفيذ الإجراء الأول ووضح ان الناس جميعاً كانوا يفضلون تعين عيسى بن الشيخ السابق شيخاً للبحرين أعلن تعيينه وأبلغ شيوخ عمان المتصالحة كتابياً بذلك التغيير الذي حدث وبعزم حكومة الهند على إيقاع العقاب العادل بمن يستحقه . وقد ارجىء إلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حين إجراء مزيد من الدراسة تعويض هؤلاء الذين اوقع بهم السلب والنهب ، وعقاب من باعوا الأمتعة المسروقة بأثمان اسمية ، ومحاصرة موانى الوهابيين حتى لا توزع اليها هذه الأسلاب ، وإيقاع العقاب بالبدو المعتدين ، ونقل حاكم القطيف .. وصدرت التعليمات للمقيم العام بأن يلتزم جانب الحذر قدر إمكانه في اي اتصال يقوم به مع أمير الوهابيين .

الاعمال في البحرين .. من ١٩ نوفمبر إلى ٢ ديسمبر سنة ١٨٦٩

وحين وصلت هذه الأوامر للرائد بيللي ، سار مباشرة إلى البحرين على ظهر سفينة صاحبة الجلالة « دافني » ومعه الكابتن دوجلاس يقود سفينة صاحبة الجلالة « نيمف » والقاربين المسلحين « كلايد » و « هيو روز » ، وبدأت العمليات في ١٩ نوفمبر ، وانتهت تماماً في ٢ ديسمبر . وهوجمت قلعة هالة ابو ماهر بالقوارب في ليلة ١٩ نوفمبر ، وهزمت حاميتها واستسلمت . كذلك استسلم محمد بن خليفة ، ونقل على ظهر سفينة صاحبة الجلالة « دافني » ، وتم أسر الشيخ ناصر بن أحمد في البحر ، واسر ناصر بن مبارك من قلعته ـ ويحتمل أنها قلعة المنامة ـ بعد تدميرها ، ونقل إلى مكان آخر غير أنه استطاع الهرب إلى الإحساء مع أنصاره .

وتوقف محمد بن عبد الله زعيم هؤلاء الحلفاء عن مناوراته وسلم نفسه . وجاء الشيخ عيسى بن علي من قطر التي كان مستقراً فيها ، ونصب حاكماً على البحرين دون أي تدخل من جانب السلطات البريطانية ـ ووسط مظاهر الابتهاج الشامل من أهالي البحرين وقد أصيب الكابتن دوجلاس نتيجة انفجار لغم لكن إصاباته كانت طفيفة .

معاملة الاسرى وتعويض المتضررين :

ورحل الشيوخ الثلاثة الأسرى وغيرهم من قادة التمرد الى الهند حيث ظلوا محبوسين في قلعة أسير جاره ثم في قلعة شونارو التي مات فيها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ناصر بن محمد سنة ١٨٧٣ ، ومحمد بن عبدالله في سنة ١٨٧٧ ، ثم نقل السجناء الثلاثة الباقون بعد ذلك إلى عدن ، ومنها أطلق سراح اثنين منهم سنة ١٨٨٠ .

وتم عقد اتفاقية مع الشيخ عيسى لدى توليه الحكم لمصادرة أملاك زعماء هذا التمرد وتعويض المتضررين الابرياء واستمر دفع هذه التعويضات على أقساط حتى سنة ١٨٧٦ حين أكمل دفعها تماماً .

★ ★ ★

علاقة الوهابيين بالغزو

ونشأت شكوى في البداية من ان تكون حكومة الوهابيين مسئولة مسئولية جزئية عن الاضطرابات المدمرة التي حدثت في البحرين ، وتردد القول بأن بني هاجر رفضوا في بداية الأمر السير في هذا الغزو دون تفويض لهم من امير الوهابيين بذلك ، وحصل ناصر بن مبارك على هذا التفويض بعد زيارة قام بها للرياض ، لكن حكومة الهند – كما رأينا – رفضت اعتبار الامير مسئولا دون توافر الدليل على ذلك أو على درجة سيطرته على إقليم الأحساء . وأثبتت الأحداث أن هذا القرار كان قراراً حكيماً لأن الأمير كتب بعد ذلك مباشرة للمقيم العام ينكر صلته بهذا الاضطراب ، ولما لم يثبت عليه الجرم اكتفت السلطات البريطانية بتذكير الامير بأن هذا الغزو قد اتخذ من اراضيه قاعدة له ، وان ناصر بن مبارك قد لجأ إلى ارضه بعد ذلك أيضاً وحمل معه كثيراً من اسلاب البحرين ، وطلبت اليه دون إظهار أي لون من الوان التهديد منع حدوث مثل هذه الاضطرابات في المستقبل .

★ ★ ★

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

موقف حكومة ايران من الغزو ومن البحرين عموما

وقوع خطابات إيرانية في أيدي البريطانيين على مقربة من شواطىء البحرين :

وبعد اقتراب الحملة البريطانية من شواطىء البحرين حاولت سفينة أهلية من دائير على الساحل الايراني اختراق هذا الحصار وهي ترفع العلم العربي . وحين تم الاستيلاء عليها تبين أنها تحمل وفداً من ميرزا مهدي خان المبعوث الإيراني للبحرين في سنة ١٨٥٩ ، ومعه خلعة وخطابات وعد فيها محمد بن عبدالله بتقديم المعونة والتأييد اللازمين له من ايران.. وذكرت الخطابات أن ميرزا مهدي خان قد عين مسئولا عن « الموانى » لكن رسله لم يكن معهم أية فرمانات واضحة من حكومة الشاه . وتم احتجاز السفينة لأنها حاولت خرق الحصار ، وسلمت السلطات الانجليزية الخطابات إلى السجين محمد بن عبدالله الذي سلمها بدوره للرائد بيللي .

احتجاج من جانب الحكومة الايرانية :

وحسب أوامر حكومة صاحبة الجلالة التي صدرت قبل عدة شهور ، تمّ قبل إبحار الحملة اتصال بالوزير المفوض البريطاني في طهران عن طريق المقيم العام لنقل رسالة إلى البلاط الإيراني جاء فيها أن اوامر حكومة الهند قد صدرت للرائد بيللي بأن يستدعي الشيخ المسئول عن البحرين ويحاسبه عن خرقه السلم في مياه البحار ، وعن هجومه دونما استفزاز على الشيخ علي بن خليفة الذي وضعته الحكومة البريطانية فوق عرش البحرين . وتلقى وزير الخارجية الإيرانية أخبار ما عمله المقيم في ما بعد في هدوء ، وذكر فقط أن حكومة إيران مهتمة بنفس قدر اهتمام الحكومة البريطانية بتحقيق السلام في مياه البحار وأنها بالتالي لا أسباب لديها للاعتراض على تأديب هؤلاء العصاة ، لكنه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أبدى امتعاضه من منع السلطات البريطانية الوكيل الإيراني من النزول إلى الجزر والتفاهم مع الشيوخ . وأعادت إيران الشكاية من هذا الأمر بصورة مبالغ فيها عن طريق السفير الإيراني في لندن .

وتلقى الشيخ عيسى بن خليفة -بعد توليه بوقت قصير- خطاباً من حيدر خان ضابط إقليم داشتي على الساحل الإيراني نصحه فيها بأن يضع نفسه تحت حماية الشاه ، لكن هذه الحادثة كانت بلا أهمية .

رأي حكومة الهند :

وفي خطابين مرفوعين لوزير الدولة في ٢٢ فبراير و ٢٠ مائو سنة ١٨٧٠ دفعت حكومة الهند عن نفسها اتهامات عدة وجهتها الحكومة الإيرانية لموظفيها . وفيما يتعلق بموقف الحكومة البريطانية من قضية إيران والبحرين فقد تناول الخطابان بالتفصيل ذكر المساوىء والاضرار التي تنجم عن تخلي بريطانيا عن إشرافها الدقيق على تحقيق السلم في مياه الخليج ، وأوضحا أيضاً فشل أية محاولة لوضع سياسة تشرك الحكومة الإيرانية في هذا العمل .

كما أشارت حكومة الهند إلى أن إيران التي ليست لها أية قوة بحرية على الاطلاق غير قادرة على تقديم المساعدات لبريطانيا العظمى في سبيل تحقيق السلم في مياه الخليج ، وهي أيضاً لا تستطيع أن تملأ مكانها في حالة خلو هذا المكان . وحتى لو كان الأمر على نحو آخر ، وكان لإيران هذه القوة البحرية ، فلا شك في أن تدخلها كان سيوقعها في نزاع مع سلطنة عمان ، والمشيخات العربية ، والدولة الوهابية وتركيا .. وكانت ايران تعادي هؤلاء جميعاً ، والحقيقة إن تأكيد إيران مزاعمها في البحرين قد أدى إلى صدور مثل هذه المزاعم من جانب تركيا وسواها من الدول . أما الحكومة البريطانية ، فقد كانت بمقتضى الأتفاقيات المعقودة بينها وبين المشيخات العربية ملزمة بالحفاظ على السلم في البحار ، وبتحصيل التعويضات عن أعمال العدوان في البحر . وكان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رأي حكومة الهند أن الحماية البريطانية على الخليج يجب ان ينظر اليها على أنها التزام أكثر منها حق للحكومة . وفي الخطاب الأخير من هذين الخطابين قالت حكومة الهند : « إننا اذا لم نكن مستعدين لمواصلة تأدية المهام التي تعهدنا بتأديتها فيجب أن تنسحب انسحاباً كاملا ، لكن عواقب هذا العمل ستكون وخيمة جداً ، لا بالنسبة لسمعتنا الدولية فقط بل لأمن الخليج وسلمه أيضاً ، ولرخاء القبائل المقيمة بجوار الساحل ، ولأرواح وممتلكات الرعايا الذين استقروا خلال فترة السلم التي سادت الخمسين سنة الأخيرة على هذه السواحل ، واستثمروا اموالا كثيرة في الغوص وراء اللؤلؤ والمتاجرة مع الارض القريبة .. إننا لا نستطيع أن نتصور الأحداث على هذا النحو ولا نظن أن حكومة صاحبة الجلالة سترضى عن ذلك » ويبدو ان الحكومة البريطانية لم تعارض هذه النتيجة .

★ ★ ★

احتجاج الباب العالى على أعمال الحكومة البريطانية في البحرين

وقدم السفير التركي في لندن احتجاجاً جديداً على تصرفات الحكومة البريطانية في البحرين جاء فيه أن هذه الاجراءات تمثل « سيادة بريطانيا على أرض هي جزء من الاراضي التركية في الحقيقة .. » ، ورداً على هذا أبلغ الوزير المفوض العثماني أن الحكومة البريطانية لا تستطيع الأعتراف بمزاعم تركيا في السيادة على البحرين .

★ ★ ★

الشيخ عيسى بن علي ابتداء من سنة ١٨٦٩

ولقد اضطرب أيضاً خلال السنوات التالية حكم الشيخ عيسى بن علي ، الذي بدأ وسط الظروف العاصفة التي ذكرناها في ما سبق . وجاء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاضطراب نتيجة مشروعات التوسع من جانب الباب العالي وكذلك وجود إقليم تركي في الارض المتاخمة للجزر ، وكانت الحكومة البريطانية ، على أية حال ، ما تزال تقدم للبحرين حمايتها ضد أي محاولة ضم لها من جانب تركيا ، وفي سنة ١٨٩٥ ، وحين قامت القوات البحرية البريطانية باحباط محاولة للهجوم على جزر البحرين من جانب القبائل العربية التي حرضها الأتراك تلاشت المخاوف من غزو البحرين من جانب الأتراك تماماً .

★ ★ ★

الحالة الناجمة عن ضم تركيا للاحساء
١٨٧١ ـ ١٨٧٢

منع الحملة التركية على الاحساء من الاقتراب من جزر البحرين ١٨٧١

صحبت احتلال تركيا للأحساء أعراض واضحة لرغبة الباب العالي في أن يضم اليه كل الأقاليم التي كان للوهابيين سيطرة عليها ، ولو لفترة قصيرة عابرة ، ومن هذه الأقاليم جزر البحرين بطبيعة الحال . وفي سنة ١٨٧٠ قدم مدحت باشا والي بغداد صياغة محددة لمزاعم تركيا في البحرين ، فقال ان « البحرين وتوابعها » كانت تابعة (لقائمقام نجد) ، وإنها أصبحت بالتالي تابعة للامبراطورية العثمانية ، وفي سنة ١٨٧١ تلقى المقيم البريطاني في بغداد معلومات مؤداها أن الحملة المقترحة على نجد لو نجحت فستوجه تركيا اهتمامها مباشرة للبحرين وعمان المتصالحة وسلطنة عمان . وأدت الاحتجاجات الفورية من قبل ممثل الحكومة البريطانية في القسطنطينية في إبريل ومايو ١٨٧١ إلى إنكار المسئولين الأتراك وجود مثل هذه المخططات لديهم ، وتلقى قادة الحملة التركية تعليمات من حكومتهم تمنعهم من الاقتراب من جزر البحرين . وفي نهاية مايو ١٨٧١ صدرت التعليمات للرائد بيــــلي ، المقيم السياسي البريطاني ، بزيارة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البحرين مع سفن صاحبة الجلالة «مجباي» و «بولفنش» و «هيو روز» لإبلاغ الشيخ الذي طلب نصيحة الحكومة البريطانية وحمايتها بهذه التأكيدات من جانب الباب العالي ، ووعده بأنه لو استمر في الالتزام باتفاقية سنة ١٨٦١ فان الحكومة البريطانية ستظل من جانبها وفية بالتزاماتها نحوه .

قتل مبعوث تركي في البحرين ١٨٧١ :

وفي مرحلة مبكرة من أعمال تركيا في الأحساء ارتبط المتمرد البحريني ناصر بن مبارك بالحملة التركية ، وعمل كوسيط للتفاهم والاتصال بالقبائل العربية في الأقاليم المجاورة . وفي أغسطس او سبتمبر ١٨٧١ استخدم ناصر بن مبارك رجلا من قبيلة بني هاجر ليحمل رسالة من القائد التركي في الأحساء لجاسم بن محمد شيخ آل ثاني في الدوحة بقطر ، وبسفاهة ، ركب هذا المبعوث سفينة كويتية مرت بعقارية على ساحل البحرين ، وهناك –كما قيل– تعرف عليه بعض أهل البحرين ، وعرفوا أنه من الذين اشتركوا في قتل الشيخ علي بن خليفة أثناء غزو سنة ١٨٦٩ ، فقتله بعض هؤلاء البحرانيين ، ومن بين الخطابات التي وجدت مع جثته ، وسلمت لشيخ البحرين الذي فتحها بنفسه خطاب من ابى ناصر بن مبارك الى الشيخ جاسم في الدوحة جاء في سطوره : « إن الحكومة التركية مهتمة اهتماماً كبيراً بقطر والبحرين وسواهما من الاماكن ومهتمة بتخليصها من أعدائها لإشاعة الفرح بين أصدقائها وإن شاء الله ستصلكم قريباً أخبار تسرون لها » . وأعيد خطاب القائد التركي –دون ان يفتحه أحد– إلى صاحب السفينة الكويتية الذي حمله معه. إلى نهاية رحلته . وسادت الخشية في بادىء الأمر من ان تستغل تركيا هذه الحادثة كمبرر لإعتداء على البحرين ، واتخذت الاحتياطات من جانب الحكومة البريطانية والسلطات البريطانية المحلية لاجبار الأتراك على استخدام

(●) اسماء السفن الحربية الثلاث مجباى ، وبولفنش وهيو روز .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوسائل الديبلوماسية ، لالغة القوة ، في هذه الحادثة . ومن بين هذه الاحتياطات مذكرة رفعت عن طريق المقيم البريطاني في بغداد إلى مدحت باشا ـ الذي كان آنذاك في طريقه للتفتيش على الإقليم التركي الجديد في الأحساء ـ تذكره السلطات البريطانية فيها بوعد الحكومة التركية بعدم التدخل في شئون البحرين . وأخيراً وصل قائد بحري تركي إلى البحرين على ظهر سفينة صغيرة وقارب مسلح وطلب التعويض من شيخ البحرين في ٢٢ نوفمبر ١٨٧١ ، وأجيب بخطاب ودي إلى مدحت باشا كتبه الشيخ فيما يبدو بنصيحة من الرائد بيــلي الذي وصل فجأة الى البحرين . وفي هذه الرسالة أعرب الشيخ عن أسفه لانه لم يبلغ بقيام حكم تركي مباشر في الأحساء ، ولأن رجلا ينتمي الى قبيلة معادية لأهل البحرين قد اتصل بناصر بن مبارك الذي اختاره مبعوثاً حمّله الرسائل وسمح له بالنزول إلى البحرين ، وطلب هذا الرجل ضرورة السماح له بمواصلة رحلته دون اعتراض من جانب أحد مثبتاً بذلك علاقته بالأتراك ، واخيراً .. فقد وجد ان الرجل الذي اختارته الحكومة التركية لحمل رسالتها كان يحمل أيضاً رسالة لشيخ في قطر ذكر فيها صراحة أن الباب العالي يود ان يضم اليه البحرين .

وانسحب الرائد بيــــلي بعد ذلك إلى بوشهر وترك الميجور جرانت المساعد الأول للمقيم في البحرين يراقب الأحداث عن قرب ويواجه أية محاولة للاعتداء من جانب تركيا . ورد مدحت باشا على الخطاب فبذل كل جهده لتفنيد الاعتراضات المرفوعة فيه ، وختم خطابه بطلب مبلغ «١٠ آلاف درهم من الفضة الخالصة» تعويضاً مشروعاً كدية الرجل القتيل على أن تدفع للشيخ جاسم قائمقام قطـر في الدوحة ، وحاول مدحت باشا في خطابه أيضاً الايهام بأنه مفوض باستخدام القوة في حالة الرفض . وفي نهاية يناير ١٨٧٢ رد شيخ البحرين وفق نصيحة الرائـد بيـــــلي على هـذا الطلب باقتراح تسوية الأمر عن طريق إرسال مندوبين . وهو إجراء كانت الحكومة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البريطانية على استعداد لقبوله بشرط عدم اللجوء إلى وسائل الضغط واستعراض القوة . لكن الأتراك من جانبهم لم يتقدموا خطوة أخرى .

طلب الاتراك تسليم قاربين ١٨٧١

وفي ديسمبر ١٨٧١ ، وقبل ان تنتهي حادثة صاحب الرسالة هذا نهائياً كتب القائمقام التركي في القطيف إلى شيخ البحرين يطلب –باسم المقيم في قطر– تسليم قاربين كان سعود أمير الوهابيين قد قدمهما لبعض أهل البحرين قبل وصول الأتراك الى الأحساء . وبعد عدة مراسلات كان القائمقام يتحدث فيها جميعاً بلهجة مليئة بالأمر والتعالي عرض الشيخ عيسى وفق نصيحة الرائد بيـــــللي تسليم القاربين بحضور المسئولين البريطانيين لاي شخص يرسله والي بغداد لتسلمهما ، وكان الدافع وراء هذا الاقتراح أساساً هو الشك في شرعية المصدر الذي حصل منه سعود على هذه القوارب .

منع العدوان التركي ١٨٧١ – ١٨٧٢

ونضيف هنا أن مدحت باشا قد طلب إلى عدد من وجهاء تجار اللؤلؤ في القطيف قبل عودته إلى العراق بحث إمكانية تقديم التماس بضم البحرين الى تركيا يوقعه ٥٠ أو ٦٠ رجلا من كبار التجار وغيرهم من الوجهاء في الجزر ، وكشف هذا الاتجاه العام لأعماله عن نواياه أو على الأقل رغباته بالنسبة لجزر البحرين . وقد أدى الموقف الحازم الذي وقفته الحكومة البريطانية في هذا الصدد ووجود السفن الحربية البريطانية بشكل دائم في الخليج إلى منع أي تدخل فعلي من جانب الأتراك في المنطقة ، وثبت أن هذه الطريقة فعالة وذات نتائج حاسمة في منطقة الخليج كلها لصد المزاعم والاطماع التركية فيها .

وفي بداية سنة ١٨٧٢ ، تم الحصول على تأكيد من حكومة الباب العالي بعدم إحداث أي تغيير في سياستها بالمنطقة ، وانكرت أي أطماع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في امتداد سيطرتها على « القبائل العربية المستقلة » في الخليج ، ولكن أثناء معظم هذه السنة ، ظل مساعد المقيم السياسي البريطاني مقيماً في البحرين .

★ ★ ★

التاريخ العام للبحرين من ضم تركيا للاحساء حتى محاولة غزوها من البر ١٨٧١ ـ ١٨٩٥

أحداث شتى في البحرين ١٨٧١ :

وفي أغسطس سنة ١٨٧١ زار عبد العزيز ابن الامير سعود أمير الوهابيين السابق البحرين واستقبله الشيخ استقبالا حافلا . وفي أكتوبر سنة ١٨٧١ حدث سوء تفاهم بين الشيخ عيسى واثنين من أشقائه نتيجة زعم هذين بأن لهما الحق في نصف عوائد الإمارة لا ثلثها فقط ، ويبدو أن الشيخ آثر الرضوخ لهذا الطلب على ان يجد نفسه في وضع مزعزع في وقت اشتدت فيه حدة خلافاته مع الاتراك .

تهديدات بغزو البحرين ومشكلة الزبارة في قطر ١٨٧٤ :

ولم تقع حادثة تستحق الذكر من ذلك الحين حتى سنة ١٨٧٤ حين بدأت المخاوف في صيف هذه السنة من نزول قبائل قطر الى جزر البحرين . وكان هذا الخطر شيئاً مخيفاً ما دامت مدينتا المنامة والمحرق مفتوحتين ، وليس لدى الشيخ أية قوات مسلحة سوى عدد قليل من الحرس فلقد أهمل اتخاذ الاحتياطات الدفاعية الضرورية وأصبح يركن لحماية الحكومة البريطانية : ويبدو ان ناصر بن مبارك ـ الذي كان يعيش في الأحساء معتمداً على الأتراك ـ كان احد المسئولين عن هذه الحركة العدائية ، ويجب أن نذكر هنا أيضاً أن السلطات البريطانية رفضت طلباً قدمه ناصر لشيخ البحرين لاستعادة بعض ممتلكات أبيه في الجزر .

وفي اغسطس من نفس السنة تجمع حوالي ٣٠٠ أو ٤٠٠ رجل من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بني هاجر على ساحل قطر يقودهم أقارب ناصر بن مبارك ، وبذلوا جهداً كبيراً للحصول على قوارب للنزول كالقراصنة على جزر البحرين، لكن الشيخ جاسم شيخ الدوحة لم يكن موفقاً في هذا العمل ، وقد أحبطه أيضاً وجود سفينتي البحرية الهندية «ماي فرير» و هيو روز » ، واخيراً استطاع هؤلاء الغزاة أن يحصلوا على عدة قوارب من الدوحة ونهبوا سفن البحرين التجارية لكن السفن البريطانية منعتهم من الاقتراب من الجزر .

وفي نفس الوقت وصلت سفن صاحبة الجلالة « نيمبل » ، و « مجباي » إلى خارج البحرين ، وتقرر إبقاء سفينة من البحرية الملكية في البحرين حتى ينتهي الخطر ، واقترحت حكومة الهند ايضاً على حكومة صاحبة الجلالة أن تطلب إلى الباب العالي أن يمارس سيطرته على القبائل المتمردة ما دامت تابعة لسيطرة تركيا . وحين صد بنو هاجر عن العمليات في البحر تحولوا إلى الزبارة على ساحل قطر وهي قرية وقلعة بني نعيم حلفاء شيخ البحرين ، لكن الحامية الصيفية الصغيرة التي كانت موجودة فيها استطاعت أن تصمد ببسالة للغزاة حتى لحقت بها نجدات من قبائلهم الذين عادوا فجأة وبأعداد كبيرة من البحرين وشواطىء اللؤلؤ وأوقعوا هزيمة قاسية بالمعتدين . وتردد وقتها أن براك بن عرير —وهو من رجال القبائل وكان يحكم الأحساء كمتصرف تابع لتركيا— قد ساعد على إذكاء هذه الاضطرابات ، لكن الرائد روس المقيم السياسي في الخليج تلقى تعليمات بعدم الالتجاء الى اية سلطة تركية محلية بهذا الصدد ، وان يقصر جهده فقط على حماية مصالح البحرين ، والالتزام بتنفيذ تعهدات بريطانيا لها . ولعلّه نتيجة المساعي الديبلوماسية التي بذلت في القسطنطينية قام القارب التركي المسلح « اسكندرية » بزيارة لساحل قطر ليتحرى تلك الاضطرابات بين القبائل ، ولم يمض وقت طويل حتى عاد ناصر بن مبارك المرهوب الجانب فغادر الأحساء وظهر على ساحل قطـــــر ، ومنها كتب إلى الرائد روس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يلتمس منه الا تحرمه الحكومة البريطانية من الحصول على حقوقه المشروعة في البحرين ، لكنه أبلغ في الرد على طلبه بأن اية محاولة من جانبه للعدوان على البحرين سوف تقابها الحكومة البريطانية بمعارضة حاسمة . وحين وصلت الامور هذا الحد طلب شيخ البحرين من الرائد روس السماح له بتقديم التعزيزات لحلفائه بني نعيم في الزبارة ، الذين كانوا ـ كما يعتقد ـ في خطر عظيم ، ومنح له هذا الإذن بشرط أن يقتصر عمله على الإجراءات الدفاعية فقط . وصدوراً عن رأى حكومة الهند الذي تبنته سنة ١٨٧٣ (١) بأن شيخ البحرين لاحق له في السيادة على أي جزء من الأرض خارج الجزر ، وأن حقوقه هذه التي يزعمها أمر غير مؤكد ، ذكر الرائد روس في تقريره سنة ١٨٧٣ أن كل ساحل قطر قد وقع تحت النفوذ التركي ، وصدرت له التعليمات بأن يجبر شيخ البحرين على عدم التدخل في الأرض المجاورة لجزره نظراً للشك في طبيعة حقوق السيادة التي يزعمها . وأن يطلب منه عدم التدخل في هذه الارض ومشكلاتها ، وان يعتمد اعتماداً مطلقاً على حماية البحرية البريطانية .

العلاقات التالية لشيخ البحرين بالزبارة ١٨٧٥–١٨٧٧ :

وفي بداية سنة ١٨٧٥ كان القتال ما زال دائراً حول الزبارة بين أهلها من بني نعيم وبين بني هاجر لكن شيخ البحرين ابتعد عن هذا القتال حسب نصيحة السلطات البريطانية بقدر الإمكان . وقد أشرنا في تاريخ قطر الى زعمه بالسيادة على أرض قطر كلها واحتجاجه على تقييد السلطات البريطانية له . وفي أغسطس ١٨٧٥ وحين نمي إلى علم الشيخ أن بحارة من بني هاجر قد خرجوا إلى البحر لارتكاب عمليات

(١) في سنة ١٨٧١ طلبت حكومة بومباى من الرائد بيللى اعداد تقرير عن مشكلة السيادة على قطر ، لكن الرائد بيللى طلب السماح بارجاء هذا التقرير نظرا لاحتمال انسحاب الاتراك من الاحساء ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قرصنة، سمح له بارسال خمس سفن مسلحة يقودها شقيقه أحمد لكنها غادرت البحرين بحثاً عن القراصنة بعيداً وراء حدود مياهه الإقليمية، ومرة أخرى استنكرت حكومة الهند هذا العمل الذي يكاد يقرب من العدوان من جانب الشيخ . وفي خريف ١٨٧٧ تبين ان الشيخ كان ما زال على علاقات وثيقة ببني نعيم في الزبارة ، فكان يعينهم ، ويقدم لهم المساعدات ويسمح لهم بزيارة البحرين وقد جعل أكثر من مائة رجل منهم بين حرسه الخاص ، بل وسمح لهؤلاء الذين يعملون في خدمته بالعودة إلى الزبارة في حالة وقوع أي تهديد عليها ، ومرة أخرى القى بالامدادات والتعزيزات في الزبارة نفسها . ولم تكن كل هذه الامور خافية على أي حال ، وحين ذكرها الرائد روس في تقريره أشار إلى أن الشيخ لو سحب عونه عن بني نعيم فمن المحتمل أن ينضموا إلى بني هاجر . وقررت حكومة الهند أن تنتهي المسألة عند هذا الحد .

وخلال ١٨٧٥ و ١٨٧٦ ساد السلام والرخاء في البحرين ، وحدثت مجرد زيارات عديدة من جانب السفن الحربية البريطانية للبحرين كزيارة مساعد المقيم لها غير مرة واحدة على ظهر سفينة المقيمية ، وحدثت حادثة اغتيال سياسي او حادثتان .

أعمال غير مشروعة لسفن البحرين في البحر ١٨٧٨ : ...

وانعكست علاقة البحرين بالزبارة على سلوك رعايا البحرين في البحار وقد استقبل شيخ البحرين عيسى بن علي شيخ الزبارة وابنه استقبالا حافلا بعد انقضاء عدة أسابيع فقط على ارتكاب رعاياه حادثة قرصنة عنيفة على قارب في عرض البحر ، وحدث غير حادثة واحدة فيها مجال للشكوى . ففي ٢ سبتمبر ١٨٧٨ عبرت سفينتان تابعتان للبحرين تحملان ٥٠ رجلا مسلحاً كانتا في جولة حول هذه الجزر إلى ساحل الظهران ، وبعد عدة مناوشات مع البدو هناك استطاعت السفينتان الاستيلاء على أحد القوارب . ومرة أخرى في ٤ سبتمبر أرسل الشيخ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اسطولا من ثلاث سفن كي يراقب منطقة فشت الديبل ، لكنل بدل أن يتجه إلى هذه المنطقة سار إلى رأس رَكنَ ، وأطلق نيرانه على سفينتين هناك رفضتا التوقف حين أصدرت اليهما الأوامر بذلك وجرح واحد من البحارة . وقد ثبت أن الذين وقعت عليهم الخسارة في هذه الحادثة الأخيرة من رعايا شيخ ابو ظبي ، وأرغم المقيم العام شيخ البحرين بالتالي على الاعتذار لشيخ أبو ظبي ودفع التعويض للرجل الجريح إلى جانب إيقاع العقاب برجاله المسئولين عن ارتكاب كلتا الحادثتين ، ويبدو أن هذه القوارب كانت تستخدم لحراسة البحار بين البحرين والإقليم الساحلي لقطر حيث يمكن للأخطار في أية لحظة أن تهدد البحرين إذا تجمعت حول منطقة الزبارة .

سقوط الزبارة ١٨٧٨ :

وفي نوفمبر ١٨٧٨ –وكما ذكرنا بالتفصيل في تاريخ قطر– دمرت مستعمرة بني نعيم في الزبارة تدميراً تاماً نتيجة تحالف ضدها بين بدو شيخ آل ثاني في الدوحة واللاجىء البحريني ناصر بن مبارك . ومرة أخرى ثبت أن مخاوف غزو البحرين لا تقوم على أساس . وخلال هذه الأزمة قامت السفن البريطانية بمراقبة دقيقة لأمن البحرين وسلامتها ، ووزعت قوارب الشيخ المسلحة في مواقع مختلفة حسب توجيهات السلطات البحرية البريطانية ، ولم يتجاوز إلا القليل منها ، كما سنذكر لاحقاً ، التعليمات الصادرة لها . واحتج شيخ البحرين الذي قطع على نفسه عهداً بتقديم العون لبني نعيم في الزبارة احتجاجاً عنيفاً على سياسة السلطات البريطانية بالوقوف بيدين مكتوفتين ، ولا شك في أن اختفاء منطقة الزبارة من ساحل قطر كان يعني تهديد البحرين بخطر الغزو من البر مباشرة ودون إنذار . أما بنو نعيم الذين أصبحوا بلا مأوى ، وكان عددهم يتجاوز ٣٠٠ نسمة فقد لجأوا إلى البحرين فيما بعد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شيوع القرصنة واضطراب الامن عموماً في البحرين ١٨٧٨ – ١٨٧٩ :

وفي نفس الوقت ، وكما ذكرنا في تاريخ الأحساء ، تعددت حوادث القرصنة التي كان يرتكبها بنو هاجر في مياه البحار المجاورة للبحرين ، وفي نفس الوقت حدثت موجة من السرقات المسلحة والقتل ، وكانت أخطر عصابات البحرين من المجرمين هي التي يتزعمها رجل يدعى علي بن جابر القى القبض عليه في ما بعد . وبعد أن قطعت أيدي علي وأربعة من أعوانه كعقاب لهم ، استطاع هذا الفراز –قيل برضا شيخ البحرين– والتحق ببني هاجر . وفي ١١ فبراير ١٨٧٩ ، وبارشاد من علي بن جابر هذا خرجت عصابة من ثلاثين رجلا من بني هاجر من الظهران ، وأغاروا على عقارية على الساحل الغربي للجزيرة الكبرى وقتلوا مواطناً من البحرين .

إجراءات السلطات البريطانية في البر والبحر ١٨٧٨ – ١٨٧٩ :

أما الإجراءات التي اتخذتها الحكومة البريطانية لقمع القرصنة فهي مذكورة تفصيلا في مكانها الطبيعي وهو تاريخ الأحساء ، ونكتفي هنا بالإشارة إلى أن سفينتي صاحبة الجلالة « سبارتانتا » و «فليتشر » اتخذتا لهما قواعد في مياه البحرين زمناً ، وان هذه السفينة الأخيرة استطاعت أن تستعيد من القراصنة أربع سفن لمواطنين من البحرين ردتها السلطات البريطانية لاصحابها .

ولإعادة السلام في البر صدرت الأوامر للكابتن دوراند مساعد المقيم السياسي بالإقامة موقتاً في البحرين ومعه فرقة من المشاة الهنود ، وقد ظل مقيماً بها حتى إبزيل ، وفي ذلك الوقت تحسن الموقف تحسنا كبيراً ، وقد درس الكابتن دوراند خلال إقامته في البحرين الاحوال المحيطة به وكتب عنها تقريراً هاماً ضافياً ، ومن ١١ الى ١٨ مارس ١٨٧٩ كان الرائد روس المقيم السياسي موجوداً في البحرين ،

والتقى بالشيخ غير مرة ناقشه فيها موضوعات كثيرة . وأفصح الشيخ عيسى عن أمله في أن تسلم اليه السلطات التركية المجرم الفار علي بن جابر الذي كانت هذه السلطات قد قبضت عليه وأرسلته إلى الهفوف ، وكذلك طالب بالإستيلاء على جزيرة زخنونيه التي أصبحت ملجـأ للقراصنة ، أو تركها غير مأهولة بالسكان ، وأن تطلب له السلطات البريطانية التعويضات عن الخسائر التي اوقعت برعايا البحرين على الساحل التركي وقد أشار إلى نيته إيقاع العقاب بالدواسر في البحرين الذين اتهمهم بالخيانة والتواطؤ مع بني هاجر . وفيما يتعلق بجزيرة زخنونيه فقد أبلغ عن طريق المقيم العام بأن رغبته قد رفعت إلى السلطات التركية التي تتبعها الجزيرة. أما بالنسبة لاعتزامه إيقاع العقاب بالدواسر فقد نصحه المقيم بأن يفعل ما شاء بشرط ألا يحدث اضطرابات في البحرين . أما طلب تسليم المجرم علي بن جابر فقد رفع إلى والي البصرة ، وتمت أخيراً إجابته إليه . وفي ١ اكتوبر ١٨٧٩ هدأت الحالة هدوءً سمح للشيخ عيسى بأن يسير إلى مكة للحج ، ولم يعد منها حتى يناير من العام التالي .

وفي ديسمبر ١٨٧٩ تضايق شيخ الدوحة لهجرة آل بوكواره من الدوحة إلى الفويرط ، ولما كان شيخ البحرين متهماً بتحريضهم فقد أصبح من الضروري تذكير الشيخ أحمد بن علي ، الحاكم المؤقت باسم أخيه أثناء غيابه ، بمنع بريطانيا تدخله في مشاكل البر .

استعدادات من جانب ناصر بن مبارك للهجوم على جزر البحرين ١٨٨٠ :

وفي صيف ١٨٨٠ انتشرت إشاعة بأن ناصر بن مبارك الخارج على القانون ، والذي أصبح الآن زعيم فرع آل عبدالله من الأسرة الحاكمة في البحرين ، سيحاول غزو جزر البحرين . ويجب أن نلاحظ أن ناصراً كان الآن قد تزوج بابنة الشيخ جاسم شيخ الدوحة في قطر ، الذي رحب بالزواج فرحاً بخلاصه من الاضطرار لعونه ، ولعله أمل في أن يستقل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عنه بنفسه في البحرين ، كما يبدو أيضاً أن المسئولين الأتراك في الأحساء كانو مهتمين بما يعمله ناصر ، وكانت الحكومة التركية تدفع له راتباً قدره ٦٠ روبية كل شهر ، وكان نجاحه في حملته هذه يقدم لتركيا فرصة نادرة —لم تحدث من قبل— لإعادة سيادتها على البحرين .

ولم تحدث أية خطوة عملية حتى بداية ديسمبر سنة ١٨٨٠ حين ظهر حوالي ٦٠٠ رجل من بدو قبائل بني هاجر وآل مرة والمناصير في الرويس وأبو الظلوف ، وكانوا سيعبرون الخليج في قوارب سكان هذه المناطق لو لم يرفض هؤلاء ذلك . وفي نفس الوقت اتخذت ترتيبات ارسال سفينة حربية بريطانية إلى هذا المكان ، وسرعان ما قامت سفينة صاحبة الجلالة «بيكون» بزيارة لساحل قطر ، والسفينة «وودلارك» بزيارة البحرين .

عمل السلطات البريطانية ١٨٨١ :

وبعد هذه الأحداث ، كتب ناصر بن مبارك والشيخ جاسم شيخ الدوحة خطابات إلى المقيم البريطاني ، يلتمسان فيها السماح لناصر بالعودة إلى بيته وأملاكه في البحرين ، غير أن الرائد روس رد عليهما بأن وثيقة الملكية التي قدمها ناصر غير معترف بها ، وأن حكومة البحرين لا تسمح له بالحركة خارج حدود قطر . كذلك أصدرت الحكومة تعليمات فيما بعد للرائد روس لتحذير شيخ الدوحة ولفت نظره إلى أنه سيتحمل المسئولية كاملة إذا اشترك في أي عمل عدائي ضد البحرين ، وهي مسئولية كان الشيخ جاسم يخشى أن يجد نفسه قد تحملها كاملة . كذلك أصدرت التعليمات للمقيم البريطاني في بغداد لإبلاغ السلطات التركية هناك رسمياً بأنها اذا لم تتعهد بمنع وردع أي هجوم يقع علي البحرين من الجزء الساحلي الذي تزعم هذه السلطات السيادة عليه .. فان حكومة الهند ستجد نفسها مضطرة —من أجل حماية البحرين والمطالبة الضرورية بالتعويضات عن الأضرار الناجمة— لأن تتولى هي مسئولية الامر كله بين يديها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهدوء يسود الموقف بشكل عام .. وأمور أخرى ١٨٨١–١٨٨٨ :

وبعد هذه الأحداث عاد الموقف إلى الهدوء ، ونشأت حالة من فقدان الثقة بين شيوخ الدوحة وشيوخ البحرين نتيجة ما تردد من أن شيوخ الدوحة ينتوون تقديم المساعدات لإقامة آل نعيم من الزبارة في الفويرط ، لكن هذه الشكوك والمخاوف تبددت في ديسمبر سنة ١٨٨١ خلال لقاء ودي تم في قطر(١) بين الشيخ جاسم وأحمد بن علي شقيق الشيخ عيسى ، بل إن أحمد بن علي تزوج بابنة ناصر بن مبارك .. غير أن هذا الزواج لم تكن له أية دلالة سياسية .

وفي نفس السنة حدث نوع من السخط من جانب أبناء الشيخ السابق محمد بن خليفة الكثيرين ، فغادروا البحرين إلى قطر ، ولكن المساعي الحميدة من جانب المقيم البريطاني استطاعت عقد الصلح وإقناعهم بالعودة إلى البحرين .

١٨٨٢ :

وفي سنة ١٨٨٢ حج أحمد بن علي –شقيق الشيخ عيسى– للمرة الثانية إلى مكة .. وزار المقيم العام البريطاني البحرين غير مرة واحدة .

١٨٨٣ :

وظل الهدوء في الداخل سائداً خلال سنة ١٨٨٣ ، لكن بعض الاعتداءات قد حدثت في البحر –ربما من سكان ساحل الأحساء– لأن الشيخ عيسى طلب حين قام بزيارة لبوشهر على ظهر سفينة صاحبة الجلالة «وود لارك» الإذن له بالقيام بتأديب القراصنة في الأرض المجاورة . ورد المقيم بايضاح الأسباب التي تجعل إجابة مثل ذلك المطلب أمراً مستحيلا .. وحدث نوع من السخط بين سادة الحد الذين هددوا

---

(١) انظر تاريخ قطر .. ويبدو أن أحمد بن علي نجح في أن يجعل الشيخ جاسم يعامله معاملة الصغير للكبير .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في وقت ما بالهجرة إلى جزيرة تاروت ، لكنهم لم يفعلوا . وقد قام شقيق لأمير الكويت بزيارة البحرين في هذه السنة ، واستقبل استقبالا كريما .

١٨٨٤ :

وفي سنة ١٨٨٤ أصبح من الجلي أن البحرين تمر بمرحلة تزايد في الثروة والرخاء نتيجة عدة سنوات متواصلة لم يتهدد فيها السلم ، وعلى حين ظل بنو نعيم على موقفهم من حكومة البحرين .. فقد كانت الهدايا تُتَبادل بين الشيخ عيسى والشيخ جاسم . ورفض المقيم البريطاني التماساً قدمه ناصر بن مبارك لاستعادة أملاكه من النخيل في البحرين . وقام أحمد شقيق شيخ البحرين بزيارة البصرة في سبتمبر من نفس السنة .

وقام محمد بن سعود –أحد أفراد الأسرة الوهابية الحاكمة– بزيارة للبحرين سنة ١٨٨٦ ورجع إلى البر محملا بالهدايا ، وفي نفس السنة أيضاً قام عبدالله بن سعود –من نفس العائلة– بزيارة أخرى . ووصلت إلى شيخ البحرين هدايا من الحاكم الإيراني في لار ، لكنها ردت إلى مرسلها. وظل بنو نعيم في قطر على صداقتهم ، غير أن هذه الصداقة كانت تُشترى بتضحية جانب كبير من العوائد العامة للبحرين لم يكن هناك ما يقابلها من هذه القبيلة .

١٨٨٧ :

وبمناسبة يوبيل صاحبه الجلالة الملكة فيكتوريا في سنة ١٨٨٧ –ونتيجة وساطة الباب العالي أيضاً– أطلقت السلطات البريطانية سراح شيخ البحرين السابق محمد بن خليفة من سجنه في عدن شريطة أن يقيم بصفة دائمة في مكة أو المدينة . ونضيف هنا أيضاً أنه تقدم في سنة ١٨٨٩ يطلب الترخيص له بالرجوع إلى البحرين –ولم يوافق على هذا الطلب– أو زيادة دخله ، وقد رفض هذا ايضاً لأنه كان يتلقى معونات مالية من الحكومة التركية . ومات محمد بن خليفة في مكة سنة ١٨٩٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٨٨٨ :

وفي سنة ١٨٨٨ عمد الشيخ جاسم في الدوحة ربما نتيجة المشاكل التي يواجهها مع بني ياس في عمان المتصالحة ، وكمحاولة لضمان مصالح أمواله التي يستثمرها دائماً في البحرين –عمد إلى كسب مودة حاكم البحرين ، فأرسل اليه وفداً على رأسه ابنه عبدالله .. وتم الوصول إلى صلح وعلاقة ودية في اتفاقية ذات نصوص غامضة .

موت احمد بن علي ١٨٨٨ :

ومات أحمد بن علي –شقيق الشيخ عيسى– بالجدري في أكتوبر سنة ١٨٨٨ ، وضعف مركز الشيخ الحاكم كثيراً بعد هذا الحدث ، لأنه كان قد اعتاد الاعتماد على نصح أحمد وعونه في كل أمر من اموره ولأنه كان في ذلك الوقت يفتقد السرعة ، والحسم في الأمور على حين كان أحمد –رغم انشغاله باللذائذ والرياضة– على جانب من القدرة وقوة الشكيمة ، وكان موضع خشية أيضاً نتيجة حسمه وصلابته . وتقاعد في نفس السنة أيضاً عبد الوهاب –قريب الشيخ الحاكم ووزيره– لتقدمه في السن وخلفه في البداية ابنه عبدالرحمن الذي كان من رعايا تركيا ، وكان بيته في دارين بجزيرة تاروت . وبعد موت أحمد بدأت قبائل كثيرة في أرض قطر والأحساء تضايق البحرين –بتحريض من ناصر بن مبارك– مستفيدة من مخاوف الشيخ عيسى ، فكانت تستولي منه على الهدايا في مقابل الامتناع عن ناصر بن مبارك ، بل استطاع عدد من هؤلاء الزوار غير المرغوب فيهم الحصول على تراخيص بالمرور إلى البحرين .. من شيخ سيهات أو من الشيخ عبد الوهاب الوزير السابق ، ليقيموا بها حتى يستطيع مضيفهم تدبير اموره . وبعد موت الشيخ أحمد ، استرد الشيخ عيسى نصيبه من عوائد البحرين –وكانت تبلغ نصف عوائد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإمارة كلها- في مقابل تخصيص مبالغ شهرية لأولاده الكثيرين .. وسينجم عن هذا العمل بعض المشاكل كما سنرى لاحقاً .

١٨٨٩ :

وفي سنة ١٨٨٩ حدثت هجرة عدد كبير من بني نعيم وبني السلطة من قطر إلى جرر البحرين .

١٨٩١ :

وبعد معركة بريده التي حدثت سنة ١٨٩١ وانتصر فيها ابن رشيد على عبدالرحمن أمير الوهابيين في نجد ، لجأ هذا الاخير موقتاً إلى البحرين

١٨٩٢ :

وفي ١٨٩٢ كان ثمة خوف من حدوث غزو للبحرين من قِبَل الشيخ جاسم في الدوحة وناصر بن مبارك من قطر ، فقيل إنهما هناك يجمعان الرجال ويتخذان الترتيبات للغزو .. وبلغ هذا الفزع حداً جعل رعايا الهند البريطانية المقيمين في البحرين ينقلون أمتعتهم وممتلكاتهم الثمينة إلى ظهور القوارب في ميناء المنامة ، وكتب المقيم البريطاني خطابات تحذير إلى زعماء هذه الحركة ، وتم الحصول على وعد من الوالي التركي في البصرة بأن يأمر أنصاره في الأحساء بمنع هذا الغزو المرتقب .. لكن أخيراً .. عاد ناصر بن مبارك بهدوء من قطر إلى الأحساء وكان في ذلك الوقت منهمكاً في البحث عن مقر ثابت تستطيع قبيلة بني هاجر أن تقيم به ، ويبدو أن زيارته اللاحقة للكويت كانت ذات صلة بهذا الهدف .

١٨٩٤ :

وفي سنة ١٨٩٤ أصاب الجدري الشيخ عيسى لكنه شفي منه في شهر يونيو من نفس السنة . وفي اكتوبر انتشرت شائعات جديدة عن اعتزام ناصر بن مبارك النزول إلى جزر البحرين ، وأرسل المقيم البريطاني خطاب تحذير إلى الشيخ جاسم شيخ الدوحة ، وكان من المعتقد به أن ناصراً -دون مساعدة الشيخ جاسم- لا يستطيع أن يحقق شيئاً .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

علاقات تركيا بالبحرين خلال نفس الفترة
١٨٧١ ـ ١٨٩٥

تكشف لنا مراجعة تاريخ إمارة البحرين ـ بشكل عام ـ عن تلهف تركيا لتحقيق سيطرتها على البحرين ، لكن ثمة دلائل للسياسة التركية لم نشر اليها بعد . ولما كانت البحرين هي في حقيقة الأمر ميناء الأحساء على المحيط ، وكانت أيضاً مأوى لكل هؤلاء اللاجئين من الساحل التركي .. فلا شك في أن بقاءها مستقلة كان امراً لا تستريح اليه السلطات العثمانية . ولم يكن بوسع الأتراك إلا السخط على وسائلهم في حكم أرض الأحساء ، ومن هنا فانهم كانوا يتصورون أن استيلاءهم على هذه الإمارة الغنية السهلة سينهي مشاكلهم في المنطقة تماماً . واذا أمكن التحكم في شئونها بشكل غير مباشر فسرعان ما تصبح ملكاً للباب العالي .

شكاوى الباب العالي من أعمال بريطانيا في البحرين ١٨٧٢ ـ ١٨٧٣ :

وفي يوليو ١٨٧٢ شكا الباب العالي ـ عن طريق سفيره في لندن ـ من أعمال تفصح عن مظاهر السيادة البريطانية مؤخراً على البحرين ، لاسيما نزول جماعة من ٢٠ جندياً بريطانياً إلى البرّ هناك ، لكن التحقيق أثبت أن هذه الاتهامات بلا أساس ـ إلا اذا كانت تشير الى هؤلاء الجنود الذين كانوا يقيسون الشاطىء في عملية مسح بحرية للمنطقة ـ وأبلغت الحكومة التركية رسمياً بذلك . وفي سنة ١٨٧٣ زعمت السلطات التركية زعماً لا يصدق ، وهو أن السلطات البريطانية قد أغرقت قارباً تابعاً للبحرين لأنه كان يمد الباخرة التركية «آشور» بالمياه . وثبت من التحقيق ان هذه الحكاية كلها خيالية ولا أساس لها .

اقامة أمير الوهابيين في البحرين قبل أن يقوم بغزو الاحساء ١٨٧٤ :

.. وعندما اشتكى الاتراك زاعمين أن غزو الأمير الوهابي عبدالرحمن ابن سعود للأحساء ـ المذكور في تاريخ هذا الإقليم ـ قد تم من البحرين ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قامت السلطات البريطانية بتحقيق مفصل وجاد بهذا الصدد ، وثبت أن سلوك عبدالرحمن –خلال إقامته التي استمرت شهرين تقريباً في البحرين– كان نظيفاً لا غبار عليه ، وان شيخ البحرين لم يقدم اليه أي عون سوى ما تمليه عليه الضيافة وهدية تبلغ ٢٠٠ روبية عند رحيله . ولم تكن تصحبه أية قوات عسكرية في البحرين رغم أن ٥٠ رجلا قد صحبوه من البحرين إلى ساحل الأحساء أثناء عودته في قارب لهم . ويبدو ان والي بغداد طلب التصريح له من الباب العالي بأن يسير إلى البحرين لتأديب شيخها نتيجة مساهمته في الحملة الوهابية على الأحساء .. ولكن لم يؤذن له ، وفي نفس الوقت أيضاً –وكاجراء احتياطي– ارسلت سفن حربية بريطانية لتوفير الحماية لجزن البحرين .

تحصينات بريطانية مزعومة واقتراح من تركيا باقامة فنار في المنامة ١٨٧٥ :

وعاد الباب العالي في سنة ١٨٧٥ يشكو للسفير البريطاني في القسطنطينية من أن السلطات البريطانية قد أقامت تحصينات واستحكامات في المنامة ، وأنها تستخدمها كملجأ للأتراك الهاربين من ساحل الأحساء . ومرة أخرى أثبت التحري خطل قناعات المسئولين الأتراك حيث تبين في النهاية أن شيخ البحرين قد قام –في مايو أو يونيو سنة ١٨٧٥– باصلاح وترميم قلعة المنامة ، ولكن لم يكن بهذا العمل كله مسئول أو عامل بريطاني واحد على الإطلاق .

وبعدها مباشرة أصبح من المعروف عن طريق البعثة الديبلوماسية البريطانية في طهران أن الأتراك أنفسهم يفكرون في إقامة فنار في ميناء المنامة ، وقدمت الحكومة البريطانية احتجاجاً أدى إلى إيقاف هذا المشروع إيقافاً تاماً .

والي البصرة يرفع إلى شيخ البحرين مطالب تاجرين من قطر ١٨٧٥:

وفي نفس السنة رفع ناصر باشا والي البصرة إلى شيخ البحرين مطالب تاجرين من تجار اللؤلؤ في قطر بطريقة يفهم منها أن هدفه الاول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم يكن المطالبة لهذين التاجرين القطريين بحقوقهما بقدر ما كان يهدف إلى إثارة مشكلةسياسية . ولهذا نصح المقيم البريطاني شيخ البحرين بموجب أوامر من حكومة الهند بأن ينظر في هذه المطالب بكل إنصاف ممكن ، وفي نفس الوقت وجه احتجاج للباب العالي عن طريق السفير البريطاني في القسطنطينية .

اقتراح الاتراك انشاء مستودع فحم في البحرين وزيارة سفنهم لها ١٨٧٩ – ١٨٨٠ :

وفي يونيو ١٨٧٩ ترددت الشائعات عن اعتزام الأتراك إقامة مستودع فحم لهم بالبحرين يتحول تدريجياً إلى معتمدية سياسية ، ولكن – اذا كانت هذه الشائعات دالّة على حقيقة ما – فقد أحبط هذا المشروع بعقد اتفاقية بين شيخ البحرين والحكومة البريطانية في العام التالي . وفي نوفمبر سنة ١٨٨٠ زار اسطول تركي البحرين وقيل ان قائد الاسطول أكد أن البحرين إقليم تابع لتركيا .

الحكومة التركية تتبنى تمرد سنة ١٨٧٩ – ١٨٨٠ :

وكان ناصر بن مبارك وأنصاره قدموا التماساً إلى الصدر الأعظم في تركيا – في إبريل سنة ١٨٧٩ – ضد تدخل السلطات البريطانية في البحرين التي اشاروا اليها في خطابهم على أنها «من املاك تركيا» واشتكوا ضد طردهم من البحرين كما طلبوا في التماسهم هذا إطلاق سراح محمد بن خليفة وأحد رفاقه ، وأن يسمح لهم – لناصر ورفاقه – بالعودة للبحرين واسترداد ممتلكاتهم فيها . وتولى الوزير هذه القضية كشيء جديد تماماً .. وكشاهد واضح الدلالة على تدخل بريطانيا العظمى وسيطرتها على شئون البحرين ، وكدليل على أن ثمة محاولة قد حدثت – رغم الوعود القديمة – من قبل بريطانيا لتأكيد سيادتها على البحرين . وردت الحكومة البريطانية بدفع هذا الزعم عن ممارستها سيادة على البحرين ، وقالت انها ستتولى التحقيق في الأعمال العدائية التي وردت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في ذلك الالتماس كشيء مستقل تمام الاستقلال عن القضية الأولى . وكانت نتيجة التحقيق الذي تولته حكومة الهند هي القول بأن الالتماس المذكور يتعلق فقط بعقاب زعماء تمرد سنة ١٨٦٩ .

تسليم المجرمين والمدنيين الفارين بين الاحساء والبحرين ١٨٧٩–١٨٨٠

وفي ١٨٧٩ و ١٨٨٠ حدثت عدة حالات طلبت فيها السلطات التركية من شيخ البحرين تسليمها بعض المجرمين والمدنيين الذين هربوا من الأرض التركية إلى الجزر ، ومرة طلبت تسليمها رجلا يدعى عبدالله لارتكابه جريمة قتل .، وتم تسليمه لها بالفعل . أما المشكلة الأكثر صعوبة المتمثلة في هؤلاء المدنيين الهاربين من الأحساء إلى البحرين فقد رفعها المقيم البريطاني إلى حكومة الهند وجاء ردها بعدم تشجيع شيخ البحرين على التراسل مباشرة مع الأتراك ، وبأن يعد المقيم قائمة بمطالب البحرين ، وموقف السلطات التركية منها ، ويرفعها إلى حكومة الهند . وكانت هذه الحكومة ترى أن طلب السلطات التركية من شيخ البحرين تسليمها المجرمين والمدنيين لا يهدد استقلال شيخ البحرين بل هو اعتراف باستقلاله .

احتجاج تركيا على احتجاز أملاك الشيخ جاسم في البحرين :

وفي أغسطس ١٨٨٧ –وبناء على طلب من المقيم السياسي البريطاني– فرض شيخ البحرين حظراً على كمية من اللؤلؤ وغيرها تتجاوز قيمتها ٢٢ ألف روبية للشيخ جاسم شيخ الدوحة كانت آنذاك في البحرين . وقد اتخذ هؤلاء هذا الإجراء لإرغام الشيخ جاسم على دفع تعويض عن أضرار لحقت بالرعايا البريطانيين كما هو مذكور في تاريخ قطر . وكانت نتيجة هذا العمل ، فيما يتعلق بالبحرين ، تقديم احتجاج من الباب العالي لسفير بريطانيا في القسطنطينية أثار لدى الحكومة البريطانية من جديد مشكلة تحديد الوضع السياسي للبحرين .

وصدرت أخيراً لسفير بريطانيا في القسطنطينية تعليمات مفادها أن الحكومة البريطانية لا تستطيع الاعتراف بأية حقوق سيادة تركية على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شيخ البحرين الذي تعتبره — كما أوضحت مراراً من قبل— حاكماً مستقلا. والذي ترتبط الحكومة البريطانية به بمعاهدات واتفاقيات .

انذار للباب العالي ضد انزال قوات تركية في البحرين ١٨٨٨ :

وبعدها بأشهر قليلة — ونتيجة مخطط ضد البحرين سنذكره لاحقاً حين نتحدث عن علاقة إيران بالبحرين— طلب السفير البريطاني في القسطنطينية من كبير وزراء السلطان إصدار أوامر صريحة للمسئولين الأتراك في منطقة الخليج بتجنب أي تدخل في شئون البحرين ، وأبلغه أيضاً أن السفينة الحربية البريطانية الموجودة هناك قد صدرت لها الأوامر بمنع أي نزول على جزر البحرين سواء كان من جانب العرب أو الإيرانيين أو الأتراك ، ورد الوزير بأنه لم تكن هناك أية نية من جانب الأتراك لانزال قوات على الجزر ، بل إنه لم يؤكد سيطرة تركيا أو سيادتها على البحرين ، غير ان من المؤكد أن وزير الخارجية التركية كان يرى الامور بشكل آخر .. وعلى أية حال فقد أثبتت الأحداث التالية أن الأتراك لم يتخلوا عن مزاعمهم في السيادة على البحرين .

كتابات مهينة من السلطات التركية لشيخ البحرين ١٨٨٨ :

وفي سنة ١٨٨٨ حدثت مضايقات كثيرة نتيجة الاسلوب الذي كانت تنهجه السلطات التركية في الأحساء في مخاطبة شيخ البحرين ضمن خطاباتها الرسمية فقد كانت تكتب اليه كما لو كان موظفاً خاضعاً لها . وكان العنوان الذي يذكر دائماً على هذه الخطابات هو : « إلى حاكم جزيرة « أوال » وتفسير هذا السخف هو أن والي البصرة قد اكتشف أن كلمة «البحرين» كانت تطلق في العصور القديمة على جزء من الارض المواجهة للجزر أيضاً ، فأمر ببعث الاستخدام القديم لكلمة « البحرين» وأن تميز الجزر بتسميتها باسمها القديم « أوال » .. ولا شك في أنه كان يعتقد أن قضية إدعاء تركيا السيادة على البحرين يمكنها أن تقوم عن هذا الطريق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مطالبة السلطات التركية بتسليم رجل هارب من دفع العوائد ... ١٨٩٠ - ١٨٩١ :

وفي أغسطس ١٨٩٠ وصل الى حاكم البحرين خطاب وقح من قائمقام القطيف ورجل آخر يدعى السيد مصطفى يطلبان اليه تسليم الشيخ عبدالرحيم شيخ سيهات الذي زعما أنه رفض دفع العوائد المستحقة عليه للحكومة التركية . وأبلغ الشيخ عيسى وكيل القائمقام أن الشيخ عبدالرحيم ليس موجوداً بالبحرين ، وحاولت جماعة من القطيف أسر أقارب الشيخ عبدالرحيم لكنها فشلت نتيجة جهود معاكسة من خدم شيخ البحرين .

ولما كان الشيخ عيسى قد استطاع -برغم هذا السلوك العدائي من جانب زواره - أن يحافظ على هيبته ، فقد وجد الرائد روس ألا ضرورة للقيام بأي عمل من ناحيته ، لكنه أكد لشيخ البحرين وقوفه إلى جانبه وتقديم كل العون له إذا هدد سلطته مهدد . وفي يونيو ١٨٩١ طلب متصرف الأحساء -في خطاب مهذب إلى شيخ البحرين- تسليم ٢٨ شخصاً قيل إنهم هاربون من دفع الضرائب ، ورفع الشيخ عيسى الأمر إلى المقيم البريطاني . ولكن لا يبدو أنه قد تم اتخاذ قرار نهائي بشأنه .

اعلان سيادة تركيا على البحرين في القطيف ، وفرض العلم التركي على أصحاب القوارب في البحرين بالقوة ١٨٩٣ :

وفي ديسمبر سنة ١٨٩٢ -وكان والي البصرة آنذاك في جولة بالأحساء- وصلت معلومات إلى مساعد المعتمد البريطاني في البصرة بأن الأوامر قد صدرت من الباب العالي لوالي البصرة بمعاملة البحرين على أنها إقليم تابع لتركيا ، وأبلغ المقيم السياسي البريطاني في الخليج الضابط البحري الأول في أسطول الخليج بأنه يستطيع اتخاذ أي عمل يراه ضرورياً لمنع نزول قوات تركية إلى البحرين ، ولم تكن حكومة الهند فقط هي التي وافقت على هذه الخطوة ، بل وافقت عليها أيضاً حكومة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صاحبة الجلالة التي أبلغت الباب العالي بهذا القرار . ومن المحتمل أنه كان بالفعل ثمة تخطيط تم وضعه ضد البحرين لانه في الاسبوع الأول من يناير سنة ١٨٩٣ أعلن في القطيف — بأمر من القائمقام — أن البحرين وعمان قد تمردتا على السيادة التركية ، وفرضت الأعلام التركية بالقوة على واحد او اثنين من أصحاب القوارب البحرينية في القطيف . وفي ٢٠ أغسطس سنة ١٨٩٣ علقت نشرة رسمية في أسواق ومقاهي القطيف جاء فيها تصريح القائمقام بأن الحكومة البريطانية لا علاقة لها بالبحرين التي هي جزء من الامبراطورية التركية ، وستعامل —من الآن فصاعداً— على هذا الأساس . وقدمت الاحتجاجات الديبلوماسية إلى الباب العالي ، واخيراً في ديسمبر سنة ١٨٩٣ اعترفت الحكومة التركية بأنها قد أصدرت أوامرها بسحب هذه النشرة الوقحة ، كما أصدرت تعليماتها أيضاً لممثليها بعدم الدخول في خلافات مع ممثل الحكومة البريطانية حول وضع البحرين .

الحكومة البريطانية تمنع نقل القوات التركية في مياه البحرين ١٨٩٣ :

وفي مارس ١٨٩٣ ، منع الملازم بيفيل مساعد المعتمد السياسي في البصرة إرسال قارب يحمل ثلاثين جندياً تركياً إلى الأحساء عن طريق البحرين .. كما حذر المسئولين المحليين عن شركة الهند البريطانية للملاحة البخارية من قبول هؤلاء على بواخر الشركة كمسافرين . وأقرت حكومة الهند هذا العمل ، وأبلغت الباب العالي بعد ذلك —عن طريق السفير البريطاني في القسطنطينية— بأن الحكومة البريطانية لا تستطيع السماح بانتقال القوات التركية في مياه البحرين .

الوضع السياسي لرعايا البحرين في الارض التركية ١٨٩٠—١٨٩٤ :

وبرزت مشكلة خلال هذه الفترة تستحق إشارة خاصة ، وهي الوضع السياسي لرعايا البحرين الذين يسافرون إلى أو يستقرون في الامبراطورية العثمانية . وقد نوقشت هذه المشكلة للمرة الأولى في سنة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٨٩٠ في تقرير للملازم ستراتون مساعد المعتمد السياسي البريطاني في البصرة ، وجاء في التقرير أن السلطات التركية تبذل جهدها لإرغام مواطني البحرين المستقرين في البصرة وفي ابو الخصيب على شط العرب على أداء الخدمة العسكرية بزعم أنهم رعايا أتراك ينطبق عليهم ما ينطبق على باقي الرعايا . ولما لم يكن واضحاً أن الشكاية من هذا الأمر تهم البحرين ، ولأن شيخها لم يطلب التدخل من جانب بريطانيا فقد اعتبرت حكومة الهند أن هذا الموضوع ليس بحاجة إلى أي عمل من جانبها .

وفي ١٨٩٢ أثيرت القضية مرة أخرى نتيجة ضريبة خاصة تستوفى من رعايا تركيا فقط ــ تم فرضها على رعايا البحرين ، وقدم مساعد المعتمد البريطاني في البصرة طلباً للسلطات التركية برفع هذه الضريبة على أساس أن البحرين ورعاياها تحت الحماية البريطانية . وهنا أبلغت الحكومة التركية السفير البريطاني في القسطنطينية بأنها لا تعترف بأن رعايا البحرين تحت الحماية البريطانية . وجاء في الرد البريطاني أن البحرين قد أصبحت الآن تحت حماية صاحبة الجلالة ملكة انجلترا ، ولن تسمح الحكومة البريطانية بالتالي للسلطات التركية بأي تدخل في شئون أهل البحرين . وبعدها بسنة تقريباً . في إبريل ١٨٩٣ احتجت الحكومة التركية من جديد على ما أعلنه مساعد المقيم البريطاني من زعم بريطانيا حماية رعايا البحرين ، ومرة أخرى أصدرت حكومة صاحبة الجلالة أوامرها لبعثاتها القنصلية والديبلوماسية في ارجاء الامبراطورية العثمانية ببسط حمايتهم على رعايا البحرين .

وفي نفس الوقت ، في يناير ١٨٩٣ ، ذهب وفد ممثل لرعايا البحرين المقيمين في البصرة ليقابل المسئول البريطاني ويطلب منه الحماية ، ورد عليهم المسئول بأن هذه الحماية تفرض عليهم بشرط واحد هو أن يحصلوا على شهادات من الشيخ عيسى شيخ البحرين بانتمائهم اليها ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واتخذت الترتيبات -بناء على ذلك- في سنة ١٨٩٤ باصدار شهادات جنسية منتظمة من شيخ البحرين للعاملين على القوارب والسفن وغيرهم من رعاياه الذين يسافرون إلى البصرة .

وفي ١٨٩٥ وقعت حادثة كانت محكاً لهذه الإجراءات . فقد حدثت عملية سرقة بالإكراه من بعض رعايا البحرين على ظهر سفينة كانت مبحرة في شط العرب على بعد عدة أميال أسفل البصرة ، وفيها أرغم قراصنة النهر ركاب السفينة وبحارتها على تسليمهم كل ما يملكون من أشياء ثمينة ، وقدرت الخسائر بمبلغ ضخم .

وقدم الكابتن هوايت مساعد المعتمد السياسي البريطاني في البصرة مباشرة طلباً للتعويض من الوالي لكن الوالي رفض الإجابة على أساس أن الباب العالي لا يعترف بحق بريطانيا في حماية رعايا البحرين ، وطلب السفير البريطاني في القسطنطينية -حين أبلغه الكابتن هوايت بهذه الحادثة- من الحكومة التركية ضرورة اعترافها بتدخل السلطات البريطانية في هذه القضية وسواها من القضايا المشابهة .. لكن الحكومة التركية ، ورغم استمرار مناقشة هذا الامر حتى سنة ١٨٩٦ ، لم تتراجع قيد أنملة عن موقفها ، وبالتالي لم تكن هناك ثمة تعويضات عن هذه القرصنة .

★ ★ ★

علاقات ايران بالبحرين خلال نفس الفترة ١٨٧١ - ١٨٩٥

ظلت حكومة إيران -على الرغم من تعاظم النفوذ البريطاني في البحرين ، والامتيازات التي حصلت عليها تركيا في سيادتها على السواحل المجاورة للأحساء - ظلت على حسدها ومزاعمها البالية بالسيادة على البحرين . ففي مايو ١٨٧١ - وقت كان الاحتلال التركي يتدعم في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأحساء ــ طلب الشاه عن طريق الوزير البريطاني المفوض في طهران معلومات عن احتمال التقدم من جانب الأتراك إلى البحرين .. وأبلغ رداً على تساؤله بأن الباب العالي يؤكد أنه لن يبذل أية محاولة بالنسبة لجزر البحرين .

وفي سبتمبر سنة ١٨٨٦ عمد الشاه ــ وقدانتابته رغبة غير مفهومة في تأكيد سيطرته على البحرين ــ إلى إبلاغ المستر نيكلسون الوزير البريطاني المفوض في طهران شفوياً برغبته في أن ينقل رسالة منه بهذا الصدد إلى الحكومة البريطانية . وكان يهدف إلى أن تعتبر الحكومة البريطانية اتصاله بها في سنة ١٨٦٩ مساوياً للاعتراف بحقوقه في السيادة على البحرين ، وكان متلهفاً على إقامة سلطته هناك إما بتعيين حاكم للبحرين ، أو الاعتراف بشيخها الحالي ممثلا له ، لكنهايضاً أفصح عن رغبته في أن تظل السياسة البحرية في المنطقة بين يدي السلطات البريطانية. وأعدت حكومة صاحبة الجلالة رداً جاء فيه أنها لا تستطيع أن تجد في الاتصال الذي قام به سنة ١٨٦٩ مثل هذا التفسير ، بل إنها على العكس تعتبره اعترافاً منه باستقلال البحرين ، وأن على حكومة إيران الاستمرار في الالتزام بمعاهداتها تجاه البحرين . ولأن الشاه لم يعد إلى هذا الموضوع مرة أخرى ، فلم يسلمه المستر نيكلسون هذا الرد من الحكومة البريطانية . وأرجعت هذه القضية كلها عندئذ إلى إيحاء لإيران من قبل روسيا .

دسائس ايران فيما يتعلق بالبحرين وموقف السلطات البريطانية ١٨٨٧ ــ ١٨٨٨ :

وفي سنة ١٨٨٧ ــ ونتيجة الخسائر التي لحقت بمجموعة من رعايا إيران في الاضطرابات التي وقعت في الدوحة بقطر ــ سأل الشاه القائم بالأعمال البريطاني في طهران عما إذا كان بوسع السلطات البريطانية تقديم أية معونة في سبيل الحصول على تعويض عن تلك الخسائر . وأجيب صاحب الجلالة على ذلك بأن البريطانيين مستعدون لتقديم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وساطتهم في هذا الصدد بعد أن تجاب مطالب رعاياهم هم أولا في التعويضات المستحقة لهم . وفي العام التالي – وبسبب هذا الأمر نفسه من ناحية ، ونتيجة خطة عامة لتوسع النفوذ الإيراني في منطقة الخليج من ناحية أخرى– تبنت الحكومة الايرانية خط عمل آخر مختلفاً وسرياً إلى حد كبير ، وكان من المعتقد أن هذا العمل كان بتحريض من روسيا . وكان الوكلاء الرئيسيون لتنفيذ هذا المخطط هم مالك آل توجار حاكم موانىء الخليج وحاجي حمد خان أحد أفراد الجيش الإيراني وكانت البحرين –وكذلك قطر وعمان المتصالحة– ضمن هذا المخطط . لكن أعمال هذه البعثات كانت مقصورة على قطر وعمان المتصالحة وهذا مذكور بالتفصيل في تاريخ هذا الإقليم ..وتبين بعد ذلك –عن طريق إفشاء مالك آل توجار للسر وعزله عن منصبه من جانب الحكومة الإيرانية ومن خلال البرقيات الإيرانية الرسمية التي أمكن الحصول على نسخ منها في طهران – ان أمين السلطان قد وافق على مخطط وضعه حاجي أحمد خان للاستيلاء على البحرين بواسطة الشيخ جاسم شيخ الدوحة الذي تعهد فيما يبدو بأن يضع مخطط إيران موضع التنفيذ . وفي هذه المؤامرات كان واضحاً وجود نوع من التناسق بين خطط إيران وتركيا بهذا الصدد ولكن لم يكن من المعتقد بوجود أي نوع من من التعاون الجدي بين الحكومتين اللتين لا بد ان تتعارض مصالحهما على الساحل العربي .

وفي فبراير ١٨٨٨ ، حين كان يظن أن البحرين في خطر نتيجة هذا التآمر أمر الرائد روس المقيم السياسي بأن تقوم سفينتان حربيتان بريطانيتان بالرسو على مقربة من شاطىء البحرين وأصدر اليهما التعليمات بأن يصد –بالقوة– أي عمل عدائي على البر من جانب الأتراك أو العرب أو الإيرانيين على السواء .. وطلبت حكومة الهند التي وافقت على هذا العمل من الوزير البريطاني المفوض في طهران

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إبلاغ الحكومة الإيرانية بهذه التعليمات ، ولكن أمين السلطان حين سئل أجاب بأن أنكر وجود أي خطط له في البحرين ، فوجد مستر نيكلسون من الأفضل عدم الإشارة إلى هذه التعليمات القاضية باستخدام القوة .

★ ★ ★

علاقات بريطانيا بالبحرين خلال نفس الفترة ١٨٧١ ـ ١٨٩٥

لاحظنا في الفقرات السابقة ملامح بارزة وهامة في علاقات الحكومة البريطانية بالبحرين خلال هذه الفترة ، ولكن ما تزال بعض الجوانب المباشرة والسرية في حاجة لأن نشير اليها .

المسح البحري للبحرين ١٨٧١ ـ ١٨٧٣ :

خلال الفترة من ١٨٧١ إلى ١٨٧٣ قامت سفينة بحرية بومباي «كونستانس» بإجراء عملية مسح بحرية شاملة ودقيقة لشعاب جزر البحرين ومراسيها .

سوء معاملة وكيل شركة الهند البريطانية للملاحة التجارية ١٨٧٣ :

وفي سنة ١٨٧٣ القى القبض على عبدالله بن رجب ـ وهو مواطن من رعايا البحرين لكنه كان ممثل شركة الهند البريطانية للملاحة البخارية في البحرين وكان لذلك بالفعل تحت الحماية البريطانية وقد ألقي في السجن بأمر من شيخ البحرين دون توجيه أتهام محدد اليه . وبادر مساعد المقيم السياسي في البحرين حين بلغه هذا الخبر فطالب بإطلاق سراح الرجل فوراً والتحقيق معه فيما هو منسوب اليه . واحتج شيخ البحرين على هذا التدخل من جانب مساعد المقيم . لكنه أطلق سراح الرجل بالفعل . وكانت الاتهامات الموجهة اليه فيما يبدو هي تهجمه على بعض رعايا البحرين إلى جانب أنه قطع أخشاباً من أشجار يملكها الشيخ وقد ثبتت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صحة الإتهام الأول ، أما الثاني فلم يمكن إقامة الدليل عليه . وبعد تحذير صادر من المقيم ، اعتذر الشيخ عيسى في النهاية عن تسرعه في الإجراءات التي اتخذها ، كما وجه اعتذاراً شخصياً إلى الميجور جرانت للهجة خطابه الذي كان يحتج فيه على هذا التدخل .

السلطات البريطانية تندد بحادثة اغتيال سياسي ١٨٧٧ :

وفي ٢٨ إبريل سنة ١٨٧٧ قتل فهد بن أحمد –ابن عم والد الشيخ عيسى بن علي مباشرة– في البحرين ، قتله أحمد بن علي شقيق الشيخ ، وكان التبرير الذي ذكر لذلك أن فهد كان متمرداً وكان خطراً على الحكومة القائمة ، وأنه قد هدد أحمد بن علي حين ذهب هذا اليه ليجرده من سلاحه . وعلى أساس أن الحكومة البريطانية بسبب الوضع الذي أصبح لها في البحرين كان لابد أن تتدخل لمنع الاضطرابات العنيفة أو الاضطهاد من جانب الشيخ الحاكم ، وعلى أساس أنها لا تستطيع أن تقنع بموقف المتفرج المحايد بالنسبة لأحداث خطيرة من هذا النوع ، فقد صدرت التعليمات للرائد بريدو المقيم السياسي بأن يبلغ شيخ البحرين الحاكم وشقيقه أن الحكومة البريطانية تستنكر هذا السلوك وتحذره من ارتكاب مثله في المستقبل ، وقد نفذت هذه التعليمات بكل دقة .

الاتفاقية الشاملة الاولى بين شيخ البحرين والحكومة البريطانية ٢٢ ديسمبر ١٨٨٠ :

وقد سبق أن أشرنا إلى خطة تركيا في سنة ١٨٧٩ لإقامة مستودع للفحم في البحرين ، وزيارة الاسطول التركي التالية للجزر في نوفمبر سنة ١٨٨٠ ، ونضيف أنه في نفس الوقت تقريباً ظهرت دلائل كثيرة لاهتمام جديد من جانب دول أجنبية كثيرة بشئون منطقة الخليج ، وان سفناً فرنسية وأمريكية بل وحتى يابانية أيضاً كانت تزور مياه الخليج . وفي هذه الظروف ، واعتقاداً من الرائد روس المقيم السياسي بأن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البحرين مركز تجاري هام سرعان ما سيصبح محط أنظار الدول الاجنبية، وحين وجد في زيارة للبحرين أن الشيخ مستعد لأن يعقد اتفاقية خاصة مع الحكومة البريطانية ، انتهز الفرصة وحصل على توقيع الشيخ على اتفاقية خاصة رفعها مباشرة إلى حكومة الهند . وكانت هذه الاتفاقية التي وقعت في ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٨٠ تنص على أن تمتنع الشيخ عن إجراء المفاوضات أو توقيع المعاهدات مع أية دولة أجنبية –باستثناء بريطانيا العظمى– إلا بعد موافقة السلطات البريطانية ، كذلك ليس له أن يسمح لأية حكومة –غير الحكومة البريطانية– بإقامة وكالات قنصلية أو ديبلوماسية أو إقامة مستودعات للفحم إلا بعد موافقة السلطات البريطانية . وكان من المتفق عليه على أية حال أن هذه الاتفاقية لا تشمل ولا تؤثر على الاتصالات الودية القائمة مع السلطات المحلية في الإمارات المجاورة في الشئون الأقل أهمية ، وان صحة هذه الاتفاقية وسريانها يعتمدان على تصديق نائب الملك ومجلس الحاكم العام للهند عليها .

وذكر الرائد روس في تبريره هذا العمل الذي لم يكن مفوضاً به ، بأن وجود اتفاقية رسمية كان ضرورياً لشيخ البحرين ليستطيع الاستناد اليها في معارضة المناورات السياسية التي تستهدف النفوذ في أرضه من جانب الدول الأخرى . وردت حكومة الهند بأن القاعدة تقضي بأنه غير مسموح للمسئولين السياسيين بالدخول في مفاوضات من هذا النوع –مهما بلغت درجة الحيطة فيها– دون تعليمات خاصة ، لكنها مع ذلك رفعتها للتصديق عليها من جانب حكومة صاحبة الجلالة ، وبعد تصديق وزير الدولة لشئون الهند عليها تم توقيعها نهائياً في سنة ١٨٨١

معاهدة نهائية شاملة بين شيخ البحرين والحكومة البريطانية ١٣ مارس ١٨٩٢ :

وفي ١٨٩٢ ولظروف ستتضح في تاريخ عمان المتصالحة أوصى الرائد تالبوت المقيم في الخليج بعقد اتفاقيات جديدة تتضمن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نصاً يحرم على شيوخ الإمارات أي تنازل في أقاليمهم لدول أجنبية ، وحين وافقت حكومة الهند على هذا الاقتراح لاحت الفرصة مواتية للحصول على توقيع شيخ البحرين على معاهدة مماثلة في ١٣ مارس ١٨٩٢. وفي هذه الاتفاقية الجديدة تعهد شيخ البحرين بألا يعقد أية اتفاقيات أو يدخل في اتصالات مع أية دولة أجنبية باستثناء بريطانيا وألا يوافق على إقامة وكيل لأية حكومة أجنبية أخرى في أرض البحرين دون موافقة الحكومة البريطانية ، وألا يتنازل عن جزء من أرضه بالبيع أو الإيجار أو غيرهما للاحتلال من جانب أية دولة سوى بريطانيا(١) .

★ ★ ★

محاولات غزو البحرين من قطر وما تلاها من أحداث ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦

اقامة مستعمرة لآل بن علي المعادين للبحرين في الزبارة بقطر ١٨٩٥ :

في سنة ١٨٩٥ تجدد خطر غزو البحرين من قِبَل القبائل العربية في الارض المجاورة بتأثير تركيا ، وهو خطر ظل ماثلا منذ فترة طويلة ، واتخذ شكلا مادياً ملموساً ، لكنه قوبل بتدخل حاسم من جانب بريطانيا العظمى .

ففي مارس ١٨٩٥ هاجرت قبيلة ساخطة تدعى أل علي من البحرين إلى قطر بقيادة شيخ يدعى سلطان بن سلامه كان داخلا في علاقات مع الشيخ جاسم شيخ الدوحة ، وبمعونته استطاع أن يشيد لقبيلته مستوطنة في الزبارة . ولما كان وجود تلك المستوطنة تهديداً خطيراً للبحرين ، فقد أبلغ الشيخ جاسم بأنه غـير مسموح بقيامها لكنه لم يلق بالا للتحذير . وفي نفس الوقت قام المتصرف التركي في الأحساء بزيارةالزبارة ، واستمر العمل في بناء المستعمرة قائماً على قدم وساق ،

(١) نص هذه الاتفاقية موجود في الملحق الاول لهذا الفصل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتردد أن المتصرف والشيخ جاسم كانا يُعِدان لرفع العلم التركي . وقد قام سفير بريطانيا في القسطنطينية بلفت نظر الباب العالي إلى ما يحدث ، وإبلاغه أن عملية البناء هذه إذا استمرت فان حكومة الهند ستتخذ من الإجراءات ما تراه ضرورياً لحماية شيخ البحرين ، واتخذت إجراءات أخرى لتعزيز هذا السعي ، فأرسلت سفينة صاحبة الجلالة « سفنكس » بقيادة القائد بيللي – ابن شقيق الرائد بيللي المقيم السياسي السابق المرموق في الخليج – الى الزبارة ، ومعه أمر بعودة سلطان ابن سلامه وقبيلته فوراً الى البحرين ، لكن طلبه قوبل بالرفض من جانب الشيخ بمعاونة المدير التركي الجديد الذي عين موخراً في الزبارة ، وزُعِم أن هذا المكان أرض تركية ، وأن آل بن علي من رعايا تركيا . وعادت السفينة «سفنكس» إلى البحرين بعد أن استولت على سبعة قوارب لآل علي . وفي يوم ١٥ يوليـــــو استولت على تسع سفن أخرى لهم ، ونقلت القوارب جميعاً إلى البحرين . ثم رغب بن علي بعد ذلك في الصلح مع شيخ البحرين لكن المدير التركي أقام العقبات في هذا السبيل حتى إنه احتجز بعض القوارب المرسلة من البحرين لمن يرغب في العودة اليها من آل بن علي . وقد قيل إنه أي المدير أعلن أن البحرين على وجه العموم وقطر بشكل خاص هما تابعتان للامبراطورية العثمانية . وأصبح الموقف الآن خطيراً لاعتبارات متعددة ، فقد تبين أن الشيخ جاسم بدأ في جمع عدد كبير من القوارب كما لو كان يعد العدة للنزول إلى البحرين ، ووضع متصرف الأحساء قوات في القطيف .. بزعم الإعداد لحملة على نجد ، وكان القارب التركي المسلح « زحاف» يتجول على طول ساحل قطر .

الاستعدادات البريطانية للدفاع عن البحرين :

وفي هذه الظروف اقترحت حكومة الهند ضرورة مقاومة تمرد أهل قطر على البحرين باستخدام القوة بشرط أن يطلب من أيةسفن حربية ترفع العلم التركي تقديم تفسير لوجودها ، وإذا لم يكن هذا التفسير

مقنعاً فيوجه اليها الإنذار بأن النير... ن عليها إذا تجاوزت مسافة ثلاثة أميال من سواحل البحرين وقد أرسلت سفينة صاحبة الجلالة «بيجون» لتلحق بالسفينة «سفنكس» في مياه البحرين ، وتم كل شيء ، ولم يعد باقياً سوى إرسال فيلق من المشاة الهنود من بومباي ، وأخيراً أضيفت سفينة ثالثة هي «بليزي» لتنضم إلى السفن الموجودة في الخليج .

اتصالات دبلوماسية بريطانية مع الحكومة التركية :

وفي نفس الوقت وعلى أثر تصريحات المدير التركي في الزبارة وأعماله ، تم اتصالان بالباب العالي ، ففي يوم ١٢ أغسطس قدم السفير البريطاني في القسطنطينية احتجاجاً من الحكومة البريطانية إلى الحكومة التركية ، جاء فيه أن حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف بالسيادة العثمانية المزعومة على ساحل قطر ، وأنها لا تقبل زعم تركيا بالسيادة على البحرين التي هي تحت الحماية البريطانية وأنها سوف تتخذ كل الإجراءات الكفيلة بحماية هذه الجزر من العدوان . ومرة ثانية في ٢٢ أغسطس ، قدمت حكومة صاحبة الجلالة مذكرة للسفير التركي في لندن جاء فيها أنها سبق وأبلغت الباب العالي غير مرة أنها لا تعترف بسيادة تركيا على ساحل قطر ، وأنها كذلك أشارت إلى أن البحرين تحت الحماية البريطانية.

تدمير اسطول الاعداء والاستيلاء عليه ٦ سبتمبر ١٨٩٥ :

أما في مسرح الأحداث فكانت الأمور تقترب من أزمة خطيرة . ففي ١٩ أغسطس كتب متصرف الأحساء خطاباً متعالياً إلى المقيم السياسي يتهمه فيه بخرق السلام على ساحل نجد باستيلائه على القوارب ، وينذره بأن أهل قطر مصممون على مهاجمة البحرين وأنه قد بذل جهده لمنعهم عن ذلك لكنه لا يستطيع الاستمرار طويلا ، ثم طلب رد القوارب التي استولى عليها القائد بيللي ، ونصح بنقل رعايا بريطانيا من البحرين خلال فترة أقصاها ١٧ يوماً ابتداء من ١٩ أغسطس .

واقترح الرائد روس المقيم السياسي الرد على هذا الخطاب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بتحميل المسئولين الاتراك المسئولية الكاملة عما حدث ، واقترحت حكومة الهند -بتفويض من حكومة صاحبة الجلالة- استرداد القوارب المحتجزة في الزبارة بالقوة ، ولكن في نفس الوقت ، وبالتحديد في ٥ سبتمبر ، تسلم القائد بيللي تقريراً مؤداه أن السفينة « بيجون » التي كانت قد ارسلت لمراقبة اسطول الأعداء قد أطلقت عليها النيران ، كما طلب منها المدير التركي مغادرة مكانها فوراً ، وأضاف المدير إلى ذلك تهديدات ذات طابع عدائي مؤكداً أن الشيخ جاسم شيخ الدوحة سيقوم بالهجوم على البحرين ، وأن السلطات التركية ستقدم اليه كل معونة لازمة . وفي اليوم التالي ، يوم ٦ سبتمبر سار القائد بيللي بنفسه إلى الزبارة حيث وجد قوارب قطر مسلحة ومستعدة للعمل ، وأيقن أن الطريقة الوحيدة لإنقاذ البحرين من الغزو الذي يهددها هي تدمير اسطول العدو وسفنه ، وكانت الفترة التي حددها متصرف الأحساء كمهلة قد انقضت . وهكذا ، وبعد إنذار مدته ساعة واحدة ، فتحت السفينة «سفنكس» و السفينة«بيجون» نيرانهما على القوارب فدمرتا ٤٤ قارباً في فترة خاطفة . وفي صباح ٧ سبتمبر كان المدير التركي قد اختفى واختفى معه العلم التركي ، ورفع الشيخ جاسم علم عمان المتصالحة وطلب العفو عنه زاعماً أن هذه القوارب لم تجتمع من تلقاء نفسها وإنما تم ذلك بأمر من متصرف الأحساء. وقبل الشيخ جاسم الشروط المبدئية التي أملاها القائد بيللي والتي انحصرت في ضرورة نزوح آل بن علي فوراً عن الزبارة ، وأن يصرف الشيخ جاسم حشود البدو التي اجتمعت حوله . وأدت هذه الإجراءات الفعالة إلى نقل ما يزيد عن ١٢٠ سفينة إلى البحرين علاوة على ما تم تدميره أو إعطابه .

تسوية مع الشيخ جاسم والقبائل المعتدية سبتمبر ١٨٩٥ :

وفيما عدا سلطان بن سلامه وقلة من أنصاره فقد رجع آل بن علي إلى البحرين ولكن بقيت مشكلة عقاب الشيخ جاسم وحلفائه معلقة ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واخيراً أبلغ الشيخ في فبراير ١٨٩٦ أنه يجب عليه دفع غرامة قدرها ٣٠ ألف روبية وإلا فستدمر السفن التي تم الاستيلاء عليها من الزبارة ، ورفض الشيخ جاسم الدفع على أساس ألا علاقة له بهذا الأمر ، وعلى ذلك .. وبعد إطلاق سراح ٣ سفن كانت تابعة للبحرين دون عقوبة ، وبعد افتداء ١٧ سفينة أخرى لآل بو كواره — بتصريح من المقيم البريطاني — في مقابل دفع مبلغ ٦٣٨٦ روبية ، تم حرق باقي السفن التي لم يتقدم أصحابها لافتدائها حيث كانت راسية خارج البحرين في إبريل ١٨٩٦ .

وضمت هذه المبالغ بالنظر لعدم وجود تعويضات تدفع في هذه الحالة إلى الدخل الرسمي للهند . وقد لقيت الخدمات التي قام بها القائد بيللي الضابط البحري الأول والضباط العاملون معه كل تقدير من جانب السلطات البحرية المسئولة بعد أن رفعت حكومة الهند رأيها بذلك ، ولقي تصرف بيللي خصوصاً في الزبارة التنويه والتقدير . وكان الجانب الأشد إرهاقاً في هذه العملية هو اضطراره للبقاء فترة طويلة في الاسابيع التي سبقت العمل الحاسم في جو ملتهب الحرارة .

وعادت العلاقات الودية مع قطر سنة ١٨٩٦ حين بدأت التجارة تنتظم رسمياً بين اسواق البحرين وقطر .

احتجاج من جانب تركيا ١٨٩٦ :

وقد احتج الباب العالي على عمل السفن الحربية البريطانية في الزبارة ، على أساس أنها قامت بهجوم على قبيلة مستقرة في أرض تركية ، الأمر الذي يتعارض مع العلاقات الودية القائمة بين الحكومتين البريطانية والتركية . وردت الحكومة البريطانية فقط بأن أشارت إلى الاتصالات التي تمت بين الحكومتين في العام السابق واضافت أن هذه الإجراءات التي اتخذت كانت ضرورة تحتمها حماية البحرين ، وأن حكومة صاحبة الجلالة لا تستطيع الاعتراف بأن الساحل الذي تقع عليه الزبارة تابع للامبراطورية العثمانية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التاريخ العام للبحرين وسياسة بريطانيا تجاه هذه المشيخة منذ محاولة غزوها سنة ١٨٩٥ حتى قطع العلاقات سنة ١٩٠٤

وبعد فشل الهجوم على البحرين –وربما كنتيجة له إلى حد ما– بدأت أحوال هذه الإمارة تتبع خطاً مخالفاً فقد حدث تغير واضح في الموضوعات ذات الاهمية والاهتمام . فلم تعد مزاعم تركيا بعدئذ أسباباً للنزاع ، وتقدمت التجارة وازدهرت ازدهاراً عظيماً ، وتوجه اهتمام الحكومة البريطانية –وقد زاد نفوذها الآن كثيراً عما كان عليه من قبل – الى مشاريع التنمية والإصلاح في الداخل ، وإلى الحذر من المنافسة السياسية مع سواها من الدول الأجنبية . ولهذا يستحيل الفصل بين السياسة البريطانية في البحرين والمجرى العام للأحداث فيها ، وسنتناول هذين الموضوعين معاً ودون تفريق بينهما فيما يلي .

تنظيم وراثة الحكم في البحرين والشئون الداخلية للاسرة الحاكمة ١٨٩٧ – ١٩٠٤ :

وقد ظن الشيخ عيسى ، لأسباب لم يوضحها في حينها ولم يبح بها بعد ذلك أيضاً ، أن من الضروري ترتيب الأمور بحيث تنتقل مشيخة البحرين إلى أبنائه بعد موته، وفي أكتوبر سنة ١٨٩٧ وعلى وثيقة مكتوبة وقع عليها عدد كبير من وجهاء الناس في البحرين جعل الشيخ عيسى من ابنه حمد خلفاً له . وفي نوفمبر من نفس السنة قام حمد بزيارة المقيم السياسي البريطاني رائد ميد في بوشهر ، وفي فبراير ١٨٩٨ وبمناسبة زيارة ميد للبحرين – طلب اليه الشيخ عيسى اعتراف الحكومة البريطانية بابنه حمد ولياً للعهد . ونشير أيضاً إلى أن الشيخ سبق أن أفصح عن رغبته في سنة ١٨٩٠ بالاعتراف رسمياً بابنه الأكبر سلمان خلفاً له ، ولكن حتى موت سلمان بالقرب من الرياض أثناء عودته من الحج في نوفمبر سنة ١٨٩٣ لم يكن الشيخ عيسى قد اتخذ أية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خطوات أخرى في هذا السبيل . وأوصت حكومة الهند بالاعتراف بتنصيب حمد ولياً للعهد على أساس أن هذا سيمنع الصراع على من يخلف الشيخ عيسى بعد موته ، وصدقت حكومة صاحبة الجلالة على ذلك في نهاية سنة ١٨٩٨ ، لكن المقيم أرجأ إعلان هذا التصديق لأن الشيخ في ذلك الوقت كان يطالب بتعديل نظام العوائد في البحرين .. فلا يجد أذنا صاغية لهذه النصيحة . وأخيراً .. ورغم عناد الشيخ عيسى في موضوع العوائد هذا فقد تم إبلاغه بهذا التصديق رسمياً في ١٢ فبراير سنة ١٩٠١ ، وقيل إن الشيخ حين تلقى هذا الإبلاغ سالت دموعه فرحاً وابتهاجاً .. ووزع الهدايا على أفراد الاسرة الحاكمة وعلى الشعب في البحرين .

وفي سنة ١٨٩٩ برز الخلاف القائم بين الشيخ عيسى وابن أخيه علي بن أحمد ، وكان في هذا الخلاف بعض التبرير لمخاوف الشيخ في السنة الماضية حول تنصيب ابنه حمد ولياً للعهد . وكانت العلاقة بين هؤلاء الاقارب معقدة بعض الشيء .. لأن أم علي بعد طلاقها من أحمد تزوجت الشيخ عيسى وولدت له ابنه حمد .. وهكذا كان علي وحمد أخوين غير شقيقين وابني عم ، وكانا أيضاً غريمين . وكان الشيخ أحمد –أبو علي وشقيق الشيخ عيسى الاصغر– يحصل على نصف عوائد الإمارة طوال حياته كما رأينا ، وكان يعاون الشيخ عيسى في الحكم باتفاقية بينهما ، وكان بيته قصراً فاخراً متميزاً في مدينة المنامة يعرف باسم « بيت الشيخ » ، وكانت إقامته في هذا البيت ترتبط في أذهان العامة في البحرين بحكم المنامة .

وظل علي بن أحمد –بعد موت أبيه في سنة ١٨٨٨– وبتفويض من الشيخ عيسى يشغل بيت الشيوخ ويرفع علم البحرين على سارية أمامه ، وبتقدمه في السن بدأ ينزع الى تأكيد شبه استقلاليته ، متشجعاً بذلك بقلة مبالاة الشيخ عيسى بتفاصيل الحكم والإدارة في المنامة . وفي فبراير ١٨٩٨ شكا أحمد بن علي للرائد ميد أن عمه كان يبعده عن أملاكه ويمنع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عنه دخله الذي يعتقد أنه آل اليه بالميراث ، وفي نوفمبر من نفس العام أرسل يطلب معونة المقيم البريطاني على الفور . وحين فوتح الشيخ عيسى بالتحقيق في هذا الأمر وجه إلى علي اتهامات بالتدخل في حكم البحرين وبتكوين حزب معارض لحكومة الشيخ . واخيراً ، وبحضور الرائد ميد أعلن عن خضوعه الكامل للشيخ عيسى ، وعقد مجلس العائلة وتم الاتفاق على ان يمنح الشاب راتباً شهرياً قدره ٦٠٠ روبية إلى جانب مبلغ ٨٠٠ روبية في كل سنة ، وسمح له بامتلاك اراض خصبة في الجزر. لكن هذه الاتفاقية لم تكتب . وظل علي ساخطاً كما هو . وفي يونيو سنة ١٩٠١ زار مسقط حيث شكا للسلطان من المعاملة التي يلقاها من عمه ومن السلطات البريطانية معاً ، وكان ينوي أن يجتمع بمسيو اوتافي -القنصل الفرنسي في مسقط- لولا غياب هذا الأخير عنها في ذلك الوقت في صور . عند ذلك اقترح مساعد الوكيل السياسي في البحرين -وصدق الميجور كوكس المقيم السياسي على هذا الاقتراح- بأن يعلن قرار الحكومة البريطانية بتأييد شيخ البحرين ما ظل على الوفاء بالتزاماته نحوها في اجتماع عام علني بالبحرين . غير ان حكومة الهند التي كانت تتطلع في ذلك الوقت إلى إحداث شيء من التغيير في تمثيلها السياسي في البحرين قررت إرجاء قرارها حتى يتم اولاً هذا التغيير .

وفي سنة ١٩٠٢ مات رشيد الابن الثالث للشيخ عيسى بعد مرضه بالسل . وفي سنة ١٩٠٤ توجه الابن الثاني للشيخ للحج وزار القاهرة حيث استقبل كضيف على المعتمد البريطاني .

محاولات السلطات البريطانية إنشاء ادارة أفضل للعوائد في البحرين ١٨٩٩ - ١٩٠٣ :

وقد بدأ نظام العوائد يدار بطريقة منتظمة في البحرين ابتداء من سنة ١٨٠٠ تقريباً حيث ظل تحت الأدارة المباشرة للحاكم حتى سنة ١٨٨٨ حين استحدث نظام أكثر دقة يتمثل في مجموعة من الملتزمين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذين يجمعونها محلياً وكان معظمهم من التجار الهنود . وحوالي وقت حدوث هذا التغيير كانت التجارة في البحرين قد بدأت تمتد وتزدهر بفضل المجهودات البريطانية. وفي سنة ١٨٩٩ تبين ان التجارة قد زادت في أقل من ١٠ سنوات بنسبة أكثر من ٤٠٪ لكن مالية الشيخ لم تحقق ازدياداً بهذه النسبة او قريباً منها ، فمعظم الربح يدخل جيوب هؤلاء المتعاقدين الملتزمين بجمع الضريبة . وظل الشيخ يلجأ الى فرض ضرائب جديدة غير منتظمة لزيادة موارده المالية . وفي سنة ١٨٩٩ كانت حكومة الهند ترى أن من المرغوب فيه ان يتحسن نظام الجمارك في البحرين ليصبح أكثر فعالية وانتاجاً ، وأعدت العدة كي تطلب من الشيخ القيام بالاصلاحات مرتبطاً بنظام المتعاقدين هذا لأنه كان ييسر له الحصول على اموال نقدية سائلة وقت ما يريد ، فضلا عن أنه كان يعفيه من التعامل مباشرة مع دافعي الضرائب . غير ان السبب الحقيقي لرفضه العنيد هذه الإصلاحات هو أنه كان يرى في قبول نصيحة البريطانيين في هذا الصدد وقبوله عمل موظفين منهم في جمع ضرائبه أمراً مهيناً لكرامته واستقلاله . وفي ٧ أكتوبر ١٨٩٩ خرق الشيخ الوعد الذي قطعه على نفسه بألا يجدد عقود الضرائب القائمة دون ان يرجع للمقيم البريطاني حيث أصدر تجديداً لمدة سنتين مدفوعاً بحاجته الماسّة إلى المال ، وكان ابتداء التجديد من ١٠ مارس سنة ١٩٠٢ .. وفي هذا التاريخ كان قد تم الالتزام بالضرائب . ورفع الشيخ في نفس الوقت النسبة العامة للضريبة من ٤ إلى ٥٪ دون أن يشير إلى السلطات البريطانية مسبقاً برغبته في ذلك لم يكن بوسع أحد الاعتراض على ذلك التدبير رغم خشونته ومنافاته للذوق . ...

١٩٠٠ :

وفي بداية سنة ١٩٠٠ عين موظف بريطاني في البحرين كما ذكرنا قبلا ، ولم يفلح الشيخ في إخفاء العقود الجديدة التي منحها للملتزمين بالضرائب ، ورفض قرضاً عرضته عليه الحكومة البريطانية كي يسدد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منه الديون المستحقة عليه لهؤلاء الملتزمين لينهي عقودهم ، كذلك رفض تدخل السلطات البريطانية حين تحولت إلى الضغط على هؤلاء الملتزمين ، ومعظمهم من رعايا بريطانيا — كي يلغوا تعاقداتهم .

١٩٠١ :

وقرب نهاية سنة ١٩٠١ اوصى سير ن. أوكونر السفير البريطاني في القسطنطينية بتعيين مدير بريطاني لضرائب البحرين كدليل عملي أمام تركيا على سيطرة بريطانيا على البحرين . ومن جديد بدأ الضغط على شيخ البحرين كي يقبل قرضاً يدفع منه ديونه للملتزمين لكن الشيخ —رغم أن وضعه المالي كان يتدهور بسرعة— رفض العرض ، وأعلن في نفس الوقت اعتزامه أن يسيطر على العوائد بطريقة مباشرة لكنه كان يعد العدة لتجديد الامتياز لهؤلاء الملتزمين فترة جديدة بشروط أفضل . وأخيراً .. وفي نهاية سنة ١٩٠١ أصبح من المعروف أن الشيخ عيسى قد جدد التزام الملتزمين الموجودين بالفعل حتى نهاية فبراير سنة ١٩٠٦ .

١٩٠٣ :

وظلت مشكلة الضرائب في البحرين على حالها حتى كانت جولة اللورد كيرزون في الخليج في نوفمبر سنة ١٩٠٣ .. وكانت هي الموضوع الرئيسي للمفاوضات التي دارت بين صاحب العظمة نائب الملك والشيخ عيسى . وعجز الشيخ عيسى عن تقديم أسباب مقنعة بأن نظام الضرائب المقترح يسيء إلى مصالحه أو ينتقص منها ولم يستطع أن يجيب على الحجج التي ساقها اللورد كيرزون بأن هذا النظام الجديد سيخلصه من ازماته المالية ، وسيزيد من دخل الإمارة ، كما سيهيء وضعاً ثابتاً لابنه وخليفته حمد الذي وافقت حكومة الهند على الاعتراف به . ولجأ الشيخ إلى تأكيد أن المشكلة تخصه هو وحده ، واقترح أن يؤجل هذا الامر حتى موته ، ثم قال أخيراً إنه لا بد ان يشاور ابنه وأخاه في الأمر . فأصدر صاحب العظمة إنذاراً نهائياً اليه بأن هذه المشكلة لن يمكن إهمالها ، وهذا الامر لن يمكن استمراره طويلا ، وبهذا الانذار انتهت المقابلة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٩٠٤ :

وكشف التحقيق الذي أجراه المقيم العام. — الرائد كمبول — بعد زيارة اللورد كيرزون عن ان الامور أسوأ بكثير مما كان متصوراً . فقد تبين ان الشيخ قد أصدر ترخيصات لهؤلاء الملتزمين بجمع ضريبة نسبتها ٥٪ حتى إبريل ١٩٠٦ ، وبنسبة ٤٪ حتى يناير ١٩٠٨ . وكانت المبالغ الإجمالية لهذه العقود كما يلي :

سنة	١٩٠٣	١١٦ ٢٠٠ روبية
«	١٩٠٤	١١٧,٥٠٠ روبية
«	١٩٠٥	١٢٣ ٢٠٠ «
«	١٩٠٦	٩٦ ٢٠٠ «
«	١٩٠٧	٩٦ ٢٠٠ «

أي أن المبلغ الاجمالي هو ٣٠٠ ٥٤٩ روبية .. وفي مقابل هذا المبلغ كان الشيخ قد سحب مبالغ تصل إلى ٠٠٠ ٢١٢ من الملتزمين بل وأكثر من ذلك فقد تبين أن العوائد التي تدفع بالفعل في حالة الإدارة المباشرة تصل حوالي ٠٠٠ ٣٥٠ روبية في السنة أي ثلاثة أضعاف ما كان الشيخ يحصل عليه تقريباً .

وكان إرغام الشيخ عيسى على قبول الاصلاحات الضرورية أمراً يسيراً .. ولكن كان من المرغوب فيه أن يوافق هو عليها من تلقاء نفسه ، لهذا اوقفت هذه المشكلة حتى تستطيع حكومة الهند إحداث تغيير في طابع تمثيلها السياسي بالبحرين في سبيل مزيد من السيطرة على الشيخ . ويجب أن نشير هنا إلى أن سياسة الملتزمين هذه كانت ضعيفة ومرضية للتجار جميعاً .. ولم تكن تصيب التجارة الخارجية بأية أضرار .. لكنها كانت تلحق بحكومة البحرين خسارة كبرى .

التمثيل السياسي البريطاني في البحرين :

وفي سنة ١٨٩٩ ساد شعور بأن الوقت قد حان لإبدال الرجل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البحريني الذي يمثل الحكومة البريطانية في البحرين بمسئول بريطاني . وفيما مضى وقبل انقاص عدد العاملين في مقيمية بوشهر سنة ١٨٧٩ ، كان أحد مساعدي المقيم يرسل أحياناً ليقيم في البحرين ، ومن هذا الوقت تطورت المصالح البريطانية في البحرين ولا سيما المصالح التجارية تطوراً كبيراً . وكان الوكيل البريطاني في سنة ١٨٩٩ تاجراً من أهل البلاد اسمه أغا محمد رحيم وكانت طباعه مختلفة عن طباع شيخ البحرين. ولم يكن للشيخ أي نفوذ عليه بالمرة ، كما أنه لم يكن بريئاً كل البراءة من تهمة استغلال مكانته هذه لتحسين مصالحه التجارية الخاصة ، ولم تكن حماية الرعايا الهنود من التجار من الاضطهاد والمظالم الصغيرة التي تقع عليهم حماية كاملة ، كما أن تسوية مشاكلهم أيضاً لم تكن تتم بالسرعة المطلوبة .

١٩٠٠ :

وهكذا . وفي يناير سنة ١٩٠٠ تم تعيين موظف بريطاني في البحرين كاجراء موقت . . وفي نهاية السنة وبموافقة وزير الدولة أصبح التعيين وظيفة دائميه . وكان مستر ف. ب. بريدو مساعد الوكيل السياسي السابق في بوشهر أول من شغلها . وقد وصل إلى المنامة وتسلم مهام عمله في ١٠ فبراير سنة ١٩٠٠ .

وخلال سنتي ١٩٠١ و ١٩٠٢ بُني مقر رسمي لمساعد الوكيل السياسي على شاطىء مدينة المنامة بتكاليف بلغت ٣١,٤٧٠ روبية . وكان لدى إنجازه أفخر بيت في الجزيرة الكبرى بالبحرين .

١٩٠١ — ١٩٠٢ :

وفي سنة ١٩٠٢ دار البحث حول تفويض المساعد السياسي في البحرين بالصلاحيات التي يخولها قانون السفن التجارية ، وبصلاحيات موثق العقود . وتقرر في النهاية عدم اتخاذ أي شيء في هذا السبيل لأن القضية لم تكن ملحة من ناحية ، ولوجود عقبات فنية من الناحية الاخرى.

وفي سنة ١٩٠٤ وبعد فشل كل المحاولات التي تمت لإقناع شيخ البحرين بقبول إصلاح نظم جمع العوائد في إمارته اقترحت حكومة الهند ـ وصدقت حكومة صاحبة الجلالة على هذا الاقتراح ـ تعزيزاً جديداً لممثل السياسة البريطانية في البحرين ، وذلك بتعيين مسئول من القائمة المعتمدة في مكتب الهند بدلا من المسئول المساعد الذي صدر القرار بتعيينه في سنة ١٩٠٠ . وتم حدوث هذا التغيير في ١٨ أكتوبر سنة ١٩٠٤ ، وبدل مستر جاسكين جاء الكابتن ف. ب. بريدو الذي رقي بعد فترة قصيرة إلى منصب وكيل سياسي . وزود بفرقة من المشاة الهندية قوامها ٣٠ جندياً .

حماية الرعايا البريطانيين :

وخلال هذه الفترة التي نحن بصددها كانت الاخطاء التي ترتكب في حق الرعايا البريطانيين قليلة كما كانت الأعمال المسيئة لهيبته بريطانيا العظمى قليلة كذلك ، ولن نشير إلا الى حادثتين فقط جديرتين بالذكر .

١٨٩٧ :

ففى سنة ١٨٩٧ استطاع التاجر المفلس السيد خلاف الفرار من حبس شريده ـ أحد مسئولي الحاكم ـ ولجأ الى بيت رجل يدعى محمد خليل كان يعمل وكيلا للمقيمية البريطانية ، لكن شريدة دخل وراءه وأخرجه من البيت بمساعدة رجل آخر على رغم احتجاجات الوكيل . واعتبر الرائد ميد المقيم السياسي هذه الحادثة ـ وان لم يكن السيد خلاف متمتعاً بحق الحماية البريطانية ـ عملا مهيناً وغير لائق بهيبة بريطانيا ، وطلب تغريم كل من شريده ورفيقه مبلغ ٥٠٠ روبية ، مع تقديم اعتذارات كتابية منهما عن هذا السلوك . ووافق شيخ البحرين فوراً على هذا الطلب .. وتم إيداع مبلغ الغرامة المستحقة باسم حكومة الهند في صندوق بوشهر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٨٩٩ :

وفي سنة ١٨٩٩ حدثت حادثة كشفت عن ضعف الشيخ عيسى كحاكم .. بل ووضعت قضية إخلاصه للحكومة البريطانية موضع الشك . فقد كان للشيخ مخزن وضع فيه كمية من الأسلحة وكان المخزن ملكاً لوكالة فرانسيس وتايمز البريطانية – الإيرانية ، لكن ملكيتها في ذلك الوقت كانت قد نزعت بأمر من السلطات السياسية البريطانية . وقد وقع هجوم اجرامي على هذا المكان في الليل ، جرح فيه اثنان من الهنود ، من رعايا بريطانيا وكانا يشغلان جانباً من المخزن ، وهما اللذان أفسدا كل شيء بظهورهما المفاجيء أمام المهاجمين . وتبين أن زعماء الهجوم هم شريده – نفس المسئول المقرب من الحاكم الذي أشرنا اليه – وابنه فهد وشخص يدعى صالح بن رشيد كان من اقدم خدم الشيخ وأخلصهم . وتردد الشيخ في اتخاذ الإجراء السليم في القضية ، وبعد ضغط شديد من جانب السلطات البريطانية رضخ الشيخ لطلب إبعاد المعتدين من البحرين ودفع مبلغ ١٠٠٠ روبية على سبيل التعويض منها ٤٠٠ روبية للوكالة البريطانية –الايرانية و ٥٠٠ روبية للجرحى من الهنود ، واستولت الحكومة على باقي المبلغ . وعاد شريده وابنه إلى البحرين بعد عدة شهور دون موافقة حكومة الهند فأعيد طردهما .. وبعد أن استمر نفيهما حوالي السنة ، رفع الحظر عنهما بعد أن تعهد الشيخ بأن يكون مسئولا عن سلوكهما في المستقبل .

مشكلة متعلقة بالتجارة البريطانية :

وفي يونيو ١٩٠٠ قام مستر فان لينيب مدير فرع البنك الامبراطوري البريطاني في ايران بزيارة البحرين واوصى بفتح فرع للبنك فيها . وهكذا افتتح مكتب تجريبي صغير في المنامة ، وعهد بادارته إلى مواطن عربي من رعايا بريطانيا ، لكن التجار الهنود الذين كانت لهم على الشيخ ديون كثيرة استطاعوا إقناعه بعدم تشجيع هذا المصرف على الاستمرار..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأغلق المكتب التجريبي في المنامة بعد شهرين . وفي سنة ١٩٠٣ تبين أن ضرائب الشحن في البحرين قد زيدت لنسبة مرتفعة هي ٢,٥٪ على كل أنواع البضائع ، ولكن لم يمكن اتخاذ أي إجراء بهذا الصدد لعدم وجود اتفاقية مع الشيخ حول الموضوع ، ولأن الشيخ كان بالفعل قد منع الامتياز على أساس هذه النسبة . وعلى أية حال .. فقد شرح للشيخ عيسى بأوامر من حكومة الهند بأن أرباحه هو لن تزيد شيئاً برفع نسبة العوائد على الشحن . وكانت ثمة صعوبات طبيعية كثيرة تعوق إنزال شحنات البضائع في المنامة ، وقد أمكن التغلب على بعض هذه الصعوبات سنة ١٩٠٤ حين بنى الشيخ رصيفاً للرسو كلفه حوالي ٣٠ الف روبية ، وتم فرض ضريبة معتدلة على استخدام هذا الرصيف بموافقة حكومة الهند ورأيها .

أمور أخرى :

وقد قامت سفينة البحرية الهندية «انفستيجيتور» بعملية مسح بحرية كاملة لميناء المنامة ومداخله في شتاء ١٩٠١—١٩٠٢ ، وفي سنة ١٩٠٤ قام عالم إخصائي بفحص رواسب اسفلتية عثر عليها بالقرب من جبل الدخان سنة ١٩٠٢ ، واكتشفت فيها كمية من حجارة القطران ، ولكن تبين أن وجودها أقل مما يسمح باستغلالها تجارياً فأهملت .

وقد زار اللورد كيرزون نائب الملك في الهند بزيارة البحرين خلال يومي ٢٦ و ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٠٣ أثناء جولته بالخليج المذكورة بالتفصيل في مكان آخر .

وفي ١٩٠١ اقترح صاحب أكبر نسبة من رأسمال الوكالة الهندية جانجا رام وتيكام داس وشركاهما إنشاء مستشفى خيري في البحرين لتخليد ذكرى صاحبة الجلالة الملكة فيكتوريا، وتبرع بمبلغ خمسة آلاف روبية لفتح باب الاكتتاب ، وقد أمكن جمع حوالي ١٥ الف روبية أخرى ، واعتبر مبلغ العشرين الف روبية كافياً لتشييد مبنى المستشفى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومساكن العاملين فيه ، وتطوعت حكومة الهند بتزويد المبنى بالأجهرة والمعدات اللازمة .. وتم افتتاح المستشفى أخيراً في سنة ١٩٠٥ .

وفي سنة ١٩٠٣ انتشر الطاعون في البحرين .. وكذلك الكوليرا سنة ١٩٠٤ ، وتفاصيل هذين الوباءين موجودة في الملحق الخاص بالاجراءات الصحية وتنظيمها .

★ ★ ★

التاريخ الداخلي لمشيخة البحرين خلال نفس الفترة ١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

نزاع بين آل بن علي والعمامرة :

في نوفمبر سنة ١٨٩٥ نشب نزاع دموي بين قبيلة آل بن علي التي كانت هجرتها من الزبارة في مارس السابق سبب الاضطراب وبين العمامرة في البحرين ، وقتل العمامرة سلطان بن سلامة زعيم ذلك القسم من آل بن علي الذي كان يرفض الرجوع إلى البحرين وكان وحده في قارب بالقرب من رأس تنوره على ساحل الأحساء . وفي ديسمبر تلقى المقيم السياسي التماساً من عائلة القتيل سلطان بن سلامه يشكون من أن الشيخ عيسى هو الذي حرض على قتل سلطان وحرمهم من ممتلكاتهم في البحرين ، وكتب الرائد ويلسون بمعنى ذلك إلى الشيخ يطلب منه إحقاق العدالة كما تقضي بها قوانين العرب لكن تردد الشيخ عيسى في اتخاذ إجراء نحو العمامرة عزز الشكوك التي كانت تدور حوله . وفي سنة ١٨٩٦ جمع علي ـ أحد أبناء سلطان ـ أنصاره من البدو وحاولوا إغراء بعض آل بن علي الذين عادوا إلى البحرين للاشتراك معهم في الانتقام من العمامرة لكنه فشل في ذلك . إلا أن بعض آل بن علي الذين تعاطفوا معه غادروا البحرين وانضموا له في الغارية بقطر .. ومن الغارية ارتكبت عملية قرصنة على قارب تابع للبحرين ، وأعقبها عدة مناوشات وشغب بين بعض قوارب آل بن علي وبعض قوارب العمامرة كما هو مذكور في تاريخ قطر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

علاقات البحرين بتركيا خلال نفس الفترة
١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

بعد كبح جماح سياسة تركيا عقب فشل محاولة غزو البحرين من الزبارة في سنة ١٨٩٥ أصبحت السلطات العثمانية في الأرض المجاورة لا تمارس كثيراً من التدخل او الاهتمام بشئون الجزر .

وفي سنة ١٨٩٧ اقترح مكتب الصحة في القسطنطينية افتتاح مركز صحي في البحرين ، لكن المشروع رفض نتيجة معارضة الوفد البريطاني الذي أكد أن البحرين إمارة مستقلة تحت الحماية البريطانية . وفي ١٨٩٥ طلب الباب العالي الذي اعترف بسماحه بانشاء وكالة قنصلية بريطانية في البحرين من حكومة صاحبة الجلالة تقديم أوراق الاعتماد اليه ، ولكن تقرر الرد عليه بأن حكومة صاحبة الجلالة لا تعترف بحقوق الحكومة التركية في أن تقدم اليها اوراق الاعتماد بالنسبة للبحرين . وقرب نهاية سنة ١٩٠٠ اغتال بعض البدو من قبيلة مرة سلمان بن دعيج ابن عم شيخ البحرين كما قتلوا بضعة أفراد كانوا معه في الظهران وهم في رحلة صـــــيد وترد هذه الحادثة والنتائج التي أدت إليها ضمن تاريخ الأحساء .

★ ★ ★

العلاقات مع ايران خلال نفس الفترة
١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

مشكلة الوضع السياسي لاهالي البحرين في ايران ١٨٩٩ :

في سنة ١٨٩٩ أثار الوزير الفرنسي المفوض في طهران مشكلة حق أهل البحرين المقيمين في إيران في الحماية البريطانية بمناسبة شكوى قدمها أحد الرعايا الإيرانيين الحاصلين على الحماية الفرنسية ضد أرملة مواطن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من البحرين ، وكانت هذه المرأة ابنة عبد قد أعتق مؤخراً . وقد رفعت إلى الممثل السياسي البريطاني نظراً لاتهامات عديدة بسوء السلوك قدمها المسئول القنصلي الفرنسي ضد وكيل المقيمية البريطانية في لنجة ، وضد الوزير المفوض البريطاني . وبناء على اقتراح المقيم في الخليج -على ما يبدو- وتصديق حكومة الهند على هذا الاقتراح جاء بالرد أن شيخ البحرين مرتبط منذ سنة ١٨٨٠ باتفاقية تمنعه من عقد أية اتصالات مباشرة بينه وبين أية دولة أجنبية باستثناء بريطانيا . وأن رعاياه بالتالي تحت الحماية البريطانية .

زيارة مسئول من الجمارك الايرانية للبحرين ١٩٠١ :

وفي أول أغسطس سنة ١٩٠١ قام المدير البلجيكي للعوائد في إيران بزيارة للبحرين في باخرة إيرانية حكومية والتقى بالشيخ وأبلغه أنه مفوض من الشاه في أن يعرض عليه وضع موظفين إيرانيين للعوائد في البحرين ، على أن تكون مهمتهم هي فحص الأختام الموضوعة على شحنات السفن أثناء وجودها في آخر ميناء ايراني ثم إعادة فحص هذه الأختام بعد إبحار السفن من البحرين . كما زار هذا المسئول البلجيكي أيضاً الوكيل السياسي البريطاني في البحرين وأبلغه أن السفن التي ترفض الالتزام بهذه الإجراءات في البحرين ستطرد بعد ذلك من الموانئ الإيرانية .

وبعد احتجاج قدمه الوزير البريطاني المفوض في طهران عبّر رئيس الوزراء في إيران عن دهشته وأسفه لما حدث . وأعلن -وكذلك أعلن وزير الجمارك- أن هذه الإجراءات التي إتخذها مدير الجمارك لم تصدر له بتفويض من أحد .

★ ★ ★

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المصالح الامريكية في البحرين ١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

خلال هذه السنوات العشر التي نتناولها هنا بدأ المركز . الذي أنشأته الارسالية العربية التابعة لكنيسة الإصلاح الهولندية يستثير الاهتمام ، وكان هذا المركز قد انشيء في البحرين سنة ١٨٩٣ . وفي فبراير ١٨٩٩ طلب مستر زويمر مؤلف : « الجزيرة العربية ، مهد الإسلام » ورئيس هذه الإرسالية عون الرائد ميد المقيم السياسي البريطاني لشراء مقر للإرسالية لكن حكومة الهند رأت الا داعي لتدخل السلطات البريطانية في هذا الأمر وأشارت على مستر زويمر بأن يشتري الأرض التي يشاء . وبعدها بقليل بدأت الشكاوى تتواتر من شيخ البحرين وغيره من السكان من هجوم مستر زويمر والملتفين حوله على الدين الاسلامي . وكانت حكومة الهند تتلهف لاتخاذ إجراء من جانب حكومة صاحبة الجلالة لسحب هؤلاء المبشرين نتيجة ما يتهددهم من عنف محتمل . لذلك تم اتصال بين وزارة الخارجية وسفارة الولايات المتحدة الامريكية في لندن انتهت إلى إرسال خطاب من المكتب التبشيري الامريكي لمستر زويمر بتوخي منتهى الحرص اللازم في أداء واجباته .. وبعد أن فقدت أعمال هؤلاء المبشرين جدتها ، لم تعد ثمة شكاوى تتردد من شيخ البحرين او من رعاياه بشأنهم ، وفي إبريل سنة ١٩٠١ سأل مستر زويمر المقيم البريطاني عما اذا كان ثمة اتفاقية بين الحكومة البريطانية وشيخ البحرين تمنع هذا الأخير من أن يبيع ـ او يسمح ببيع ـ أرض للإرسالية العربية كي تقيم عليها مبنى لمستشفى .. ورد الرائد كومبول بأنه لا يعرف شيئاً عن وجود مثل هذه العقبة . وكانت حكومة الهند تميل إلى اعتبار رد الرائد كومبول متعارضاً مع الاتفاقية الشاملة لسنة ١٨٩٢ ، غير أن حكومة صاحبة الجلالة حسمت الأمر بأن ردت بأنه في مثل هذه الحالات التي لا يخشى فيها من انتقال حقوق السيادة .. أو أية حقوق إدارية أخرى . فلا داعي لإعلان نصوص هذه الاتفاقية (١٨٩٢) علناً .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد تم افتتاح اول مستشفى وعيادة خارجية في البحرين يضمان ٢١ سريراً بواسطة هذه الإرسالية في سنة ١٩٠٢ باسم «مستشفى ماسون التذكاري» . ومن اول نوفمبر سنة ١٩٠١ جددت حكومة الهند خدمات الطبيب الذى كانت ألحقته بالإرسالية العربية لفائدة الممثل السياسي في البحرين ، وفي سنة ١٩٠٣ ورغم قرار إنشاء «مستشفى الملكة فيكتوريا التذكاري » تقرر استمرار هذا الإجراء بالنظر إلى الخدمات التي تقدمها الإرسالية لمذكورة .

★ ★ ★

المصالح الالمانية في البحرين ١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

أدى إنشاء وكالة ألمانية تشتغل بتجارة اللؤلؤ في البحرين في سنة ١٩٠١ إلى إثارة عدة مشكلات سياسية ، فقد كانت هذه الوكالة فرعاً لمؤسسة في هامبورج هي تاروت وشتيركن وشركاهما ، وقد أنشأ هذا الفرع مستر ونكهاوس الذي كان شريكاً في فرع الخليج وعرفت باسمه ونكهاوس وشركاه . وكان مستر ونكهاوس هذا قد جاء إلى الخليج لأول مرة سنة ١٨٩٧ ، وظل مقيماً معظم الوقت في لنجة حتى سنة ١٩٠١ . وقد نجح أثناء زيارة لساحل عمان المتصالحة في الحصول على نسخ مدهشة في دقتها للاتفاقية المعقودة بين شيوخها وبين الحكومة البريطانية .. وإذا استثنينا وكالة المؤسسة البريطانية جراى وبول وشركاهم في بوشهر .. التي كان يمثلها منذ سنة ١٨٩٠ رجل من أهل البحرين يجيد الانجليزية في المنامة فقد كانت هذه الوكالة الألمانية اول وكالة أوروبية في البحرين .

منع استيراد المشروبات الروحية في البحرين ١٩٠٠ :

ولما كان لدى شيخ البحرين من الاسباب ما يحمله على الشك في أن هذه الوكالة الجديدة التى لم تكن افتتحت بعد ستميل إلى المتاجرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالمشروبات الروحية الرخيصة فقد نشر في سنة ١٩٠٠ أمراً يمنع تقديم المشروبات في البحرين وبمصادرة الشحنات الواردة منها إلى الجزر ، ولما كان هذا القرار لا يسري على الخمور التي يستوردها الاوربيون لاستهلاكهم الشخصي ، فلم تعترض حكومة الهند عليه .

مشكلة الوضع السياسي والحماية :

وسرعان ما برزت مشكلة شراء مستر ونكهاوس لبيت ، وحسمتها حكومة الهند في سنة ١٩٠٢ حين أفادت بأنه ما دامت القضية هي مجرد امتلاك قطعة من الأرض فقط فلا داعي للمعارضة في منح مستر ونكهاوس تصريحاً بذلك على أن يشرح له –هو وشيخ البحرين أيضاً– بأن هذا التصريح لا يعني على الإطلاق أية امتيازات إقليمية او يتيح أية علاقات مباشرة بين الممثل القنصلي لدولة أجنبية أو سواه من الممثلين السياسيين وبين حكومة البحرين .

وقد قررت حكومة الهند فعـــلا في سنة ١٩٠٠ متعلقاً بالسيد ونكهاوس أنه في حالة حدوث خلاف –تجاري أو غيره– بين واحد من رعايا دولة اوربية ومواطن من البحرين فعلى ممثل بريطانيا أن يمد حمايته لتشمل المواطن الاوربي ، وأن على الممثل البريطاني لدى الحاجة أن يؤكد حمايته له كما لو كان مواطناً بريطانياً .

★ ★ ★

المصالح الفرنسية في البحرين ١٨٩٥ ـ ١٩٠٤

في سنة ١٩٠٤ حين بدأ بعض رعايا فرنسا مشروعاً لصيد اللؤلؤ في الخليج بحث السفير الفرنسي في لندن ما إذا كان ثمة أي اعتراض على أن تصبح البحرين تابعة للوكالة القنصلية الفرنسية في بوشهر . وحين استشيرت حكومة الهند في ذلك اوصت بإرجاء الرد حتى تُسَوّى بعض المشكلات المعلقة بشأن صيد اللؤلؤ والتي نوردها في الملحق الخاص بذلك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولعلّه نتيجة ترحيل هؤلاء البحارة الفرنسيين من البحرين لم ترجع الحكومة الفرنسية مرة أخرى لتكرار ذلك السؤال .

★ ★ ★

قطع العلاقات بين الحكومة البريطانية وشيخ البحرين ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥

سوء سلوك علي بن احمد . مايو – سبتمبر ١٩٠٤ :

أشرنا من قبل إلى الخلاف بين الشيخ عيسى وابن شقيقه علي بن أحمد . وفي بداية سنة ١٩٠٤ يبدو أن خلافاً جديداً قد نشب بينهما لأن الشيخ عيسى شكا للمستر جاسكن في مايو من نفس السنة من أن علي بن أحمد يجمع حوله عدداً من الأشرار لخدمته ، وأنه قد بدأ يمارس أعمال العنف والابتزاز ضد الناس ، ويبدي إحتقاراً لعـمّه ، بل ويشق عليه عصا الطاعة . واقترح عقد مجلس العائلة من جديد لتسوية هذه الامور ، ولكن كان من المرغوب فيه تأجيل هذه الخطوة حتى يحدث التحسن المرتقب في التمثيل السياسي البريطاني في البحرين . وفي نفس الوقت وكما كشفت الأحداث اللاحقة هبطت سيطرة الشيخ الحاكم على مدينة المنـامه التي زارها مرات قليلة أولم يزرها على الإطلاق حتى إن أحداً لم يكن يجرؤ على الوقوف في وجه أعمال الفوضى والتخريب التي يقوم بها أنصار أحمد بن علي ومعظمهم من أشرار الزنوج .

اعتداء على وكالة ونشهوس وشركاه ٢٩ سبتمبر ١٩٠٤ :

وفي ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٠٤ حاول بعض رجال علي بن أحمد جمع الرجال بالسخرة لمهاجمة وكالة التاجر الألماني ونكهاوس ففتحوا أبواب الوكالة واعتدوا على أحد المساعدين فيها ـ وهو اوربي يدعى مستر باهنسون ـ كذلك اعتدوا على بعض الموظفين الاهليين في الوكالة . وكان علي بن احمد يشهد ما يحدث دون أن يبذل أي جهد لمنع رجاله من ارتكابه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مهاجمة الايرانين ١٤ نوفمبر ١٩٠٤ :

وفي مساء ١٤ نوفمبر وقع انتهاك آخر للقانون لكنه أكثر خطورة . فقد حدثت مشاجرة عرضية بين أحد عبيد أحمد بن علي وأحد خدم حاجي عبد النبي كبير التجار الإيرانيين في المنامة .. ولاحت الفرصة مناسبة أمام الحرس الخاص لأحمد بن علي كي يشنوا هجوماً على كل التجار الإيرانيين .. وارتفعت صيحاتهم تطالب «بقتل المارقين» وأرسل جاسم –أحد زعماء المسلمين السنيين في البحرين– الرجال الذين كانوا يصلون في مسجده للاشتراك في الأمر الذي تطور إلى حركة منظمة معادية للشيعة ، وقد لجأ الإيرانيون جميعاً إلى بيوتهم يحتمون بها ، واستخدمت العصي فقط في هذه الاضطرابات ورغم ذلك فقد أصيب والد حاجي عبدالنبي إصابات خطيرة ، كذلك جرح سبعة من الإيرانيين الآخرين جراحاً أقل خطورة . وقام الرئيس بريدو الوكيل السياسي الجديد في البحرين والذي بذل محاولات كثيرة فاشلة للوصول إلى تسوية لقضية مستر باهنسون ، بمقابلة الشيخ بسبب هذا الاضطراب ، لكن الشيخ رفض تدخله على أساس أن الإيرانيين مسلمون وبالتالي فلامعنى لتدخله في هذا الخلاف الذي ستحسمه محاكم الشرع الموجودة في البحرين . لكن هذه المحاكم –وأعضاؤها من السنة– لم يكن متوقعاً منها أن تنصف الإيرانيين . وأخيراً تم الاتفاق بين كابتن بريدو والشيخ عيسى على انتظار تعليمات المقيم العام الذي كان آنذاك يقوم بجولة في مكان بعيد . وقد ظل الإيرانيون مغلقين محلاتهم التجارية عدة أيام خوفاً من أن يعاود رجال أحمد سيرتهم ، وكان واضحاً أن الشيخ عيسى يخشى ابن شقيقه العاصي ولا يستطيع كبح جماحه .. لكن الأمن استعيد بوصول سفينة صاحبة الجلالة « رد برست » إلى البحرين في ٢٧ نوفمبر .

وفي نفس الوقت رفع المسئولون عن الوكالة الألمانية أمر هذه الحادثة الى القنصل الألماني في بوشهر الذي كتب فوراً ومباشرة للشيخ عيسى يطلب منه التعويض ، وردت السلطات البريطانية على خطابه هذا . كما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أبرق التجار الإيرانيون المتضررون إلى الشاه في أمر هذه الاحداث وقد أجابتهم السلطات البريطانية بأنها ستتخذ الإجراءات الكفيلة برد حقوقهم اليهم .

زيارة المقيم السياسي البريطاني للبحرين ٣٠ نوفمبر ـ ١٠ ديسمبر ١٩٠٤ :

ووصل ميجور كوكس المقيم السياسي البريطاني في الخليج إلى المنامة في ٣٠ نوفمبر وتولى قضية التاجر الألماني في البداية . وفي ١٤ ديسمبر تم التوصل إلى إتفاق بدفع مبلغ ١٠٠٠ روبية له كتعويض وجلد أربعة من الذين تزعموا هذا الهجوم علناً ثم منعهم من الإقامة في البحرين ، وانقضت الأيام الأربعة التالية في التحقيق في قضية التجار الإيرانيين دون التوصل إلى نتيجة . وحاول الشيـــــخ في البداية الزعم بأن الإيرانيين هم الذين بدأوا بالعدوان لكن الأدلة كلها كانت ضد زعمه هذا فرجع إلى موقفه الأصلي وقال إن هؤلاء الإيرانيين خاضعون لحكمه هو فقط ويجب أن تعرض هذه القضية على محـاكم البحرين . وكان وضع الإيرانيين من حيث هم أجانب يعيشون في جزر تحت الحماية البريطانية ، إلى جانب الظلم المتوقع الذي لا مهرب منه لو عرضت القضية على المحاكم السّنية يحتّم عدم التنازل عن هذا المبدأ ، ووصلت القضية إلى طريق مسدود . فغادر الميجور كوكس البحرين في ١٠ ديسمبر وأبلغ الأمر لحكومته وترك سفينة صاحبة الجلالة «رد برست» لتحافظ على النظام في المنامة . وبفضل تعهد من جانب الشيخ بترحيل أحمد بن علي وأنصاره من البحرين خلال اسبوع من رحيل المقيم ، أبحر الشاب العاصي بعد ثلاثة أسابيع متوجهاً إلى قطر يوم ١٧ ديسمبر ، وكان آخر عمل قام به هو استيلاؤه على ثلاث سفن صغيرة فيما كانت تعمل في تفريغ حمولة الباخرة البريطانية « كانجرا » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقديم إنذار لشيخ البحرين ٢٥ فبراير ١٩٠٥ :

وفي ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٥ رجع الميجور كوكس إلى البحرين تحمل هذه المرة أوامر رسمية بمطالب حكومة صاحبة الجلالة من الشيخ عيسى . وقد صدر التفويض له بأن يستخدم كل الوسائل التي تبدو ضرورية ـ بما في ذلك القوة البحرية . وقد اجتمع الآن الطواف «فوكس» والقارب المسلح «سفنكس» إلى جانب السفينة الحربية «رد برست» ـ في الميناء . واتخذت إجراءات إنزال قوة قوامها ١٥٠ جندياً لحماية ارواح وممتلكات الاجانب في حالة اضطرار السفن الحربية للقيام بعمل يطلب منها . وفي صباح يوم ٢٥ فبراير سلم إنذار للشيخ عيسى ، وتركت له مهلة ٢٤ ساعة لتنفيذ نصوصه . وكانت الحكومة البريطانية تطالب بابعاد ستة رجال حددت شخصياتهم ، وثبت أنهم كانوا من زعماء الهجوم على التجار الإيرانيين من البحرين ، ومعهم اولئك الأربعة الذين عوقبوا من قبل بالنفي لكنهم عادوا إلى الجزيرة ، ودفع مبلغ ٢٠٠٠ روبية كتعويض لهؤلاء التجار عن طريق الوكيل البريطاني ، وان يوضع رجال من حرس الشيخ لحماية سوق المنامه ، وأن يبعد علي بن احمد عن البحرين ولا يسمح له بالعودة لمدة خمس سنوات ، وأخيراً أن يمنع عمل السخرة للاجانب بقانون عام .

وقد أنذر الشيخ ـ في نص المذكرة التي سلمت اليه ـ بأن الحكومة البريطانية لا تستطيع تحمل أي رفض لنصائحها في المستقبل ، وأنه إذا استمر على موقفه هذا غير الودي فستسحب هذه الحكومة عونها عنه ، وقد تتخذ تجاهه موقفاً مضاداً ، وأخيراً جاء في هذه الوثيقة أن تنفيذ النصوص المتعلقة بعلي بن أحمد وغيره من المعتدين يقتضي تسليمهم إلى الوكالة البريطانية ومنها سينقلون على ظهر سفينة حربية إلى أماكن محددة وخلال هذا اليوم زعم الشيخ عيسى أن أحمد ينتوي الهرب وطلب

(١) قرر الميجور كوكس ضرورة حضور المطلوب تسليمهم شخصيا ليمكن التعرف عليهم بعد ذلك لاحتياطات الامن في المستقبل ، علاوة على أنه لم يكن يستطيع ضمان تنفيذ أمر ابعادهم الا بنقلهم من البحرين على سفينة بريطانية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المعونة للقبض عليه في بيته . وحين وصله العون المطلوب تبين أن علياً قد استطاع الهرب بالفعل ، وأنكر الشيخ أن تكون له أية علاقة بهرب علي ، وعرض أن تبحث قواته عن الهارب في كل أنحاء الجزر عندما يهبط الليل ، ووافق ايضاً على إبقاء ابنه حمد كرهينة على ظهر السفينة « سفنكس » .

خضوع شيخ البحرين لمطالب بريطانيا ٢٦ فبراير ١٩٠٥ :

وفي الساعة الثامنة والنصف من الصباح التالي –وقبل انتهاء مدة الإنذار بنصف ساعة– وصل الشيخ عيسى إلى الوكالة البريطانية يصحبه ابناه حمد وعبدالله ، وهو يحمل مبلغ الغرامة المطلوبة ، والإعلان الخاص بوقف أعمال السخرة .. وأعلن أن الحرس المخصص لحراسة السوق موجود ومستعد للتفتيش . أما علي والأشخاص العشرة المطلوب تسليمهم فقد قال إنه لم يستطع العثور عليهم . وظل الشيخ يؤكد طيب نواياه ، وعاون في الاستيلاء على بيت ابن أخيه المتمرد ومنقولاته ، كذلك قواربه التي تم إحراقها . وفي ٢٨ فبراير وبعد تأكيد الشيخ عيسى أن علياً وأنصاره قد هربوا من الجزر إلى الأرض المجاورة وأصبحوا خارج نطاق سيطرته ، قرر الميجور كوكس على أساس تعهد الشيخ بدفع مكافآت سخية لمن يقبض على أحد منهم بأنه لا ضرورة لاتخاذ إجراءات جديدة .

وقد اقترحت حكومة الهند أن تتولى الإشراف على جمارك البحرين في ظروف خاصة ، غير أن حكومة صاحبة الجلالة لم توافق على هذا . وكانت الوسيلة الوحيدة للضغط في هذا السبيل على الشيخ عيسى بعد قبوله معظم ما جاء في الإنذار هي ضرب البحرين من البر ، وكان ميجور كوكس يرى ألا ضرورة لهذا الإجراء . ثم أطلق سراح حمد –الذي كان أخذ كرهينة– كتعبير عن إمكان قيام علاقات ودية في المستقبل وقدم الشيخ هدية من جانبه قطعة أرض كانت الوكالة تود شراءها منه . وقبل مغادرة المقيم في ٤ مارس لرفع الأمر للحكومة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التقى بملا جاسم وملا أحمد زعيمي المسلمين السنة في البحرين ووجه اليهما إنذاراً ، وكان هذان وأنصارهما قاموا بدور في الاضطراب الذي نسب إلى شريده في سنة ١٨٩٩ كما نسب أيضاً إلى محمد بن عبدالوهاب أحد رعايا تركيا في دارين ، وكان الرجلان من أسوأ مستشاري الشيخ (١) .

علي بن أحمد يسلم نفسه :

وقد رأت حكومة الهند أن النتيجة التي أمكن التوصل اليها كانت نتيجة مرضية عموماً ولكن استمرار وجود علي مطلق السراح كان أمراً ينطوي على شيء من التهديد للمنامة . وأخيراً في ١٨ يوليو سنة ١٩٠٥ سلم علي بن أحمد نفسه طواعية لأنه بعد أن ألف الحياة الناعمة في البحرين لم يستطع الصبر على حياة التجول والشظف بين بدو قطر ، وأثناء غيابه عن البحرين تباحث غير مرة في الشروط التي يمكن أن يعود بموجبها إلى البحرين ، وقد ذكر له رداً على تساؤله بأن الاوامر القديمة بشأنه ما زالت سارية المفعول . . وأما فيما يتعلق بالتفاصيل فعليه أن يثق بعدالة الحكومة البريطانية وتقديرها . وكان مع علي حين سلم نفسه أربعة من الرجال المطلوب تسليمهم وكذلك مجموعة من خدمه . وقد تقرر إبعاد علي بن أحمد ليقيم كسجين سياسي في بومباي براتب قدره ٦٠٠ روبية في كل شهر ، أما باقي الرجال فيسجنون لمدة ستة أشهر في السجن المركزي بحيدر آباد في السند . وقد وجه إنذار لحمد ولي العهد الذي كان مسلكه في هذه الأزمة غير مرض كمسلك أبيه جاء فيه أن اعتراف حكومة الهند به ولياً للعهد أمر يتوقف على سلوكه في المستقبل .

---

(١) أدى ملا جاسم الى احداث اضطراب في البحرين سنة ١٨٩٢ حين أشار على الشيخ بأن يزيد رسوم الوفاة بحيث تصبح ½٪ الميراث .. وأثار هذا القرار سخط المسلمين في البحرين مما أدى الى ايقافه بسرعة . أما محمد بن عبد الوهاب فيبدو أنه هو نفس الرجل الذى أحدث بعض الاضطراب في قطر سنة ١٨٨٦ ـ ١٨٨٧ .. والذى خلف أباه كوزير لشيخ البحرين في ١٨٨٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشئون الخارجية والمصالح الاجنبية ... الخ
في البحرين ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧

مكانة بريطانيا في البحرين :

لا شك في أن ازمات سنة ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ قد دعمت وضع ونفوذ بريطانيا في البحرين وكانت العلاقة بين شيخ البحرين والوكيل السياسي البريطاني تتحسن ببطء وثبات خلال السنة التالية رغم أن الشيخ استمر يرى في النصائح التي يقدمها له الوكيل البر يطاني انتقاصاً من سلطته في الشئون الداخلية . وظلت التجارة الخارجية على توسعها ونموها السريع وزادت في سنة ١٩٠٥–١٩٠٦ بنسبة ٥٧,٥٪ عن أحسن سنة ازدهرت فيها من قبل ، وفي سنة ١٩٠٦–١٩٠٧ زادت ايضاً بنسبة قدرها ٥,٥٪ـ عن السنة السابقة ، وبلغ حجم الاموال المستثمرة فيها ٤٧,٣٨٨,٢٠٢ روبية .

لكن الأحوال لم تكن مرضية على هذا النحو في كل النواحي . فلم يحدث أي تقدم في مشكلة إصلاح نظام العوائد الذي كانت الحكومة البريطانية تهتم به اهتماماً كبيراً . وكانت تجارة المهربات والمحظورات رائجة على نطاق كبير مع إيران .. وذلك أساساً لسببين : ازدياد حجم التجارة من ناحية .. ثم رغبة الشيخ في عدم تدخل أية دولة في نظام العوائد من الناحية الأخرى .

كما كان ثمة شعور أيضاً بأن جوانب كثيرة من الإدارة الداخلية في البحرين لم تكن على مستوى الدولة التي تفرض عليها الحماية . وكانت تجارة الرقيق ما زالت ناشطة .. فالرقيق يستورد دون اعتراض من قطر والأحساء وأحياناً من صور في سلطنة عمان . وكان هناك اضطهاد على مستوى كبير للرعايا .. لا من جانب شيخ البحرين وأفراد أسرة آل خليفة فقط . بل ومن جانب صغار المسئولين وجامعي الضرائب وبعض القضاة ممّن اعتادوا استخدام مناصبهم لفائدتهم الشخصية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان معظم الظلم يقع على عاتق المواطنين المشتغلين بالزراعة .. والذين كانوا يعيشون في حالة واضحة من البؤس متعرضين لأعمال السخرة وغيرها من المشاق .

وقد أثير موضوع البحث عن حل لهذه المشكلات جميعاً ، وعن مزيد من التحديد والوضوح لعلاقات البحرين الخاضعة لبريطانيا العظمى بعد أزمات ١٩٠٤ــ١٩٠٥ . ورفع الأمر مباشرة إلى حكومة صاحبة الجلالة التي قررت بدورها اتبــــاع سياسة حذره تحصر عمل السلطات البريطانية في البحرين في توجـــيه السياسة الخارجية للشيخ والسيطرة عليها . أما إصلاح الإدارة الداخلية فالسبيل إلى تحقيقه هو السبيل السلمي غير المباشر عن طريق ممارسة مزيد من النفوذ على الشيخ وبكسب المزيد من ثقته .

وفي سنة ١٩٠٥ فوض الوكيل السياسي باعتاق العبيد كلما وجد فرصة مناسبة لهذا الإجـــــراء دون الرجوع إلى المقيم العام في بوشهر . وفي هذه السنة وفي سنة ١٩٠٦ بذلت محاولات للحصول على تصديق من شيخ البحرين على وعد غير رسمي قطعه بعض زعماء البحرين في سنة ١٨٩٥ لقائد سفينة صاحب الجلالة «بيجون» بأنهم لن يبيعوا أو يشتروا أو يتعاملوا بالرقيق في المستقبل .. غير أن هذه المحاولات لم يكن لها أثر يذكر .

عمليات مسح وسواها :

وفي موسم ١٩٠٤ــ١٩٠٥ انتهت عملية مسح بحرية لخور القليعة أجرتها سفينة صاحبة الجلالة «رد بريست» بقيادة القائد سومرفيل . وفي ١٩٠٥ تمت عملية مسح برية لجزر أرخبيل البحرين ورسمها بنسبة بوصة واحدة لكل ميل . وفي شتاء ١٩٠٦ــ١٩٠٧ حدثت عدة عمليات حفائر بحثاً عن المدافن الترابية التي تشتهر بها البحرين .. وقد اجريت هذه العمليات باشراف الكابتن بريدو الوكيل السياسي بالقرب من عوالي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العلاقات التركية :

وقد أفصحت تركيا عن اهتمام كبير بالأزمة التي نشبت بين الحكومة البريطانية وشيخ البحرين في سنة ١٩٠٤–١٩٠٥ ورغم تذكيرها مراراً بأن البحرين ورعاياها إنما هم خاضعون جميعاً للحماية البريطانية فقد استمرت تطالب الحكومة البريطانية بتفسير لما حدث حتى قطعت حكومة صاحب الجلالة هذه المشكلة برفض استمرار المناقشة . وباستثناء فترة قصيرة من خريف ١٩٠٥ إلى ربيع سنة ١٩٠٧ فإن البريد الرسمي التركي ظل ينقل من العراق إلى الأحساء عن طريق البحرين .. كما كان منذ زمن طويل . وفي سنة ١٩٠٧ تأكد أن موظفاً تركياً كان موجوداً في البحرين بهدف إعداد الترتيبات اللازمة لذلك . وكان أقرب أقرباء الشيخ عيسى وأهم مستشاريه هو محمد بن عبد الوهاب من دارين ، وكان له نفوذ كبير على الشيخ .. وفي سنة ١٩٠٦ انتشرت شائعات — واضح أنها لم تكن جميعاً بلا أساس — بأن الشيخ يود ان يضع نفسه تحت حماية تركيا .

العلاقات الايرانية :

أما الحكومة الإيرانية فرغم أنها وافقت شاكرة ممتنة على الإجراءات التي اتخذتها السلطات البريطانية في سبيل تعويض رعايا إيران الذين منوا بخسائر في اضطرابات سنة ١٩٠٥ ، فقد عادت في نفس السنة إلى تأكيد مزاعمها القديمة بالسيادة على البحرين ، وقد رفضت أن تعترف لمواطني البحرين –المقيمين في إيران– بأية حقوق تزيد عن حقوق المواطنين الإيرانيين . وفي فبراير سنة ١٩٠٦ –وبعد مناقشة طويلة ودون تعليمات محددة من حكومة صاحب الجلالة– أعلن ممثل بريطانيا في طهران أن للحكومة البريطانية حق الوقوف إلى جانب رعايا البحرين في إيران ، وأنها ليست مستعدة لتقبل مزيد من مزاعم إيران في البحرين مما اعتبر الآن « موضوعاً غير قابل للمناقشة » .

لكن المشكلة تجددت مرة أخرى في سبتمبر سنة ١٩٠٦ من جانب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كبير وزراء ايران الذي أشار في خطاب له إلى اتفاقية كابتن بروس التي لم يكن مفوضاً بعقدها في سنة ١٨٢٢ . وجاء في الرد على خطاب الوزير بهذا الصدد أن الاتفاقية التي يعنيها – ما دامت حكومة صاحبة الجلالة لم تصدق عليها – قد اعتبرت لاغية ونقل الكابتن بروس المسئول عن عقدها بعد ذلك من وظيفته ، وأن شاه إيران سحب من جانبه تصديقه على تلك الاتفاقية ووجه اللوم لأمير شيراز لأنه دخل في مثل تلك المفاوضات دون تفويض منه .

مصالح المانية وفرنسية وغيرها :

وفي ١٩٠٦ افتتحت شركة هامبورج الألمانية الامريكية للملاحة خطاً للخدمة في الخليج ووصلت أولى سفن هذا الخط الجديد «كانديا» إلى المنامة في ٢٦ أغسطس . وعين مستر ونكهاوس – ولم تكن أعماله الخاصة تسير على ما يرام – وكيلا للشركة في البحرين حيث قام بمحاولات للحصول على امتياز رفع علم هذا الخط الملاحي على بيته ، لكن الشيخ كان مصراً على رفض منحه مثل هذا الامتياز .

وفي صيف سنة ١٩٠٥ زارت البحرين أسرة فرنسية مهتمة بأمور عامة كصيد اللؤلؤ ولحق بها هناك مسيو جوجير – عدو الانجليز الشهير وتاجر السلاح في مسقط – ويبدو أن هذا الرجل كان وراء الخطابات التي يشكو فيها الشيخ عيسى من معاملة السلطات البريطانية له ، والتي أرسلها عقب وقت قصير إلى وزير الدولة لشئون الهند ، ولنائب الملك في الهند .

وفي سنة ١٩٠٥ داهم وبأ الطاعون البحرين مرة أخرى خلال فترة ثلاث سنوات – كما هو مبين في الملحق الخاص بالأوبئة – وكان من أهم ضحاياه هذه المرة شريده الشهير . وفي ١٩٠٦ كان الشيخ يميل إلى فرض ضريبة خاصة على اليهود الذين استقر منهم حوالي الخمسين في جزر البحرين خلال السنوات العشر الأخيرة لكنه رضخ لنصيحة الوكيل السياسي البريطاني للعدول عن هذه الضريبة الجديدة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملحق رقم (١)
الاتفاقية الاستثنائية بين شيخ البحرين والحكومة البريطانية ، ١٣ مارس سنة ١٨٩٢

أقرّ أنا –« عيسى بن علي» شيخ البحرين– في وجود الليفتنانت – كولونيل أ. س. تالبوت المقيم السياسي في الخليج – بأنني بكامل إرادتي أرتبط واوافق– باسمي وباسم ذريتي ومن يخلفني على ما يأتي : –

أولا : ألا أكون طرفاً في أية اتفاقيات أو اتصالات بأية دولة أجنبية عدا بريطانيا العظمى .

ثانياً : ألا أسمح –دون موافقة الحكومة البريطانية– باقامة وكيل أو معتمد لاية دولة أجنبية على أرض البحرين .

ثالثاً : ألا أبيع أو أؤجر أو أرهن أو أمنح بأية طريقة أخرى أي جزء من أجزاء البحرين لاحتلال دولة أجنبية سوى بريطانيا العظمى .

مؤرخ في البحرين .. ١٣ مارس ١٨٩٢ الموافق ١٤ شعبان ١٣٠٩

توقيع
عيسى بن علي
شيخ البحرين

توقيع
أ. س. تالبوت
ليفتانانت كولونيل –مقيم الخليج

لاندسدون
نائب الملك وحاكم عام الهند

صدق عليها صاحب السعادة نائب الملك وحاكم عام الهند في سيملا يوم ١٢ مايو ١٨٩٢ .

ه. م. دوراند
وزير الدولة لشئون الهند – وزارة الخارجية

★ ★ ★

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل السادس

تاريخ الاحساء ٠٠ (١)
الاحتلال الوهابي الاول للاحساء ١٧٩٥ ـ ١٨١٨

غزو الوهابيين للأحساء حوالي سنة ١٧٩٥ :

حين ظهر الوهابيون للمرة الاولى من داخل شبه الجزيرة إلى شطآن الخليج كان شيوخ قبيلة بني خالد هم حكام الأحساء ، وكانوا يمثلون إدارة وحكماً منظماً فيها قبل أن يغزوهم هؤلاء المتعصبون . وكان حكم بني خالد معتدلا ومشجعاً للتجارة ، ففي سنة ١٧٩٠ كانت ضريبة الاستيراد في ميناء القطيف لا تتجاوز ١٪ وكان التجار الأجانب يلقون معاملة طيبة .. وكانت هناك حركة تجارية مزدهرة لا بأس بها مع نجد . وكان مقر شيوخ بني خالد في واحة الأحساء .

(١) المراجع الوحيدة ـ باستثناء تقارير حكومة الهند ـ التي تتناول الاحداث في الاحساء وما حولها هي « يوميات سادلر » لرحلته عبر الجزيرة العربية (في سنة ١٨١٩) المنشورة في سنة ١٨٦٦ ، وكتاب بالجريف عن « وسط وشرق جزيرة العرب ٠٠ » المنشور في سنة ١٨٦٥ ٠٠ وكلا الكتابين وصفي أكثر منه تاريخي ٠ أما أكثر المصادر فائدة ـ وهي تلك التي تعتمد على وثائق رسمية ـ فهي : سجلات بومباي رقم (٢٤) سنة ١٨٥٦ وفيها تلخيص للمراسلات المتعلقة بشئون الخليج للفترة من ١٨٠١ ـ ١٨٥٣ اعداد ج٠ أ٠ سالدانها المنشور سنة ١٩٠٦ ٠ وتلخيص للتوسع التركي في أرض الجزيرة العربية ، لنفس المؤلف ، منشور سنة ١٩٠٤ ، وتلخيص أحوال البحرين من ١٨٥٤ ـ ١٩٠٤ له أيضا ، وقد نشر في ١٩٠٤ ٠ وتلخيص أحوال قطر ، لنفس المؤلف ، عن الفترة من ١٨٧٣ ـ ١٩٠٤ المنشور في ١٩٠٤ ، والتقارير الادارية السنوية للمقيمية السياسية في الخليج ٠ أما تاريخ لو عن البحرية الهندية فيقدم بعض التفاصيل المهمة عن عمل البحرية البريطانية على ساحل الاحساء ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعزيز مركز الوهابيين في الأحساء ١٧٩٥ – ١٨١٠ :

وحوالي سنة ١٧٩٥ استطاع أمير الوهابيين أن يقضي على حكم بني خالد ونجح في احتلال جزء من الأحساء ، وجعلها قاعدة يمد منها نفوذه نحو الكويت والبحرين وقطر وعمان ، وتاريخ الوهابيين في كل من هذه الأقاليم موجود في الجزء الخاص بكل منها . ولن نهتم هنا إلا بأحداث الأحساء والقطيف والصحاري المجاورة لهما فقط .

وفي سنة ١٧٩٩ حدث أول اشتباك مسلح بين قوات العثمانيين والدولة الوهابية الجديدة .. لكن هذه الحملة تخص تاريخ نجد قبل أي شيء آخر .. ولهذا فهي مذكورة هناك .

وفي سنة ١٨٠٠ استولى الوهابيون على مدينة القطيف بالقوة بعد ارتكاب مذابح رهيبة بين أهلها . وفي ١٨٠١ كانت المعارضة للحكم الوهابي ما تزال مستمرة .. أو لعلها انبعثت من جديد في الأحساء .. لأنه قد ذكر في هذه السنة أن الاتصال قد انقطع بين القطيف ونجد، وان التجارة وسط الجزيرة مع الهند ، وكانت تتبع دائماً طريق الأحساء ، قد أصبحت تتخذ طريقها مروراً بالبصرة فالكويت ، لكن وضع الوهابيين في الأحساء كان قد تدعم في سنة ١٨٠٢ إلى حد جعلهم يعترفون بأنهم يقدمون المساعدات للعتوب في البحرين للخلاص من نير حاكم مسقط . وفي سنة ١٨١٠ ضمت جزر البحرين والأقاليم المجاورة لها في القطيف وقطر في حكومة وهابية واحدة ، عهد بها إلى عبدالله بن عفيصان . وكانت البحرين هي مقر هذه الحكومة . وفي سنة ١٨١١ أرغم تقدم القوات المصرية أمير الوهابيين على سحب حامياته العسكرية التي كان قد جعلها في الهفوف والقطيف ، ولكن نفوذ الوهابيين في سنة ١٨١٤ –ورغم أنه قد انتهى تماماً من البحرين– كان ما يزال سائداً في الأحساء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استقرار رحمة بن جابر في الاحساء

قلعة رحمة بن جابر :

بني رحمة بن جابر القرصان الشهير من الجلاهمة العتوب الذي كان مستقراً في خور حسان في قطر قلعة لنفسه في الدمام على ساحل الأحساء إلى أقصى الجنوب من واحة القطيف .

الوهابيون يطردون رحمة بن جابر ١٨١٦ :

وظل رحمه مقيماً بالأحساء كممثل لمصالح الوهابيين ونصير لهم حتى سنة ١٨١٦ حين تخلى عن مناصرة قضية الوهابيين واشترك مع سيد عمان في هجوم على البحرين التي كانت إلى حد ما تحت حماية الوهابيين ، وبعدها وجد نفسه مرغماً على أن يعبر الخليج ويلتمس له مأوى على الأرض الإيرانية . وفي يوليو سنة ١٨١٦ ، وقبل أن يرحل رحمة نهائياً عن الساحل العربي دمر الوهابيون قلعته في الدمام .

★ ★ ★

الاحتلال المصري الاول للاحساء ١٨١٨ ــ ١٨١٩

وصول القوات المصرية إلى الأحساء ١٨١٨ :

بعد أن استولى ابراهيم باشا قائد القوات المصرية على الدرعية عاصمة الوهابيين في سبتمبر ١٨١٨ نقل أهل المدينة إلى الأحساء ، ثم سار هو بنفسه إلى هناك ، ويبدو أنه كان يهدف إلى ضم هذا الإقليم الخصب نسبياً إلى مقره الاداري في الجزيرة العربية .

ونحن لا نعرف عن حركة القوات المصرية في الأحساء إلا أقل التفاصيل ، ولكن يبدو أن رحمة بن جابر كان يقدم معونته لإبراهيم باشا ــ وقد جاء لهذا الغرض من بوشهر ــ باخضاع ميناء الوهابيين في القطيف بنيران المدفعية . واستفاد رحمة من تفاهمه الكامل مع القوات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المصرية فعاد للاستقرار في الدمام وبدأ من جديد بناء حصنه الذي دمره الوهابيون في العام السابق . وفي نهاية سنة ١٨١٨ وصلت قوات كبيرة من العرب من ساحل القراصنة على ١٧ سفينة حربية لمعونة الوهابيين ضد القوات المصرية ، لكن وصولها جاء متأخراً جداً . وعادت القوات إلى مقرها بسلام عن طريق البحرين .

★ ★ ★

الاحداث خلال احتلال المصريين الاول للاحساء ١٨١٨ ـ ١٨١٩

رحلة الكابتن سادلر في الأحساء ثم جلاء القوات المصرية عن هذا الاقليم ١٨١٩ :

وفي ظهر يوم ١٨ يونية ١٨١٩ وصل الكابتن ج . فورستر سادلر من فرقة صاحبة الجلالة ٤٧ إلى ساحل الأحساء في مهمة خاصة لإبراهيم باشا ، على نحو ما هو موجود بالتفصيل في تاريخ عمان المتصالحة ، لكن مرشداً جاهلا من بوشهر كان مسافراً على ظهر سفينة شركة الهند «فستال» أرشد السفينة خطأ إلى ساحل رملي ظلت جانحة فيه طول الليل . وتباطأت السلطات المصرية على الساحل في تقديم معونتها ، ولكن بعد ظهر يوم ١٩ يونيو ، وصل وفد للتهنئة من رحمة بن جابر إلى ظهر السفينة . وفي اليوم التالي وصلت السفينة بسلام إلى ميناء القطيف بإرشاد اثنين من المرشدين الأذكياء أرسلهم رحمة . وكان كابتن سادلر ينوي أن يجعل من العقير نقطة انطلاقه إلى داخل الأحساء غير أن رحمة بن جابر ونائب الحاكم المصري في القطيف استطاعا خداعه وإقناعه بالرسو في سيهات إلى أقصى الجنوب من واحة القطيف . فوصلها يوم الاثنين ٢١ من نفس الشهر ، وأدى هذا التغيير في الخطة ـ الذي لا نستطيع أن نلوم كابتن سادلر من أجله ـ إلى ضياع عدة أيام هامة جداً مما ساهم في إفشال مهمته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقد كان المصريون وقت وصول الكابتن سادلر ، قد اقتنعوا بضرورة تركيز قواتهم في شبه الجزيرة ، وكانوا على وشك الجلاء عن الأحساء ، وكانت الأوامر قد صدرت لخليل آغا —نائب الحاكم المصري في القطيف— بالرجوع إلى الهفوف مع اثنين من مساعديه ، وأن يعهد بالقطيف إلى مشرف ، هو ابن شقيق الشيخ محمد شيخ بني خالد . ولم يكن الطريق مأموناً بين القطيف والهفوف حيث بدأت حوادث الهجوم على البعثات المصرية بين الهفوف ومقر قيادة إبراهيم باشا في نجد .

وكان خليل آغا ، وكل قوته لا تتجاوز ٦٠ عربياً مأجوراً انصرف معظمهم ، تد بدا عاجزاً عن القيام بعمل كبير . وقبل الكابتن سادلر عرض شيوخ بني خالد بأن يصحبوه في رحلته ، فخرج من سيهات يوم ٢٨ يونيو سنة ١٨١٩ تحت حماية المشرف لكن مسلك هذا الرجل في الصحراء كان « كالوحش الضاري الذي وجد فريسته بين يديه» ولم يكن سلوك الشيخ محمد الكبير الذى كان عاجزاً وأصم أو سلوك شقيقه ماجد أفضل من سلوك المشرف . ولم يصل كابتن سادلر إلى الهفوف قبل يوم ١١ يوليو بعد أن سُحِبَ في جولة طويلة إلى آبار بدراني وعزيز المليحة وأبواب وأم ربيعه والحفيره وعيندار ودميجة ، وقرية عيون . وفي كل هذه الاماكن تعرض كابتن سادلر لارهاق وقلق لا حد لهما ، وكان عليه الخضوع لما يأمره به البدو في كل هذه الأماكن .

وفي الهفوف لقي المبعوث البريطاني استقبالا حسناً من جانب محمد أغا الكاشف أو الحاكم المصري في الأحساء الذي تلقى أوامر فيما بعد بأن يسلم الإقليم لشيوخ بني خالد ويلحق بإبراهيم باشا في سدير ومعه الحامية المصرية في الأحساء ، ولم تكن هذاه الحامية تضم وقتذاك أكثر من ٢٥٠ رجلا ، وكان الضباط المصريون الذين التقى بهم الكابتن سادلر مبتهجين لاستدعائهم إلى مقر القيادة بعد أن أرهقتهم فترة طويلة من العمل في ظروف قاسية ومناخ صعب . وقد أبدى محمد أغا اهتماماً كبيراً بمهمة الكابتن سادلر ، وعرض عليه أن ينتظر ويصحبه في الانسحاب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى مقر القيادة الذي كان محدداً له يوم ٢٢ يوليو ، لكن محمد أغا -بعد أن قدم لكابتن سادلر بعض الإمدادات-تسلل وحده يوم ٢١ يوليو ، وتبعه كابتن سادلر في اليوم التالي مع الجزء الأكبر من القوات المصرية . وفي يوم ٢٤ يوليو وقبل ان يخرج من إقليم لأحساء إلى نجد مر كابتن سادلر -مرة ثانية- بآبار أم ربيعه . وأثناء وجوده في الهفوف عرف أن الغزاة المصريين كانوا قد انتهجوا كل وسيلة ممكنة لتعزيز سلطتهم في الإقليم الذي احتلوه ، وعرف أيضاً أن الأهالي كانوا ينتظرون رحيلهم بفارغ الصبر .

ويبدو أن إبراهيم باشا كان يعتقد أنه حين يضع حامية في عنيزه بوسط الجزيرة يستطيع أن يظل على اتصال بالأحساء وأن يأخذ الجزية بشكل منتظم من شيوخ بني خالد الذين أطاح الوهابيون بسلطتهم ، لكنها عادت بعد رحيل القوات المصرية .

وجود وكيل بريطاني في القطيف : ١٨٢٣

ووقت زيارة الكابتن سادلر لم يكن بالقطيف هندوكي أو مسيحي واحد ، ولم يكن يجرؤ أحد على التفكير في أن يعمل وسيطاً أو سمساراً أو ما إلى ذلك . فكل من كانت تبدو عليه امارات الثراء يطالبه المصريون بالمساهمة المادية . ولكن في سنة ١٨٢٣ وأثناء رحلة المقيم السياسي على طول الشاطىء العربي كان يوجد وكيل وطني لمقيمية بوشهر في القطيف اقترح الملازم ماكلاود انتقاله إلى الشارقة على ساحل القراصنة .

★ ★ ★

أعمال رحمة بن جابر ١٨١٨ - ١٨٢٦

ترتيبات لاحلال السلام بين رحمة بن جابر والعتوب في البحرين ١٨٢٤ :

بعد أن عاد رحمة بن جابر مرة أخرى للاستقرار في الدمام سنة ١٨١٨ أثناء احتلال القوات المصرية للاحساء بدأ في مضايقة العتوب في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البحرين وأصاب في ذلك نجاحاً متزايداً ، وأدى هذا الصراع العنيف إلى اضطراب الأمن في البحر اضطراباً جعل السلطات السياسية البريطانية تتبع كل الوسائل فيما بين ١٨٢٢ و ١٨٢٤ كما هو مذكور في تاريخ البحرين لتسوية الأمور بين الطرفين المتنازعين . واخيراً في فبراير ١٨٢٤ -وكما جاء في تاريخ البحرين- عقد الصلح بين الطرفين بشرط ألا يتدخل رحمة لمنع شيخ البحرين من إيقاع العقاب بقبيلة آل بوسميط المتمردة التي كانت استقرت مؤخراً تحت حماية رحمة في الدمام .

أحداث أخرى في سنة ١٨٢٤ :

ثم قام رحمة بن جابر بزيارة لمسقط ، ولدى عودته إلى الدمام سار مباشرة لحصار القطيف التي كان أهلها قد توقفوا عن دفع الجزية -أو فلنقل الأتاوة- التي كانوا يؤدونها له في مقابل حماية تجارتهم في البحر . وكان رحمة في ذلك الوقت يقترب من السبعين وقد أدى سوء الحظ إلى ضياع جانب كبير من مصادره المادية ، لكنه كان كما هو دائماً من حيث قوة العزم وروح الإصرار . وقد عمد شيخ بوشهر بأمر من حكومة شيراز التي اسخطها عقد الصلح بين رحمة والعتوب إلى احتجاز عائلة أحد أبناء رحمة هناك . ولجأ هذا إلى السلطات البريطانية يطلب منها أن تأذن له بإعلان الحرب على شيخ بوشهر ، لكن المسألة سويت بعد إطلاق سراح هؤلاء المحتجزين وعودتهم إلى الدمام بفضل تدخل المقيم البريطاني في بوشهر . وفي نفس الوقت فإنه بسبب خضوع أهل القطيف وربما استيلاء رحمة على بعض السفن أثناء عملياته ضدهم استطاع التخفف من مشاكله المالية .

حصار رحمة بن جابر للقطيف ١٨٢٥ :

وفي أوائل سنة ١٨٢٥ عاود رحمة زيارة مسقط ، وحصل في نفس الوقت على ترخيص من المقيم السياسي البريطاني بأن يتدخل لمناصرة الشيخ طحنون في الحرب التي كانت دائرة وقتذاك بين حكام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أبو ظبي والشارقة في عمان المتصالحة . وقرب نهاية سنة ١٨٢٥ بدأت المشاكل مرة أخرى حول الإتاوة التي كان يدفعها أهل القطيف ، وبدأ رحمة وهو يتجاهل تحذيرات المقيم البريطاني تجاهلا تاماً ينهب سفن هذا الميناء غير المسلحة ، ووضعت سفينتان حربيتان بريطانيتان نتيجة ذلك خارج الدمام وأبلغ رحمة بأنه اذا لم يكف عن هذه الغارات فستتخذ السفن الحربية عملا حاسماً ضده . لكنه تقرر أخيراً عدم القيام بأي عمل ضد رحمة إلا إذا امتدت إغاراته إلى سفن أخرى غير سفن القطيف كما وجه اليه انذار آخر . ويبدو أن عناد رحمة كان يرجع لثقته بانبعاث قوة الوهابيين من جديد . وهو يعرف أنها قوة ترحب بوجود عمليات القرصنة في البحر ولا ترفضها .

نزاع جديد بين رحمة وشيوخ البحرين :

وفي نفس الوقت تجددت القطيعة ثانية بين رحمة والعتوب في البحرين لكن الأعمال العدوانية بين الطرفين لم تبدأ إلا بعد اتخاذ السلطات البريطانية قرارها بعدم التدخل بين رحمة وأهل القطيف ومغادرة السفن الحربية البريطانية للدمام . ولم يكن أي من هذين الطرفين مستعداً للدخول في حرب شاملة منظمة ، وطلب كلاهما من المقيم البريطاني عقد الهدنه ، لكن المقيم اشترط أن يكون أهل القطيف طرفاً في هذه الهدنة ، فرفض رحمة وتركت السلطات البريطانية الأمور تسير في مجراها .

المعركة الاخيرة وموت رحمة ١٨٢٦ :

وقرب نهاية سنة ١٨٢٦ حين وجد رحمة نفسه محاصراً من أعدائه الذين احتلوا الدمام ، عبر الخليج إلى بوشهر محاولاً كسب المقيم إلى جانبه في هذه القضية . وحين فشل في تحقيق ذلك اختار معه عدداً من البلوش يقاربون الثلاثين رجلا وعاد بهم في سفينته إلى الدمام التي كان يرابط بها أسطول للبحرين . ولدى وصول رحمة إلى الدمام أطلق مدافع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سفينته تحية على سبيل الإهانة . واستفز هذا العمل العتوب استفزازاً جعل أحمد بن سلمان ابن شقيق الشيخ الكبير يقترح متطوعاً أن يهاجم سفينة رحمة بسفينته هو ، وقبل رفاقه اقتراحه . فاقترب من سفينة رحمة ودار بين السفينتين قتال حاد وحاسم ثم انسحبت سفينته إلى البحرين لتأخذ مزيداً من الرجال من بقية سفن العتوب ، ثم عادت إلى القتال حتى أيقن رحمة الذي كان قد كف بصره تماماً في ذلك الوقت أن سفينته لا بد سيتم الاستيلاء عليها من جانب هذه السفن الكثيرة التي تفوقه عدداً ورجالا .. وأيقن أيضاً ألا مهرب له .. فأمر بأن تندفع سفينته إلى سفينة العدو . واسترشد رحمة بأصغر أبنائه —وهو صبي في الثامنة— ليقوده إلى مخزن البارود في السفينة وأشعله بيده وانفجرت سفينته وترامت أشلاؤه هو ورفاقه جميعاً .. وأشعل هذا الانفجار النار في في السفينة المهاجمة بطبيعة الحال .. وغرقت ولكن بعد أن تم انقاذ الرجال الذين على ظهرها (١) .

وكان مظهر رحمة بن جابر ، كما وصفه بكنجهام وصفاً تفصيلياً حياً في سنة ١٨١٦ ، يدعو إلى النفور.. فثيابه غاية في الاتساخ ووجهه «قاس قبيح» بطبيعته زادته قبحاً الندوب والجروح وفقدان عين من عينيه . أما جسمه فكان «نحيلا ذا أطراف ضامرة .. كلها قد عملت فيها الجروح والندوب والقطوع من السيوف والحراب والرصاص .. في كل جزء منها وربما كان عددها يتجاوز عشرين جرحاً مختلفاً» وكانت العظمة التي تصل الكتف بالساعد مفقودة في ذراعه اليمنى نتيجة ضربة سيف لكنه كان يستطيع ان يقبض على الخنجر بيده اليمنى .. ويضرب به بمساعدة اليسرى . وكانت نفسية رحمة بن جابر قاسية ضارية ميالة

---

(١) هذا ما يروى عادة بهذا الصدد . ولكن نظرا لان رجال رحمة جميعا قد قتلوا ولم يبق منهم أحد ممن كان في السفينة .. فاننا لا نعرف المصدر الذى نقلت عنه كيفية حدوث الانفجار فيها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للانتقام لكنه كان يستطيع أن يضع على وجهه قناع الهدوء بنفس البرود الذي يواجه به الآلام التي يعانيها . وبين أتباعه —ومعظمهم من العبيد— كان يقال إنه يحفظ النظام بأحقيته المطلقة في الأمر بعقوبة الإعدام ، ولم يكن هناك رجل يجرؤ على عصيان امره . وقد اثبت رحمة حصافته في تجنبه طوال حياته أي تواطؤ مباشر مع الحكومة البريطانية ، وبحفظ علاقته الودية والوثيقة ببعض المسئولين البريطانيين في مقيمية بوشهر ، ولا بد أن نقول بأن رحمة كان يتمتع بمؤهلات قيادية حقيقية ، ورغم ذلك فقد تنفس الخليج كله الصعداء يوم قتل (١) .

★ ★ ★

الوهابيون يعودون لفتح الاحساء
١٨٢٤ ـ ١٨٣١

اشتباكات غير حاسمة بين الوهابيين وبني خالد ١٨٢٤–١٨٣٠ :

نجح بنو خالد وشيوخهم الذين استعادوا سلطتهم في الأحساء عن طريق القوات المصرية في المحافظة على مكانتهم هذه لعدة سنوات . غير ان أمير الوهابيين بعد أن اعترف بولائه للمصريين ودفع لهم الجزية ثم اشتبك في حرب مع بني خالد جعل من المتعذر وصول الاموال التي كانت تدفع لهم كل سنة من الأحساء . وقد اتخذ بنو خالد من الهفوف عاصمة لهم كما استولوا أيضاً على الميناء البحري في القطيف . وكان بدء الاشتباكات بين الوهابيين وبني خالد سنة ١٨٢٤ غير أنها ظلت حتى سنة ١٨٣٠ دون ان تصل إلى نتيجة حاسمة .

(١) الوصف الوحيد لرحمة بن جابر ممن رأوه هو الموجود في كتاب بكنجهام : « أسفار بلاد الآشوريين .. الخ » من ص ٣٥٦ الى ص ٣٥٨ . وواضح أن هذا الكاتب المنافق بعض الشيء لم يستطع أن يتقبل ذئب البحر العجوز .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوهابيون يوقعون الهزيمة النهائية ببني خالد ١٨٣٠ :

وفي بداية سنة ١٨٣٠ أخذ بنو خالد زمام المبادرة بأن ساروا إلى نجد في قوات ضخمة خرج اليها فيصل بن تركي ابن الامير على رأس قوات الوهابيين لمناجزتها . وهنا أصاب سوء الحظ بني خالد بمرض وموت أعظم قوادهم العسكريين وهو الشيخ ماجد ، وتولى الشيخ محمد الذي كان السن قد تقدم به كثيراً قيادة هذه القوات بموافقة شقيق الشيخ ماجد ، لكن الشيخ محمداً كان يعرف أنه عاجز عن أن يتحمل القيادة فعهد بها إلى ابن شقيقه برغش . وسار القائد الجديد بقواته —بعد تردد— لمقابلة الوهابيين .. لكن هؤلاء تراجعوا أمام قواته .. وفي ليلة ٢٣ مارس سنة ١٨٣٠ خرج تركي بن عبدالله أمير الوهابيين بنفسه من الرياض على رأس ١٢٠٠ رجل من أتباعه ، ونجح في أن يطوق جناح جيش بني خالد ويصل إلى وبرة قاعدة عملياته ومصدر الماء له — فاستولى عليها نظراً لقلة الحراسة الموضوعة عليها(١) . وهكذا وجد بنو خالد أنفسهم بعيدين عن الماء محرومين منه ومحاصرين بين جناحين من جيش العدو . وبعد مهلة يوم واحد باشر الهجوم في الصباح التالي كلا جناحي الوهابيين ، وفي هذه المعركة هزم بنو خالد واستولى الوهابيون على نسائهم وأطفالهم وخيامهم وخيلهم وإبلهم وماشيتهم ، واستطاع الشيخ محمد وبرغش الفرار من الهفوف حيث واصلا المقاومة منها بعد قليل . لكن معظم بني خالد أعلنوا خضوعهم للوهابيين ، فتقدم هؤلاء إلى الهفوف عاصمة الأحساء ، وسرعان ما سقطت بين أيديهم وتبعتها القطيف بعد قليل .

---

(١) الاسم المذكور في التقارير هو « دبره » وليس ثمة مكان بهذا الاسم لكن « وبرة » مكان معروف فيه بئر ماء ومفترق عدة طرق في صحان ، ولا بد أنه هو المقصود • وعلى أية حال •• فكثيرا ما يحدث الخلط بين الحرفين و ، د في العربية •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السياسة المستنيرة لأمير الوهابيين في الاحساء ١٨٣١ :

وتميزت سياسة الفاتح الجديد الذي لم يكن على غرار أسلافه أو من سبقوه بالتسامح والمصالحة فاستتب له الأمر في الأحساء ، ووضع فيها بعض الحاميات واكتفى بجمع الزكاة المعتادة فقط وعاد إلى داخل الجزيرة سنة ١٨٣١ . ولا شك في أن هذا التغير جاء في مصلحة إقليم الأحساء نفسه لأن تلك الفوضى والحروب الأهلية التي سادت أثناء حكم بني خالد قد انتهت ، وقد قام الشيخ محمد شيخ بني خالد الذي بقي على قيد الحياة ببعض أعمال المقاومة ضد الوهابيين لكنها كانت جميعاً ضعيفة وبلا جدوى .

★ ★ ★

الاحداث خلال احتلال المصريين الاول للاحساء ١٨٣٠ - ١٨٣٨

بدأ الحكم الوهابي يحاول الامتداد من الأحساء التي اتخذها قاعدة له إلى جزر البحرين ، لكن نجاحه في هذا الاتجاه لم يكن كاملا أو مطلقاً كنجاحه في الأحساء . وظل الاحتكاك بين الوهابيين والعتوب والبحرين مصدر تهديد دائم للرفاه الاقتصادي والهدوء في المنطقة .

اقامة بشير بن رحمة على جزيرة تاروت ١٨٣١-١٨٣٢ :

وحين طلب أمير الوهابيين من شيوخ البحرين الاعتراف بالولاء له في سنة ١٨٣٠ كان يهدف إلى أن يجعل بشير بن رحمة ابن القرصان رحمة بن جابر على الدمام كمصدر إزعاج للعتوب ، وكان سيد عمان يوافق على هذا المشروع كما أنه آوى بشيراً منذ موت أبيه في سنة ١٨٢٦ .. وكان يلتمس عونه في حملة جديدة يعدها من مسقط على البحرين غير أن الوهابيين بموجب التسوية التي عقدوها مع العتوب في البحرين سنة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٨٣١ تجاهلوا المشروع ولكنهم بعدها مباشرة وربما بفضل تدخل السيد سعيد سمحوا لبشير بالاستقرار في جزيرة تاروت المواجهة لمدينة القطيف ، وسرعان ما لحق ببشير معظم قبيلة آل بو سميط التي كانت -كأسرة بشير نفسه- على عداء صريح لشيوخ البحرين لكنه من جرّاء عداوة أهل القطيف له وجد أن معونة آل بوسميط وحدهم لا تكفي لاستمرار بقائه في دارين . وفي سنة ١٨٣٢ وعقب هدم القلعة التي كان أقامها بشير مؤخراً رجع وأنصاره المقربون معه إلى مسقط مرة أخرى .

مشاكل الوهابيين في الاحساء ١٨٣١ - ١٨٣٥ :

وفي سنة ١٨٣١ ولعلّه من جرّاء المشاكل التي كانت قائمة في نجد بين تركي بن عبدالله وواحد من أقربائه كان يزعم أنه الجدير بأمارة الوهابيين هاجم بعض بني خالد من العوامر الهفوف والقطيف .. لكن هجومهم فشل .

وحدث نزاع بين بني عمير من جنة ومعهم بعض أفراد من قبيلة سودان وبين سكان القطيف. وكان السبب الرئيسي هو رفض أهل القطيف الاستمرار في دفع الإتاوة التي يسلبها بنو عمير .

غير أن مشاعر الناس قد استثيرت نتيجة الخسائر التي حدثت ، خاصة ما تعرض له أحد الشيوخ على أيدى بني عمير في محاولات منهم لفرض مطالبهم بالقوة ، ولم يجد توسط أمير الوهابيين بين الطرفين شيئاً . وكان من نتائج هذا الصراع أن هاجم بنو عمير في سنة ١٨٣٢ سفينة بحرينية خارج القطيف وقتلوا ١٢ رجلا من ٣٠ كانوا على ظهرها . وفي سنة ١٨٣٣ وبتشجيع مستتر من جانب العتوب في البحرين اتخذ بنو عمير مستقراً لهم في الدمام ، وحاصروا القطيف وبدأوا يتدخلون في تجارتها .

وحين تضايق شيوخ البحرين من هذه الاضطرابات أعلنوا في سنة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٨٣٣ ولاءهم لامير الوهابيين ، واستنجد بهم الحاكم الوهابي في القطيف وكان يظن سيده في موقف حرج .. لكن تركي بن عبدالله استطاع بهمته الفائقة أن يتغلب على الصعوبات التي يواجهها في الأحساء .. وتم جمع الزكاة –ربما للمرة الأولى– من سكان ساحل الأحساء .

استيلاء العتوب على جزيرة تاروت ١٨٣٤ :

وفي سنة ١٨٣٤ حاصر شيخ البحرين مينائي الوهابيين في القطيف والعقير ، وبعد اغتيال تركي بن عبدالله ضم جزيرة تاروت إلى البحرين وحرض بني خالد على مهاجمة الوهابيين في الهفوف والقطيف لكن الحاكم الوهابي في الهفوف عمرو بن عفيصان استطاع أن يصد هجومهم وكبدهم خسائر فادحة . وأرغم بنو خالد على اللجوء إلى جزيرة تاروت في حماية حامية البحرين هناك .

القوات المصرية تؤكد سيطرتها على الاحساء ١٨٣٥ :

وحوالي منتصف سنة ١٨٣٥ وصل إلى مسقط قادماً من مكة المكرمة تاجر معروف كان يقيم من قبل في البحرين ، واسمه عبدالله بن مشاري وكان يحمل خطابات من احمد باشا الحاكم المصري في الحجاز موجهة إلى سيد عمان وشيخ البحرين وأمير الوهابيين .. وجاء في هذه الخطابات أن لحاملها حق الالتزام بالعوائد في القطيف لمبلغ بين ٢٠ – ٢٤ الف روبية في السنة من قبل الحكومة المصرية وهو يرجو السماح له بتأدية هذا العمل دون معارضة من أحد . ويبدو أن المصريين كانوا يهدفون إلى التمهيد لإعادة فتح نجد من الغرب متوسلين لذلك باقامة قواعد على حدود أمير الوهابيين في الشرق . وقد استقبل السيد سعيد عبدالله بن مشاري استقبالا حافلا ، وقدم له سفينة تنقله من مسقط إلى القطيف ، أما فيصل بن تركي الذي استطاع الآن إبعاد قتلة أبيه وأصبح أمير الوهابيين الجديد فقد أرسل قوات كبيرة للدفاع عن